

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة البقرة من آية « ٦٧ » حتى آية « ١٧٦ »

الجزء الثاني

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي


بسم الله الرحمن الرحيم


التسهيل
لتأويل التنزيل

الطبعـــة الأولـى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أتتخذنا هزوًا – فارض – بكر – عوان – صفراء فاقع لونها – تشابه – لا ذلول – تثير الأرض – مُسلَّمة – لا شية فيها – وما كادوا

يفعلون – ادارأتم – ما كنتم تكتمون – غافل ؟

ج :

الكلمــة	معناهــا
أتتخذنا هزوًا	أتهزأ بنا وتسخر منا ؟
فارض	هرمة مُسنة
بكر	البكر هي الصغيرة التي لم يفتحلها الفحل
عوان	وسط (أي وسط بين الفارض والبكر) وقال بعض العلماء هي التي ولدت مرة أو مرتين
صفراء فاقع لونها	شديد الصفرة
تشابه	اختلـط
لا ذلول	لم يذللها العمل
تثير الأرض	تقلبها للحرث (والمعنى أنها لا تثير الأرض أي ليست ذلولًا لأنها لا تثير الأرض)
مُسلمة	صحيحة سليمة من العيوب
لا شية فيها	ليس فيها بياض ولا سواد[1] ولا حمرة (أي صفراء لا يخالطها لون آخر) والشيُّ هو من وشيِّ الثوب وهو تحسينه بالألوان
وما كادوا يفعلون	كادوا أن لا يفعلوا
ادارأتم	اختلفتم – تنازعتم – تخاصمتم
ما كنتم تكتمون	ما كنتم تسرونه من أمر القاتل وقاتله
غافل	الغفلة هي ترك الشيء على وجه السهو

(١) ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : لا شية فيها أي : لا سواد فيها كما في (مرويات الإمام أحمد في التفسير) .

س : ما هي مناسبة قول موسى عليه السلام لقومه : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ؟

ج : مناسبته – والله أعلم – أنهم سألوه عن رجل منهم قُتل فاختلفوا في قاتله من الذي قتله[١] .

وذكر الطبري رحمه الله تعالى بأسانيده إلى عددٍ من السلف – وأجمل القول – فقال : فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي ، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى كان أخا المقتول ، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه وقال بعضهم بل كانوا جماعة وَرَثة استبطأوا حياته[٢] إلا أنهم جميعًا مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه عن أمر الله إياهم[٣]

---

(١) شاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها .. ﴾ [البقرة : ٧٢] وقد أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (أثر ١١٧٢) وابن أبي حاتم في التفسير (٦٩٥) بإسناد صحيح إلى عبيدة السلماني رحمه الله تعالى قال : كان في بني إسرائيل رجل عقيم – أو عاقر – قال : فقتله وليه ، ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه . قال : فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح . قال : فقال أولو النهى : أتقتتلون وفيكم رسول الله ؟ قال : فأتوا نبي الله . فقال : اذبحوا بقرة . فقالوا : أتتخذنا هزوًا ، قال : ﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ [البقرة : ٦٧ – ٧١] قال : فضُرب ، فأخبرهم بقاتله . قال : ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبًا ، قال : ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك.

(٢) قلت : وكل هذا خلاف لا يضر فالعبرة حاصلة وكائنة وعلى أي وجه كان القاتل أو المقتول ، والله أعلم .

(٣) صوَّب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى هذه اللفظة فقال : الأجود أن يكون (عن أمر الله إياه بذلك) وما صوَّبه الشيخ هو الراجح لدي ، والله أعلم .

بذلك فقالوا له : وما ذبح البقرة ؟ يبين لنا خصومتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتل من قتل فادُّعي على بعضنا أنه القاتل ؟

❋ ❋ ❋

س : البقرة اسم للأنثى من البقر فما اسم ذكرها ؟

ج : ذَكَرُها هو الثور .

❋ ❋ ❋

س : البقر أخذ من ماذا (من ناحية اللغة) ؟

ج : بَقَرَ أي شقَّ فالبقر مأخوذ من البَقْر وهو الشق فالبقرة تشق الأرض للحراثة فمن ثم أطلق عليها بقرة ، وأبو جعفر الباقر (وهو محمد بن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين) أطلق عليه الباقر لأنه بقر العلم وعرف أصله (قاله بعض العلماء)[1] .

❋ ❋ ❋

س : البقر يُذبح كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ فهل تُنحر البقر أيضًا ، وما هو الأولى في الغنم والإبل والخيل ؟

ج : البقر يذبح ، وينحر كذلك لقول النبي ﷺ : « رأيت بقرًا تُنحر »[2] الحديث ، ولقول النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ليس السن والظفر ... »[3] وبعض أهل العلم يفضل للبقر الذبح لأنه المذكور في كتاب الله عز وجل وأيضًا لم يرد أن النبي ﷺ نحر بقرًا .

---

(١) نقلًا عن القرطبي .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (٤٣٦/٧) : وعند أحمد والنسائي وابن سعد من حديث جابر بسند صحيح في هذا الحديث « ورأيت بقرًا منحرة ... » الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٩٨) ومسلم (١٩٦٨) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه مرفوعًا .

• أما الغنم فالأولى فيها الذبح ، والإبل الأولى فيها النحر[1] .

• أما الخيل فالذي يظهر لي أن الأولى فيها النحر لحديث أسماء رضي الله عنها نحرنا فرسًا على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه[2] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا تعوَّذ موسى عليه السلام بالله عندما قالوا له ﴿ أتتخذنا هزوا ﴾ [البقرة : ٦٧] ؟

ج : تعوَّذ موسى عليه السلام ، لأن السخرية أثناء تبليغ دعوة الله عز وجل ، جهل وسفه[3] ، فلم يكن لهم أن يظنوا بنبيهم ﷺ غير الحق وهو يبلغهم عن الله عز وجل .

---

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى : لا خلاف بين العلماء أن الذبح أولى في الغنم ، والنحر أولى في الإبل والتخيير في البقر ، وقيل : الذبح أولى لأنه هو الذي ذكره الله .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥١٠) ، ومسلم (١٩٤٢) من حديث أسماء رضي الله عنها ، وقد ورد بلفظ (ذبحنا ...) وجنح إلى ترجيح (نحرنا) فريق من أهل العلم ، والله أعلم .

(٣) ولم يكن موسى ﷺ مازحًا كذلك لما قال لهم : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ وإن كان هناك فرق بين المزاح والاستهزاء إلا أن موسى عليه السلام لم يكن في هذا ولا ذاك بسبيل ﷺ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى (١/٤٤٧) :

مسئلة – في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه ، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد . وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل ؛ ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح والأئمة بعده . قال ابن خويز منداد : وقد بلغنا أن رجلًا تقدم إلى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال : جبتك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش ؟ فقال له : لا تجهل أيها القاضي ! فقال له عبيد الله : وأين وجدت المزاح جهلًا ! فتلا عليه هذه الآية ؛ فأعرض عنه عبيد الله ؛ لأنه رآه جاهلًا لا يعرف المزح من الاستهزاء ، وليس أحدهما من الآخر بسبيل .

س : من العلماء من قال إن قوله تعالى : ﴿ صفراء ﴾ [البقرة : ٦٩]، في وصف البقرة المطلوب ذبحها يعني به سوداء، ما مدى صحة هذا القول ؟

ج : هذا القول ، وإن ورد عن بعض أهل العلم إلا أنه ليس بصحيح وظاهر كتاب الله يرده ثم أقوال جمهور المفسرين على خلافه(١) .

❋ ❋ ❋

س : أيهما أصح في الوقف عند قوله تعالى : ﴿ إنها بقرة لا ذلول ﴾ أو ﴿ إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ﴾ [البقرة : ٧١] فهل الوقف الأصح عند لا ذلول أو عند الأرض ؟

ج : الجمهور من العلماء على أن الوقف عند الأرض والمعنى أنه سبحانه وتعالى نفى عنها إثارة الأرض ، كسياق الآية الكريمة : ﴿ لا ذلول تثير الأرض ﴾ أي : لم يُذلها العمل بإثارة الأرض فهي لم تذل بإثارة الأرض ولا بسقي الحرث ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى (٢/٢٠٠ ، ٢٠١) : وأحسب أن الذي قال في قوله : « صفراء » ، يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السود : « هذه إبل صفر ، وهذه ناقة صفراء » يعني بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ، لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، ومنه قول الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر ، أولادها كالزبيب

يعني بقوله : « هن صفر » ، هن سود وذلك إن وصفت الإبل به ، فليس مما توصف به البقر . مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد – إذا وصفته بالشدة – بالحلوكة ونحوها ، فتقول : « هو أسود حالك وحانك وحلكوك ، وأسود غربيب ودجوجي » – ولا تقول : هو أسود فاقع . وإنما تقول : « هو أصفر فاقع » . فوصفه إياه بـ « الفقوع » ، من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله : ﴿ إنها بقرة صفراء فاقع ﴾ المتأول ، بأن معناه سوداء شديدة السواد .

س : لماذا كادوا ألا يذبحوا البقرة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

- منها : أنه لغلاء ثمن البقرة التي انطبقت عليها تلك المواصفات التي ذكرها لهم نبي الله موسى ﷺ ، وقد ذكر البعض أن أصل ثمنها كان قليلًا[1] إلا أن صاحبها رفع ذلك الثمن .

- ومنها : أنهم كادوا ألا يذبحوها خوفًا من الفضيحة التي ستحل بالقاتل وقومه .

ولا مانع من أن يكون المانع لهم من المبادرة إلى الذبح الأمران معًا (أي غلاء الثمن وخوف الفضحية) وهذا هو الذي جنح إليه الطبري رحمه الله تعالى ، فقال رحمه الله تعالى في تفسيره :

والصواب من التأويل عندنا أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلَّتين كلتيهما إحداهما غلاء ثمنها ، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها ، والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار نبي الله موسى - صلوات الله عليه وأتباعه - على قاتله أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فصوَّب ما أورده من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ [البقرة : ٧١] يقول : كادوا لا يفعلون ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا ألا يذبحوها وهذا الذي أورده ابن كثير عن ابن عباس ضعيف الإسناد عن ابن عباس[2] قال ابن كثير رحمه الله في شرح « أثر ابن عباس » رضي الله عنهما : يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة

---

(١) أما كون ثمنها كان قليلًا فروى الطبري (١٢٨٨) ، وابن أبي حاتم (٧٤٩) بإسناد صحيح إلى عكرمة قال : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

(٢) فقد أخرجه الطبري (١٢٧٧) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا إسناد ضعيف فضلًا عن انقطاعه .

والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا ذمٌّ لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها .

قلت : وهذا استنادًا إلى « أثر ابن عباس » الضعيف ، وأيضًا يظهر لي – والله أعلم – أن في قولهم وإنا إن شاء الله لمهتدون ، ما يرد هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها ﴾ [البقرة : ٧٢] مؤخر في التلاوة ومعناه متقدم ، فما هو وجه تأخيره ؟

ج : وجه تأخيره أنه لغة للعرب الذين جاء القرآن بلسانهم ، وشاهده من التنزيل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجًا * قيمًا ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] ، فالظاهر أن المعنى : قيمًا و لم يجعل له عوجًا فأخر المقدم وقدِّم المؤخر(١) .

وقال الألوسي في روح المعاني : وقدِّم(٢) لاستقلاله بنوع من مساوئهم التي قصد نعيها عليهم ، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك

---

(١) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ، وأورد قول الفرزدق :

إن الفرزدق صخرة ملمومة   طالت فليس تنالها الأوعالا

قال : أراد طالت الأوعالا .

وقول جرير :

طاف الخيال وأين منك لماما   فارجع لزورك بالسلام سلاما

قال : أراد طاف الخيال لمامًا وأين هو منك .

وقول الآخر :

خير من القوم العصاة أميرهم   ياقوم فاستحيوا النساء الجلَّس

أراد خير من القوم العصاة النساء فاستحيوا من ذلك .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ .

المسارعة إلى الامتثال ، ولو أجرى على النظم لكانت قصة واحدة ولذهبت تثنية التقريع .

وبنحوه قال بعض المعاصرين من المفسرين .

قال وهبة الزحيلي في تفسيره[1] : إنما أخره بالذكر عن ذكر موقفهم الاستهزائي العنادي اهتمامًا واستهجانًا وتقريعًا لموقف العناد وتشويقًا إلى معرفة سبب ذبح البقرة .

* * *

س : رجل وُجد يتشحط في دمه وقال : فلان قتلني هل يؤخذ بقوله ؟

ج : الصحيح أنه لا يؤخذ بقوله إلا بالقرائن المحتفة إن كان لها وجه قبول كإقرار القاتل مثلًا أو وجود شهود أو نحو ذلك فالقرائن قد تقضي بصحة ما قال وقد تقضي ببطلانه ، وقد أخرج البخاري في صحيحه[2] من حديث أنس رضي الله عنه أن يهوديًا رضَّ رأس جارية بين حجرين ، فقيل لها : من فعل أفلان أو فلان حتى سمى اليهودي فأتي به النبي ﷺ فلم يزل به حتى أقرَّ فرُضَّ رأسه بالحجارة .

* * *

(١) « التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج » .

(٢) حديث (٦٨٧٦) ، وقد بوَّب له البخاري رحمه الله تعالى بباب : سؤال القاتل حتى يقر والإقرار في الحدود .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٢/ ٢٠٨) ، وقال النووي ذهب مالك إلى ثبوت قتل المتهم بمجرد قول المجروح ، واستدل بهذا الحديث ، ولا دلالة فيه بل هو قول باطل لأن اليهودي اعترف كما وقع التصريح به في بعض الطرق ونازعه بعض المالكية فقال : لم يقل مالك ولا أحد من أهل مذهبه بثبوت القتل على المتهم بمجرد قول المجروح وإن قالوا : إن قول المحتضر عند موته فلان قتلني لوثٌ يوجب القسامة فيقسم اثنان فصاعدًا من عصبته بشرط الذكورية ، وقد وافق بعض المالكية الجمهور .

س : هل في قوله تعالى : ﴿ ... فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ... ﴾ [البقرة : ٧٣] دليل على أن المقتول إذا قال : قتلني فلان أُخذ بقوله ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أن هذه معجزة خاصة لا تتطرق إلى ما سواها لأنه لم يكن الرجل ليحييه الله عز وجل بعد أن أماته ثم يكذب على الناس وفيهم نبي الله موسى ﷺ[١] .

* * *

س : ما معنى القسامة ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٢] : القسامة (بفتح القاف وتخفيف المهملة) اليمين ، وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الإثبات أو النفي ، وقيل : هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين .

وقال أيضًا[٣] : وهي الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم أو على المدعى عليهم الدم ، وخصَّ القسم على الدم بلفظ القسامة .

● وقال القرطبي رحمه الله: لا يحلف في القسامة أقل من خمسين يمينًا لقول النبي ﷺ في حديث حويصة ومحيصة: « يقسم خمسون منكم على رجل منهم ».

قلت : ولتوضيح معنى القسامة وبيانها نسوق بعض ما ورد فيها من أحاديث : أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[٤] من حديث سهل ابن أبي حثمة رضي الله عنه أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها

---

(١) وبنحو ذلك قال بعض المفسرين ، فقال ابن جُزي الكلبي رحمه الله تعالى في تفسيره : وقصته معجزة لنبي فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره .

(٢) « الفتح » (٧/ ١٩٢) .

(٣) « الفتح » (١٢/ ٢٤٠) .

(٤) حديث (٦٨٩٨) .

ووجدوا أحدهم قتيلًا ، وقالوا للذي وجد فيهم : قد قتلتم صاحبنا ، قالوا : ما قتلنا ولا علمنا قاتلًا فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلًا ، فقال : الكُبر الكُبر . فقال لهم : تأتون بالبينة على من قتله ؟ قالوا : ما لنا بينة . قال : فيحلفون . قالوا : لا نرضى بأيمان اليهود ، فكره رسول الله ﷺ أن يُطَلَّ دمه فوداه مائةً من إبل الصدقة .

وأخرج البخاري أيضًا (٦٨٩٩) من طريق أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يومًا للناس ثم أذن لهم فدخلوا ، فقال : ما تقولون في القسامة ؟ قالوا : نقول القسامة القود بها حق وقد أقادت بها الخلفاء . قال لي : ما تقول يا أبا قلابة ؟ ونصبني للناس ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عندك رءوس الأجناد وأشراف العرب ، أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى ولم يروه أكنت ترجمه ؟ قال : لا . قلت : أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه ؟ قال : لا . قلت : فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحدًا قط إلا في إحدى ثلاث خصال : رجل قتل بجريرة نفسه فقتل ، أو رجل زنى بعد إحصان ، أو رجل حارب الله ورسوله وارتد عن الإسلام فقال القوم : أو ليس قد حدث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قطع في السرق وسمر الأعين ثم نبذهم في الشمس ؟ فقلت : أنا أحدثكم حديث أنس ، حدثني أنس أن نفرًا من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام ، فاستوخموا الأرض فسقمت أجسامهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، قال : أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها ؟ قالوا : بلى ، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا فقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأطردوا النَّعم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل في آثارهم فأدركوا ، فجيء بهم ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا . قلت : وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء ؟ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا فقال عنبسة بن سعيد : والله إن سمعت كاليوم قط ،

فقلت : أترد عليَّ حديثي يا عنبسة ؟ قال : لا ؛ ولكن جئت بالحديث على وجهه والله لا يزال هذا الجند بخير ما عاش هذا الشيخ بين أظهرهم . قلت : وقد كان في هذا سنة من رسول الله ﷺ : دخل عليه نفر من الأنصار فتحدثوا عنده ، فخرج رجل منهم بين أيديهم فقتل ، فخرجوا بعده فإذا هم بصاحبهم يتشحط في الدم ، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، صاحبنا كان تحدث معنا فخرج بين أيدينا فإذا نحن به يتشحط في الدم ، فخرج رسول ﷺ فقال : بمن تظنون – أو ترون – قتله ؟ قالوا : نرى أن اليهود قتلته . فأرسل إلى اليهود فدعاهم فقال : آنتم قتلتم هذا ؟ قالوا : لا . قال : أترضون نفل خمسين من اليهود ما قتلوه ؟ فقالوا : ما يبالون أن يقتلونا أجمعين ثم ينتفلون . قال : أفتستحقون الدية بأيمان خمسين منكم ؟ قالوا : ما كنا لنحلف . فوداه من عنده . قلت : وقد كانت هذيل خلعوا خليعًا لهم في الجاهلية ، فطرق أهل بيت من اليمن بالبطحاء فانتبه له رجل منهم ، فحذفه بالسيف فقتله ، فجاءت هذيل فأخذوا اليماني فرفعوه إلى عمر بالموسم وقالوا : قتل صاحبنا . فقال : إنهم قد خلعوه . فقال : يقسم خمسون من هذيل : ما خلعوه قال : فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلًا ، وقدم رجل من الشام فسألوه أن يقسم فافتدى يمينه منهم بألف درهم فأدخلوا مكانه رجلًا آخر فدفعه إلى أخي المقتول فقرنت يده بيده ، قالوا : فانطلقا والخمسون الذين أقسموا ، حتى إذا كانوا بنخلة أخذتهم السماء ، فدخلوا في غار في الجبل فانهجم الغار على الخمسين الذين اقسموا ، فماتوا جميعًا وأفلت القرينان واتبعهما حجر فكسر رجل أخي المقتول ، فعاش حولًا ثم مات . قلت : وقد كان عبد الملك بن مروان أقاد رجلًا بالقسامة ثم ندم بعد ما صنع ، فأمر بالخمسين الذين أقسموا فمحوا من الديوان وسيرهم إلى الشام » .

وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إن أول قسامة كانت في الجاهلية لفينا بني هاشم : كان رجل من بني هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ أخرى فانطلق معه في إبله ، فمر به رجل من بني هاشم قد انقطعت عروة جوالقه فقال : أغثني بعقال أشد به عروة جوالقي لا تنفر الإبل فأعطاه عقالًا فشد به عروة جوالقه . فلما نزلوا عقلت الإبل إلا بعيرًا واحدًا ، فقال الذي استأجره : ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الإبل ؟ قال : ليس له عقال . قال : فأين عقاله ؟ قال : فحذفه بعصًا كان فيها أجله . فمر به رجل من أهل اليمن ، فقال : أتشهد الموسم ؟ قال : ما أشهد وربما شهدته . قال : هل أنت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر ؟ قال : نعم . قال : فكتب إذا أنت شهدت الموسم فناد يا آل قريش ، فإذا أجابوك فناد يا آل بني هاشم ، فإن أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبره أن فلانًا قتلني في عقال . ومات المستأجر . فلما قدم الذي استأجره أتاه أبو طالب فقال : ما فعل صاحبنا ؟ قال : مرض فأحسنت القيام عليه ، فوليت دفنه . قال : قد كان أهل ذاك منك . فمكث حينًا ثم إن الرجل الذي أوصى إليه أن يبلغ عنه وافى الموسم فقال : يا آل قريش ، قالوا : هذه قريش . قال : يا بني هاشم ، قالوا : هذه بنو هاشم . قال : أين أبو طالب ؟ قالوا : هذا أبو طالب . قال : أمرني فلان أن أبلغك رسالة أن فلانًا قتله في عقال . فأتاه أبو طالب فقال له : اختر منا إحدى ثلاث : إن شئت أن تؤدي مائة من الإبل فإنك قتلت صاحبنا ، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله ، وإن أبيت قتلناك به . فأتى قومه فقالوا : نحلف . فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له فقالت : يا أبا طالب أحب أن تجيز ابني هذا برجل من الخمسين ولا تصبر يمينه حيث تصبر الأيمان ، ففعل . فأتاه رجل منهم فقال : يا أبا طالب

---

(١) حديث (٣٨٤٥) .

أردت خمسين رجلًا أن يحلفوا مكان مائة من الإبل ، يصيب كل رجل بعيران ، هذان بعيران فاقبلهما مني ولا تصبر يميني حيث تصبر الأيمان فقبلهما . وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا . قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده ما حال الحول ومن الثمانية وأربعين عين تطرف) .

❋ ❋ ❋

س : هل يُعمل بالقسامة ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : اختلف العلماء في الحكم بالقسامة ، فروي عن سالم وأبي قلابة وعمر بن عبد العزيز والحكم بن عتيبة التوقف في الحكم بها ، وإليه مال البخاري لأنه أتى بحديث القسامة في غير موضعه .

● وقال الجمهور الحكم بالقسامة ثابت عن النبي ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ماهو الموجب للقسامة ؟

ج : الموجب للقسامة هو اللوث ولا بد منه ، واللوث أمارة تغلب على الظن صدق مدعي القتل كشهادة العدل الواحد على رؤية القتل أو يرى المقتول يتشحط في دمه والمتهم نحوه أو قربه عليه آثار القتل(١) قاله القرطبي رحمه الله .

---

(١) وقال القرطبي عقب الكلام المذكور : وقد اختلف في اللوث والعمل به فقال مالك : هو قول المقتول دمي عند فلان ، والشاهد العدل لوث ، كذا في رواية ابن القاسم عنه وروى أشهب عن مالك أنه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المرأة . وروى ابن وهب أن شهادة النساء لوث . وذكر محمد عن ابن القاسم أن شهادة المرأتين لوث دون شهادة المرأة الواحدة قال القاضي أبو بكر بن العربي : اختلف في اللوث اختلافًا كثيرًا ؛ مشهور المذهب أنه الشاهد العدل . وقال محمد : هو أحب إلي . قال : وأخذ به ابن القاسم وابن عبد الحكم . وروي عن عبد الملك بن مروان : أن المجروح أو المضروب إذا قال : دمي عند فلان ومات كانت القسامة . وبه قال مالك والليث بن سعد . واحتج مالك بقتيل بني إسرائيل أنه قال : قتلني فلان . وقال =

س : قوله تعالى : ﴿ اضربوه ببعضها ﴾ [البقرة : ٧٣] ما هو هذا البعض الذي أمر الله عز وجل أن يُضرب به الميت ؟

ج : ليس في الآية الكريمة شيء واضح يبين ما هو هذا البعض الذي أمر الله عز وجل أن يُضرب به الميت ، ولا نعلم شيئًا من سنة رسول الله ﷺ يوضح هذا البعض كذلك ، ولم يُطبق المفسرون على شيءٍ واحدٍ في هذا الباب أيضًا .

● وكما قال الطبري رحمه الله تعالى : ولا يُضِرُّ الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا البعض أي شيءٍ كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به ، وخرق العادة به كائن ، وقد كان معينًا في نفس الأمر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا ، ولكن أبهمه ولم يجىء من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله تعالى .

= الشافعيُّ : اللَّوْث الشاهد العدل ، أو يأتي ببيِّنة وإن لم يكونوا عدولًا . وأوجب الثورِيُّ والكوفيون القسامة بوجود القتيل فقط وآستغنوا عن مراعاه قول المقتول وعن الشاهد ، قالوا : إذا وجد قتيل في مَحلَّة قومٍ وبه أثرٌ حلف أهل ذلك الموضع أنهم لم يقتلوه ويكون عَقْلُه عليهم ؛ وإذا لم يكن به أثر لم يكن على العاقلة شيء إلا أن تقوم البيِّنة على واحد . وقال سفيان : وهذا مما أُجمع عليه عندنا ؛ وهو قول ضعيف خالفوا فيه أهل العلم ، ولا سلف لهم فيه ، وهو مخالف للقرآن والسُّنة ؛ ولأن فيه إلزام العاقلة مالًا بغير بيِّنة ثبتت عليهم ولا إقرار منهم . وذهب مالك والشافعيُّ إلى أن القتيل إذا وجد في مَحلَّة قومٍ أنه هَدَر ، لا يؤخذ به أقرب الناس دارًا ؛ لأن القتيل قد يُقتل ثم يُلقى على باب قوم ليلطخوا به ، فلا يؤاخذ بمثل ذلك حتى تكون الأسباب التي شرطوها في وجوب القسامة . وقد قال عمر بن عبد العزيز : هذا مما يؤخر فيه القضاء حتى يقضي الله فيه يوم القيامة .

قلت : والأمر كما قال العالمان الجليلان الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى ، وعلى هذا المنوال نسير في مثل هذه المواطن التي سكت عنها ربنا سبحانه ولم يبينها نبينا ﷺ ، فثمَّ خلافات لا طائل لها في مسائل ليس من وراء معرفتها كبير فائدة ولا صغيرها يضيع فيها كثيرٌ من المفسرين أوقات ويسودون بها صفحات ، ولا طائل من وراء هذا التضييع وذاك التسويد ، ومن أمثلة هذا مثلًا أوقاتًا يضيعها بعض المفسرين في تسمية كلب أهل الكهف وتسمية حمار العزير ، وتسمية امرأة العزيز ، وتسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، وعدد أصحاب الكهف وصفتهم ، و ... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يُرجى من ورائها فائدة ، إذ لو كان من وراء معرفتها فائدة لبينها لنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم الذي ما فرط فيه من شيء ، ولأوضحها لنا نبينا ﷺ .

* * *

س : الأمر يفيد الوجوب عند كثير من أهل العلم ، اذكر دليلًا من قصة موسى عليه السلام مع قومه لما أمرهم بذبح البقرة يفيد ذلك ، ودليلًا آخر من غيرها من السور ؟ ودليلًا من السنة ؟

ج : أما الدليل الأول فهو قول موسى عليه السلام لقومه : ﴿ فافعلوا ما تؤمرون ﴾ [البقرة : ٦٨] .

أما الدليل الآخر فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر : ٧] .

● ومن السُّنة قول النبي ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت »[١] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح ، انظر سنن الترمذي (حديث ٣٠٥٥) وتفسير الطبري (٥٣/٧) .

س : بعض أهل العلم يستنبط من قصة قوم موسى في شأن البقرة أن حكم الله عز وجل يكون على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن إلا أن يأتي دليل من الكتاب أو السنة يخصص هذا العموم وهذا الظاهر وضح ذلك ، واذكر قائله ؟

ج : أما قائله فهو ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى ، قاله في تفسيره وهاك بيان قوله :

قال رحمه الله : وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه – من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم ، من قولهم ، إنَّ بني إسرائيل لو كانوا أخذُوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدَّد الله عليهم – من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أنَّ حكم الله ، فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رَسُوله ﷺ ، على العموم الظاهر ، دون الخصوص الباطن ، إلا أن يخص بعضَ ما عمَّه ظاهر التنزيل ، كتابٌ من الله أو رسولُ الله ؛ وأن التنزيل أو الرسول ، إن خصَّ بعض ما عمَّه ظاهرُ التنزيل بحكمٍ خلاف ما دلَّ عليه الظاهر ، فالمخصوص من ذلك خارجٌ من حكم الآية التي عمَّت ذلك الجنس خاصة ، وسائرُ حُكم الآية على العموم ؛ على نحو ما قد بيناه في كتابنا « كتاب الرسالة » من لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام – في قولنا في العموم والخصوص ، وموافقةِ قولهم في ذلك قولَنا ومذهِبهم مذهبَنا ، وتَخطئتهم قولَ القائلين بالخصوص في الأحكام ، وشهادَتهم على فساد قول من قالَ : حُكمْ الآية الجائية مجيء العموم على العموم ، مالم يُختصَّ منها بعض ما عمَّته الآية . فإن خُص منها بعضٌ ، فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما خُصَّ منها ، وسائر ذلك على العموم .

وذلك أن جميع مَنْ ذكرنا قوله آنفًا – ممن عابَ على بني إسرائيل مسألتَهم نبيَّهم ﷺ عن صِفة البقرة التي أمروا بذبحها وسِنِّها وحِليتها – رأوا أنهم

كانوا في مسألتهم رسول الله ﷺ موسى ذَلك مخطئين ، وأنهم لو كانوا استعرضَوا أَدْنى بقرة من البقر - إذْ أَمِروا بذبحها بقوله : ﴿ إن الله يأمركم أن تَذْبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ، فذَبحوها - كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤدِّين ، وللحق مُطيعين ، إذ لم يكن القوم حُصروا على نوع من البقر دون نوع ، وسنٍّ دون سنٍّ .

ورأوا مع ذلك أنَّهم - إذْ سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها ، وحَصرهم منها على سنٍّ دون سن ونوع دون نوع ، وخصَّ من جميع أنواع البقر نوعًا منها - كانوا في مسألتهم إيَّاهُ في المسألة الثانية ، بعد الذي خصَّ لهم من أنواع البقر ، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إيَّاه المسألةَ الأولى .

وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية ، وأن اللازمَ كان لهم في الحالة الأولى ، استعمالُ ظاهر الأمر ، وَذبح أيِّ بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة .

وكذلك رأوا أنَّ اللازم كان لهم في الحال الثانية ، استعمالُ ظاهر الأمر وذبح أي بَهيمة شَاءوا مما وقع عليها اسم بقرة عَوَان لا فارض ولا بكر ، ولم يَروا أنَّ حكمهم - إذ خُصَّ لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية - انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى ، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص .

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك - مع الرواية التي رويناها عن رسول الله ﷺ بالموافقة لقولهم - دليلٌ واضح على صحَّة قولنا في العموم والخصوص ، وأنَّ أحكام الله جل ثناؤه في آي كتابه - فيما أمر ونهى - على العموم ، ما لم يَخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له . وأنه إذا خُصّ منه شيء ، فالمخصوص منه خارجٌ حكمه من حكم الآية العامَّة الظاهرِ ، وسائر حُكم

الآية على ظاهرها العام - ومؤيدٌ حقيقةَ ما قلنا في ذلك ، وشاهدٌ عدلٌ على فساد قول من خالف قولنا فيه .

وقد زعم بعض من عظمت جهالته ، واشتدت حيرتُه ، أنَّ القوم إنما سألوا مُوسى ما سَألوا بَعد أمر الله إياهم بذبح بَقرة من البقر ، لأنَّهم ظَنوا أنهم أمِروا بذبح بقرة بعينها خُصَّت بذلك ، كما خُصَّت عصَا موسى في معناها ، فسألوه أن يحلِّيها لهم ليعرفوها .

ولو كان الجاهل تدبَّر قوله هذا ، لسهل عليه ما استصعب من القول . وذلك أنه استعظَمَ من القوم مسألتهم نبيَّهم ما سألوه تشددًا منهم في دينهم ، ثم أضافَ إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكرهُ أن يكون كان منهم . فزعم أنهم كانوا يَرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضًا ، ويتعبدهم بعبادة ، ثم لا يبيِّن لهم ما يفرض عليهم ويتعبدهم به ، حتى يسألوا بيانَ ذلك لهم ! فأضاف إلى الله تعالى ذكرُه ما لا يجوز إضافته إليه ، ونَسب القومَ من الجهل إلى ما لا يُنسَب المجانين إليه ! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض ، فنعوذ بالله من الحَيْرة ، ونسأله التوفيق والهداية .

❋ ❋ ❋

س : قاتل العمد هل يرث من المال شيئًا ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : ولا خلاف بين العلماء أنه لا يرث قاتل العمد من الدِّية ولا من المال إلَّا فرقة شذت عن الجمهور كلهم أهل بدع[1] .

❋ ❋ ❋

(١) قلت : إن كان استدلاله بقصة بقرة بني إسرائيل وما ورد فيها من آثار فهي آثار لا تقوم بها حجة على هذه المسألة ، وقد قال ابن جُزي الكلبي في تفسيره : واستدلوا =

س : التعمق في سؤال الأنبياء والعلماء عن المسكوت عنه مذموم ومن شدد شدد الله عز وجل عليه ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن الله عز وجل أمر بني إسرائيل بذبح بقرة في قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ، ولم يبين لهم سبحانه وتعالى شروطًا لها فلو ذبحوا أي بقرة أجزأتهم وكانوا قد امتثلوا أمر الله تعالى ، فلما طلبوا بيانًا عن سنِّها بقولهم : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي .. ﴾ [البقرة : ٦٨] كان هذا منهم تشديدًا على أنفسهم فشدِّد عليهم ثم تعنتوا تعنتًا آخر فقالوا : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ﴾ [البقرة : ٦٩] ... ثم تعنتًا ثالثًا بقولهم : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا ﴾ [البقرة : ٧٠] فكل هذا منهم تشديدٌ على أنفسهم[1] .

= أيضًا بها على أن القاتل لا يرث ، ولا دليل فيها على ذلك .

هذا وتحتاج المسألة مني إلى تحرير أسأل الله أن ييسره ، وإن شاء الله يأتي في بابه .

(١) وقد قال عبيدة السلماني رحمه الله : فلو لم يعترضوا البقرة لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فُشدِّد عليهم . وتقدم الأثر عنه في ذلك وقال عكرمة رحمه الله (عند الطبري ١٢٣٩ بإسناد صحيح) : لو أخذ بنوا إسرائيل بقرة لأجزأت عنهم ، ولولا قولهم ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ [البقرة : ٧٠] لما وجدوها .

● وصح عن ابن عباس كذلك (عند الطبري ١٢٣٥) أنه قال : لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها ، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم .

وكذلك روي نحو هذا القول عن عددٍ كبير من أهل العلم .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى (ص١٨٩/٢) : .. لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرةٍ من البقر – أي بقرة شاءُوا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوعٍ منها دون نوع أو صنف دون صنف فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم وتكلُّف ما قد وضع الله عنهم مؤونته تعنتًا منهم لرسول الله ﷺ .. فذكر بأسانيده إلى السلف ... ﴿ ادع لنا ربك ﴾ وقال ص١٩٨ .

ومعنى ذلك : قال قومُ موسى لموسى : ادْع لنا ربك يُبين لنا ما لونها ؟ أي لون البقرة التي أمرتنا بذبحها . وهذا أيضًا تعنُّت آخر منهم بعد الأول ، وتكلُّف طلب ما قد =

= كُفُوه في المرة الثانية والمسألة الآخرة . وذلك أنهم لم يكونوا حُصِروا في المرة الثانية – إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها ، فأبوا إلا تكلف ما قد كُفُوه من المسألة عن صفتها ، فحُصِروا على نوع دون سائر الأنواع ، عقوبةً من الله لهم على مَسألتهم التي سألوها نبيَّهم ﷺ ، تعنُّتًا منهم له . ثم لم يحصُرهم على لون منها دون لون ، فأبَوْا إلا تكلف ما كانوا عن تكلُّفه أغنياء ، فقالوا – تعنُّتًا منهم لنبيهم ﷺ ، كما ذكر ابن عباس – : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ﴾ ، فقيل لهم عقوبةً لهم : ﴿ إنها بقرةٌ صفراء فاقعٌ لونها تسر الناظرين ﴾ . فحُصِروا على لون منها دون لون . ومعنى ذلك : أنَّ البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراءُ فاقعٌ لونها .

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « قالوا » قال قوم مُوسى – الذين أمِروا بذبح البقرة – لموسى فترك ذكر مُوسى ، وذكر عائد ذكره ، اكتفاءً بما دل عليه ظاهرُ الكلام . وذلك أن معنى الكلام : قالوا له : ادعُ رَبك . فلم يذكر « له » لما وصفنا .

وقوله : ﴿ يبيِّن لَنا ما هي ﴾ ، خبرٌ من الله عن القوم بجَهْلةٍ منهم ثالثة . وذلك أنهم لو كانوا إذْ أمروا بذبح البقرة ، ذبحوا أيَّتها تيسرت مما يقع عليه اسمُ بقرة ، كانت عنهم مجزئة ، ولم يكن عليهم غيرها ، لأنهم لم يكونوا كلِّفوها بصفة دون صفة . فلما سألوا بيانها بأيِّ صفة هي ، بيَّن لهم أنها بسن من الأسنان دون سَنٍّ سائر الأسنان ، فقيل لهم : هي عوان بَين الفارض والبكر والضرع . فكانوا – إذ بيِّنت لهم سنُّها – لو ذبحوا أدنى بَقرة بالسنِّ التي بُيِّنت لهم ، كانت عنهم مُجزئة ، لأنهم لم يكونوا كُلِّفوها بغير السن التي حُدثْ لَهم ، ولا كانوا حُصِروا على لون منها دون لون . فلما أبوا إلا أن تكون معرَّفَة لهم بنعوتها ، مبينةً بحدودها التي تفرِّق بينها وبين سائر بهائم الأرض ، فشدَّدوا على أنفسهم – شَدَّد الله عليهم بكثرة سؤالهم نبيَّهم واختلافِهم عليه .

ولذلك قال نبينا ﷺ لأمته : –

« ذرُوني ما تركتُكم ، فإنما أُهلِك من كان قَبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم » .

● وقد قال النبي ﷺ لأصحابه : « ذروني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم »[1] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبد لكم .. ﴾ [المائدة : ١٠١] وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء فحرِّم من أجل مسألته .. »[2] .

وقد قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل كره لكم كثرة السؤال .. »[3] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (أو) في قوله تعالى ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ؟

ج : ابتداءً فقد أجمع العلماء أن (أو)[4] في هذا الموطن ليست على الشك ثم التمسوا لها تأويلات .

● فمن العلماء من قال إن (أو) هنا بمعنى (بل) كما في قوله

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧) ص (١٨٣٠) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٨٩) ، ومسلم (حديث ٢٣٥٨) من حديث سعد رضي الله عنه مرفوعًا .
(٣) أخرج البخاري (حديث ٧٢٩٢) ، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب (.. كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) .
(٤) نقل هذا الإجماع الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون ﴾ [الصافات : ١٤٧] ، فالمعنى – والله أعلم – بل يزيدون .

● ومن أهل العلم من قال إن (أو) هنا بمعنى الواو كما قوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثما أو كفورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] فالمعنى – والله أعلم – ولا تطع منهم آثمًا وكفورًا ، وكقوله تعالى : ﴿ عذرًا أو نذرًا ﴾ [المرسلات : ٦] فالمعنى – والله أعلم – عذرًا ونذرًا وكما في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .... أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .. ﴾ [البقرة : ١٧ ، ١٩] فمنهم – والله أعلم – من مثله كمثل الذي استوقد نارًا ... ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق .... ، فالمعنى هنا على هذا التأويل أن منهم من قلبه في قسوته كالحجارة ومنهم من قلبه أشد قسوة من الحجارة[1] . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقد بسط الطبري رحمه الله تعالى القول في هذا في تفسيره فقال رحمه الله :
فإن سأل سائل فقال : وما وجه قوله : ﴿ فهي كالحجارة أو أشدُّ قَسوة ﴾ ، و « أو » عند أهل العربية ، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك ، والله تعالى جل ذكره غيرُ جائز في خبره الشك ؟

قيل : إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته ، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية ، أنها – عند عباده الذين هُم أصحابها ، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله – كالحجارة قَسوةً أو أشد من الحجارة ، عندهم وعند من عرف شأنهم .

وقد قال في جماعة من أهل العربية أقوالًا ، فقال بعضهم : إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله ﴿ فهي كالحجارة أو أشدُّ قَسوةً ﴾ ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي =

= بـ « أو » كقوله ﴿ وأرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧]، وكقول الله جل ذكره : ﴿ وإنا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدى أَوْ فِي ضَلالٍ مبين ﴾ [سورة سبإ : ٢٤] — [الإبهام عَلى من خاطبه] ، فهو عالمٌ أيِّ ذلك كان . قالوا : ونظير ذلك قول القائل : (أكلتُ بُسرة أو رُطَبة) ، وهو عالمٌ أيِّ ذَلك أكل ، ولكنه أبهم على المخاطب ، كما قال أبو الأسْود الدُّؤلي) :

أُحِبُّ مُحمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحمْزَةَ وَالوَصِيَّا
فإن يَكُ حُبُّهُمْ رَشَدًا أُصِبْه وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إنْ كَانَ غَيًّا

قالوا : ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكًّا في أن حُبَّ من سَمَّى — رَشدٌ ، ولكنه أبهم على من خاطبه به . وقد ذُكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له : شككت ! فقال : كلا والله ! ثم انتزع بقول الله عز وجل : ﴿ وإنا أو إياكمْ لَعلى هُدى أوْ في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] ، فقال : أو كان شاكًّا — من أخبر بهذا — في الهادي من الضلال .

وقال بعضهم : ذلك كقول القائل : (ما أطعمتك إلا حُلوًا أو حامضًا) ، وقد أطعمه النوعين جميعًا . فقالوا : فقائل ذلك لم يكن شاكًّا أنه قد أطعم صاحبَه الحلوَ والحامضَ كليهما ، ولكنه أراد الخبر عَمَّا أطْعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين . قالوا فكذلك قوله : ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ إنما معناه : فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثالين ، إما أن تكون مِثْلا للحجارة في القسوة ، وإما أن تَكون أشدَّ منها قسوة . ومعنى ذلك على هذا التأويل : فبعضُها كالحجارة قسوةً ، وبعضُها أشدُّ قسوة من الحجارة .

وقال بعضهم : « أو » في قوله : ﴿ أو أشدَّ قسوة ﴾ ، وأشد قَسوة ، كما قال تبارك . وتعالى : ﴿ ولَا تُطِعْ مِنْهُم آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [سورة الإنسان : ٢٤] بمعنى : وَكفُورًا ، وكما قال جرير بن عطية :

نَالَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

يعني : نال الخلافة ، وكانت له قَدَرًا ، وكما قال النابغة : =

. . . .

= قَالَتْ : أَلا لَيْتَمَا هذا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا ، أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

يريد : ونصفه .

* * *

وقال آخرون ، « أو » في هذا الموضع بمعنى « بل » ، فكأن تأويله عندهم : فهي كالحجارة بل أشد قسوة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وأرسلناه إلى مِئَة ألفٍ أو يزيدُون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧] ، بمعنى : بل يزيدون .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك فهي كالحجارة ، أو أشد قسوةً عندكم .

* * *

قال أبو جعفر : ولكلٍّ مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجهٌ وَمخرج في كلام العرب . غيرَ أن أعجبَ الأقوال إليّ في ذلك ما قلناهُ أوّلا ، ثم القولُ الذي ذكرناه عمن وجَّه ذلك إلى أنه بمعنى : فهي أوجُهٌ في القسوة : إما أن تكون كالحجارة ، أو أشدَّ ، على تأويل أن منها كالحجارة ، ومنها أشدُّ قسوةً . لأن « أو » ، وإن استُعملت في أماكنَ من أماكن « الواو » حَتى يلتبس مَعناها ومعنى « الواو » ، لتقارب معنيهما في بعض تلك الأماكن - فإنَّ أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين . فتوجيهها إلى أصلها - ما وَجدْنا إلى ذلك سبيلًا - أعجبُ إلي من إخراجها عن أصلها ، ومعناها المعروف لها .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الرفع في قوله : « أو أشد قسوة » ، فمن وجهين :

أحدهما : أن يكون عطفًا على معنى « الكاف » في قوله : « كالحجارة » ، لأن معناها الرفع . وذلك أن معناها معنى « مثل » ، [فيكون تأويله] : فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة .

س : من العلماء من يقول إن الله عز جل أعطي بعض الحجارة المعرفة والفهم فهي تعقل طاعة الله عز وجل وتطيعه ما مدى صحة هذا القول ؟

ج : هذا القول عندي صحيح ، ومستند ذلك ما يلي .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ [الحشر : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلَّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب ... ﴾ [الحج : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصلت : ١١] .

● وقوله جل ذكره : ﴿ .. ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربُّه للجبل جعله دكًّا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

● وقال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

● وقال تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] .

● وقال تعالى ﴿ .. وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة : ٧٤][1] .

---

(١) صح عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم في التفسير (٧٦٧) أنه قال في قوله : ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة : ٧٤] قال إن الحجر ليقع إلى الأرض فلو =

- وقال النبي ﷺ : « إني أعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ » .
- وقال عليه الصلاة والسلام : « أحدٌ جبل يحبنا ونحبه » .
- وقد حن الجذع لرسول الله ﷺ .
- وقد سبح الحصى في يد رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ٧٤] ، خبر عن الله سبحانه وتعالى ما هو المراد منه ؟

ج : المراد – والله أعلم – من هذا الخبر التهديد والتحذير من مخالفة أمر الله عز وجل[1] .

❋ ❋ ❋

= اجتمع عليه فئام من الناس ما استطاعوا به ، وإنه ليهبط من خشية الله .

وقد أعله المعلق على ابن أبي حاتم بأحد رجاله وهو (عبيد الله بن موسى) ولا يوافق المعلق على الإعلال في مثل هذا الموطن ، فعبيد الله بن موسى من رجال الجماعة . والأمر فيه يحتاج إلى تفصيل أوسع مما ذكره المعلق حفظه الله ، وهو يروي الحديث عن إسرائيل وقد قال الحافظ ابن حجر فيه : (هو أثبت في إسرائيل من أبي نعيم) وهذا التعليق يحتاج إلى إطالة ليس محلها هذا التفسير ، وبالله التوفيق .

(١) قال القاسمي في « محاسن التأويل » : وقوله تعالى : ﴿ وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ٧٤] فيه التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى ، فإن الله عز وجل إذا كان عالمًا بما يعملونه مطلعًا عليه غير غافل عنه ، كان لمجازاتهم بالمرصاد .

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

س : اذكر معاني الكلمات :-
يؤمنوا لكم - كلام الله - يُحرفونه - عقلوه - فتح - يحاجوكم - أمّيون - أماني - فويلٌ ؟

ج :

الكلمة	معناها
يؤمنوا لكم	يصدقوكم بما جاءكم به نبيكم ﷺ - يتابعونكم على دينكم وهي كقوله تعالى ﴿ فآمن له لوط ﴾ [العنكبوت : ٢٦]

الكلمة	معناها
	وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه .. ﴾ [يونس : ٨٣] وقول اليهود لموسى ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] وقول اليهود ﴿ لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٧٣] وقول الكافرين لنوح ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ، وقول موسى ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ [الدخان : ٢١]
كلام الله	قيل هي التوراة ، وقيل هي كلام الله مع موسى عليه السلام لما خرج لميقات ربه ومعه السبعون رجلًا كما قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف : ١٥٥]
يُحرفونه	يغيرونه - يبدلون معناه ويؤولونه على غير وجهه ، والله أعلم .
عقلوه	عرفوه - فهموه
فتح	فتح تأتي بمعان منها حكم ، وقضى ، ونصر ، وفرَّق بين شيئين ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ [الأعراف : ٨٩] أي اقض ، واحكم ، والفتاح : القاضي وقوله تعالى ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ [سبأ : ٢٦] ويأتي بمعنى النصر كما في

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	قوله تعالى ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] أي يقولون سيخرج نبي فنتبعه وننتصر عليكم
يحاجوكم	يُخاصموكم - يعيِّروكم - يجادلوكم
أميون	جمع أُمِّيٍّ [1] وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ومنه قول النبي ﷺ «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»
أماني	ظنون وأكاذيب باطلة وتوهمات وتمنيات لا أساس لها
ويلٌ	الويل هو العذاب والهلاك والدمار - وقيل جبل في النار وقيل واد في جهنم ، والله تعالى أعلم

* * *

(١) قال الطبري رحمه الله : وأرى أنه قيل للأمي (أمي) نسبة له بأنه لا يكتب إلى أُمِّه لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه .

قلت : وقال بعض أهل العلم : إن الأميين نسبة إلى الأمة ، قال بعضهم : وما عليه العامة فمعنى الأمي العامي الذي لا تمييز له .

وقال بعض أهل العلم في حديث رسول الله ﷺ : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » أي أن ديننا لا يحتاج إلى أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صلاتهم وصومهم بكتاب وحساب . وهذا الحمل وإن كان له وجه من ناحية إلا أنه إذا فهم منه أن رسول الله ﷺ كان يكتب أو يحسب فهذا خطأ ، ويؤيده نفي الكتابة والحساب في الحديث (إنا أمةٌ أمية لا نكتب ولا نحسب) وقوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآيتنا إلا الظالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٨] والله تعالى أعلم .

س : الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أفتطمعون ﴾ [البقرة: ٧٥] ما نوعه ؟

ج : هو استفهام إنكاري الغرض منه الاستبعاد ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى ﴿ أفتطمعون ﴾ ؟ وما هو المضمر في قوله تعالى : ﴿ يؤمنوا لكم ﴾ [البقرة : ٧٥] ؟

ج : المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ أفتطمعون ﴾ هم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون ، والمضمر في قوله تعالى : ﴿ يؤمنوا لكم ﴾ هم اليهود[1] .

❋ ❋ ❋

س : من هو هذا الفريق الذي كان يسمع كلام الله ثم يحرفه ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المراد فريق من علماء اليهود سواء المعاصرين لرسول الله ﷺ أو الذين تقدَّموه .

الثاني : أنهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه عز وجل كما قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف :١٥٥] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر صور تحريف اليهود للتوراة ؟

ج : من هذه الصور كتمان ما في التوراة من حق وإظهار ما عندهم من باطل فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ » فقالوا نَفْضَحُهُم ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام رضي الله

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٣٢٧) قال : هم اليهود .

عنه كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة[1] .

● وقد قال الله تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٩١] .

● ومنها ما أخرجه الطبري رحمه الله تعالى بإسناده (١٣٣١) إلى ابن زيد[2] في قوله تعالى : ﴿ يسمعون كلام الله ﴾ [البقرة : ٧٥] قال : التوراة التي أنزلها عليهم يُحرفونها يجعلون الحلال فيها حرامًا ، والحرام فيها حلالًا ، والحق فيها باطلًا ، والباطل فيها حقًّا إذا جآءهم المحقُّ برشوة أخرجوا له كِتاب الله ، وإذا جآءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق ، وإن جاء أحدٌ يسألهم شيئًا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال لهم ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ وهم يعلمون ﴾ ؟

ج : فائدته بيان عظم جرمهم ، وهو أنهم لم يحرفوا المعنى بجهلٍ وخطأ وإنما حرَّفوه بعد ما علموه يقينًا وعلموا وجه الصواب فيه وتأكدوا ثم عمدوا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٤١) ، ومسلم (حديث ١٦٩٩) .

(٢) صحيح إلى ابن زيد ، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ولكن بقي النظر في ابن زيد نفسه فهو ضعيف .

إلى اللفظ فحرفوه أو إلى وجه الصواب فأوَّلوه وصرفوه عن وجهه والله أعلم .

ومن أهل العلم من يقول : قوله : ﴿ وهم يعلمون ﴾ أي يعلمون عقوبة تحريفه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أفتطمعون يا أصحاب محمد أن يصدقكم هؤلاء اليهود ويتابعوكم على دينكم وقد كان أسلافهم يحرفون كلام الله عز وجل عن عمدٍ وقصد وعلى علم منهم بأن هذا تحريف وأن فاعله معاقب .

● وقال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره « تيسير الكريم المنان » : هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب ، أي فلا تطمعوا في إيمانهم ، وأخلاقهم لا تقتضي الطمع فيهم فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه فيضعون له معاني ما أرادها الله ليوهموا الناس أنها من عند الله وما هي من عند الله فإذا كانت حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدُّون به الناس عن سبيل الله فكيف يرجى منهم إيمان لكم ؟ فهذا من أبعد الأشياء .

قلت : وثمَّ وجه آخر في تفسير الآية الكريمة ، وهو أن الفريق المذكور في قوله تعالى : ﴿ وقد كان فريق منهم ﴾ هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام كما قدمنا ، وعلى هذا فالمعنى كيف تطمعون يا أصحاب محمد ﷺ في تصديق هؤلاء اليهود لكم واتباعهم سبيلكم وإذعانهم لنبيكم ولكتابكم ، وقد كان أجدادهم – الذين خرجوا مع موسى عليه السلام –

يسمعون كلام الله عز وجل بلا واسطة[1] وهم مع نبيهم موسى ثم ما هي إلا مسافة طريق الرجوع من الطور إلى بلادهم حتى يحرفون الكلم الذي سمعوه عن مواضعه عامدين لذلك متعمدين له عالمين به ، فهؤلاء الموجودون بينكم أحرى وأجدر بهم أن يجحدوا الحق الذي جئتموهم به كما جحد أسلافهم ، فكذبهم على الله قديم وعداوتهم لرسل الله قديمة .

---

(١) ولكن هل في كتاب الله عز وجل ما يفيد أن الله جل ذكره كلَّم هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه كما في قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، أم أن الله عز وجل اختص نبيهم موسى فقط بالتكليم ثم أخبرهم موسى عليه السلام بالذي أراده الله منهم ؟ لأهل العلم هنا قولان ففريق يرى أن ربهم عز وجل كلمهم ثم حرفوا الكلام على ما ذكر ، وفريق أنكر ذلك إنكارًا شديدًا .

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره « المحرر الوجيز » (١/٢٦٧) : وفي هذا القول ضعف ومن قال إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم .

ونقل ابن الجوزي في « زاد المسير » عن الحكيم الترمذي (صاحب النوادر) أنه أنكر تكليم الرب للسبعين إنكارًا شديدًا وقال : إنما خص بالكلام موسى وحده ، وإلا فأي ميزة ، وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذابًا .

وقال القرطبي في تفسيره .. وإنما الكلام شيء خُصَّ به موسى من بين جميع ولد آدم فإن كان كلَّم قومه أيضًا حتى أسمعهم كلامه فما فَضْلُ موسى عليهم ، وقد قال وقوله الحق ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا واضح.

قلت : قوله تعالى ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، سيأتي الحديث عليه في بابه إن شاء الله ، ولكن هل هذه الآية الكريمة ﴿ إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، هل تنفي أن الله عز وجل كلم غير موسى عليه السلام ؟ هذا أيضًا سيأتي في بابه إن شاء الله لكننا نشير هنا إلى أن الله عز وجل كلم آدم وحواء عليهما السلام بقوله ﴿ فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [الأعراف : ١٩] وقال تعالى : ﴿ فناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة .. ﴾ [الأعراف : ٢٢] . =

س : من المساعدات على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أن يفهم الشخص شيئًا عن الذي يدعوه ويعرف أحواله وظروفه وملابسات أخلاقه وأفعاله .. إلى غير ذلك وضح هذا ؟

ج : نعم فإن هذا أقرب إلى سداد الداعي في كثير من الأحيان إذ يعرف كيف يشخص المرض وكيف يعالج ومن أين يأتي إلى المدعو ، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن : « إنك سوف تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله عز وجل فإن هم

= • وكلَّم الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ كما في ليلة المعراج التي فيها فُرضت الصلوات .

وكلَّم الله عز وجل إبراهيم فقال سبحانه : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ [الصافات : ١٠٤، ١٠٥] .

• ونادى ربنا سبحانه وتعالى نبيه أيوب لما أمره أن يضرب برجله فخرج الماء وقال الله له : ﴿ هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [ص : ٤٢] ، وأرسل إليه جرادًا من ذهب وجرادًا من فضة فجعل أيوب عليه السلام يحثو في ثوبه فناداه ربُّه يا أيوب ألم أكن أغنيتك قال بلى يا رب ، ولكن وعزتك لا غنى لي عن بركتك[(١)] .. إلى غير ذلك والله أعلم .

---

(١) أخرج ابن حبان بإسناد صحيح (موارد الظمآن) (٢٠٩١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ... » الحديث وفيه وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [ص : ٤٢]، فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان ..» الحديث وفيه وكان له أبدران أبدر القمح وأبدر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أبدر (وفي رواية أندر) القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، وأفرغت الأخرى على أبدر الشعير الورِق حتى فاضت .

أطاعوك فأخبرهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»[1] الحديث .

فهنا لما علم الشخص من سيدعوهم بدأ بالأهم الذي يحتاجون إليه وقدمه على غيره وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أحوال بني إسرائيل من إعراضهم عن المرسلين ، وليس إعراضًا منهم فقط بل كذبهم على الله عز وجل ، وتحريفهم الكلم عليه سبحانه فقال عز وجل : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ٧٥] ، فهذا يجعل الشخص متزنًا في دعوته إلى الله وخاصة إذا رأى من قومٍ عدم استجابة وكان أسلافهم كذلك فلا تذهب نفسه عليهم حسرات ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بقوله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ [البقرة : ٧٦] ؟

ج : المراد بهم في هذه الآية الكريمة طائفةٌ من اليهود ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي فتحه الله عليهم ؟

ج : فيه ثلاثة أقوال :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم (حديث ١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن قال له : « إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذ أقروا بذلك فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموال الناس » .

(١) العقوبات التي أنزلها الله عز وجل على أسلافهم من المسخ إلى قردة وخنازير والتوبة بقتل بعضهم البعض ونحو ذلك .

(٢) هو معرفتهم صفة محمد ﷺ في التوراة التي بين أيديهم ، ومعرفتهم صدق ما جاء به .

(٣) أوجه الإنعام التي أنعم الله بها على بني إسرائيل لما صدقوا موسى وتبعوه ، وأوجه العقوبات التي حلّت بهم لما خالفوه والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ [البقرة: ٧٦]؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن بعض اليهود كانوا إذا التقوا بالمؤمنين قالوا لهم آمنا بما معكم وصدقنا أن هذا نبيٌّ لأن صفته في كتابنا وقد أُخذ علينا الميثاق أن نؤمن به ، ثم إن هذا النبي يُخبرنا بالذي حكم الله علينا به من التصديق بنبيه إذا بعث ، ويخبرنا هذا النبي أيضًا بما عاقب الله به أسلافنا من المسخ وجعل المعتدين منهم قردة وخنازير ، ويخبرنا بالذي كان من أسلافنا من أمر عبادتهم للعجل و إلى غير ذلك ثم إذا انصرف هذا الفريق من اليهود إلى إخوانهم اليهود عاتبهم إخوانهم بقولهم : ﴿ أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٧٦] ، أي كيف تحدثوا هؤلاء المسلمين بما قضى الله به عليكم – أي على أجدادكم – من العقوبات وما ألزمكم الله به من الإيمان بنبيهم إذا بُعث ، فإنكم بحديثكم هذا لهم تجعلوهم يحتجون عليكم به عند ربكم وتجعلونهم أكثر ثباتًا على الإيمان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ عند ربكم ﴾ في قوله تعالى ﴿ ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ [البقرة : ٧٦] ؟

ج : قيل إن المراد الآخرة أي أن المراد عند السؤال يوم القيامة فيكون ذلك من باب التوبيخ وإظهار الفضيحة .

وقيل عند ربكم أي في حكم ربكم وقضاء ربكم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ [النور : ١٣] وكما يقال فلان عندي عالم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [البقرة : ٧٧] يرجع إلى من ؟

ج : الضمير يرجع إلى اليهود الذين لاموا إخوانهم لما حدثوا المؤمنين بما حكم الله به عليهم وقضى عليهم به ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [البقرة : ٧٧] ؟

ج : الاستفهام معناه هنا التوبيخ والإنكار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى ﴿ ومنهم أميون ﴾ [البقرة : ٧٨] مِنْ مَنْ ؟ وضح المعنى ؟

ج : مِن اليهود ، والمعنى أن من اليهود من هم أهل علمٍ لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه على علمٍ منهم بذلك التحريف وبعقوبته ، ومنهم أهل نفاق ﴿ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .. ﴾ [البقرة : ٧٦] ومنهم أميون ، والمراد بهم هنا العوام الجهلة .

س : ما هو الكتاب المراد في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب ﴾ [البقرة : ٧٨] وما معنى قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ ؟

ج : المراد بالكتاب التوراة ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ أي لا يعلمون عن الكتاب وعن ما فيه من أحكام وفرائض وحدود وحلال وحرام ومع ذلك يدعون أنهم مقرون بالكتاب وهم لا يدرون عما فيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأماني في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالأماني أقوال منها :

١ – أنها جمع أمنية ، وهي أماني كاذبة يتمنونها ويغرون بها أنفسهم ويوهمونها بها كقولهم ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ﴾[1] وقولهم ﴿ لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وقولهم ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

فعلى ذلك فالأماني هنا هي الأوهام والأكاذيب التي يوهمون بها أنفسهم .

٢ – أن الأماني هي التخرصات والظنون الباطلة التي يعتقدونها .

٣ – أن الأماني هي القراءات أي : قراءات يقرءونها ولا يفهمون معناها

---

(١) قال تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم ﴾ [البقرة : ١١١] وقال تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يُجْز به ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] .

ومن ورود الأمنية بمعنى القراءة قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج : ٥٢] .

فتمنى في الآية الكريمة بمعنى (قرأ) ، ومن ورود التمني بمعنى القراءة قول الشاعر .

تمنى كتاب الله آخر ليله   تمني داود الزبور على رسل

وقوله :

تمنى كتاب الله أول ليله   وفي آخره لا في حمام المقادر

فعلى ذلك ، فمعنى الآية على هذا التأويل : ومنهم أميون لا يعلمون شيئًا عن حقيقة الكتاب ، والمراد به ، اللهم إلا قراءات يقرءونها ولا يحفظون معناها ويرددونها كالببغاوات .

ولكن هذا التأويل هنا ضعيف ، أعني تأويل الأماني بالقراءة في هذا الموطن وذلك لأن الله سبحانه وتعالى وصفهم بأنهم أميون ، والأُمي لا يقرأ ولا يكتب .

والوجه الأول عندي أصح ، وعليه فمعنى الآية ، ومن اليهود قوم أميون (لا يقرءون ولا يكتبون) لكن يظنون بأنفسهم ظنونًا باطلة ويختلقون إفكًا وزورًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى (إن) في قوله تعالى ﴿ وإن هم إلا يظنون ﴾ [البقرة: ٧٨]؟

ج : (إن) هنا بمعنى (ما النافية) والمراد : وما هم إلا يظنون .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ [إبراهيم : ١١] أي ما نحن إلا بشر مثلكم .

● وكقوله تعالى ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾ [الملك : ٢٠] ، أي ما الكافرون إلا في غرور .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى إلا في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] وما هو نوع الاستثناء في الآية الكريمة ؟

ج : إلا في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ معناها لكن ، أي لكن أماني أما الاستثناء في هذا الموطن فهو استثناء منقطع[1] ، وهو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كأن تقول حضر القوم إلا الباخرة لم تحضر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] ، فاتباع الظن ليس من جنس العلم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ [الليل : ١٩ ، ٢٠] .

❋ ❋ ❋

س : من المعلوم أن الكتابة لا تكون إلا بالأيدي فما هو وجه قوله تعالى : ﴿ يكتبون الكتاب بأيديهم) [البقرة : ٧٩] ؟

ج : وجه ذلك تأكيد كتابتهم للكتاب فقد يأمر الشخص غيره بالكتابة

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره (٢٦٤/٢) ما حاصله : أن الاستثناء المنقطع يكون في كل موضع حَسُن أن يوضع فيه مكان (إلا) « لكن » فيعلم حينئذٍ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول ، ألا ترى إنك إذا قلت ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] ، ثم أردت وضع لكن مكان (إلا) وحذف (إلا) وجدت الكلام صحيحًا معناه صحته وفيه (إلا) وذلك إذا قلت : ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أماني يعني لكنهم ، يتمنون ، وكذلك قوله : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] لكن اتباع الظن بمعنى لكنهم يتبعون الظن ، وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا والله أعلم .

فيكتب ويسمى الآمر كاتبًا ، أي أنهم لم يأمروا غيرهم بكتابته بل باشروا الكتابة بأنفسهم وزوّروها بأيديهم فهو بيان لجرمهم وإثبات لتحريفهم وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] ومن المعلوم أن الطيران يكون بالجناح ، وكقوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] والقول لا يكون إلا بالأفواه ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ يكتبون الكتاب ﴾ [البقرة : ٧٩] ؟

ج : المعنى يغيرون ما في الكتاب ويحرفونه ويبدلونه وأيضًا كتبوا كتابًا بأيديهم وقالوا هذا من عند الله افتراء وكذبًا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تقرءونه غضًّا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا أفلا ينهاكم ما جآءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم .

***

س : قال تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] ، هل إذا اشتروا به ثمنًا كثيرًا جاز ؟

ج : لا يجوز تحريف الكتاب من أجل الثمن القليل ولا من أجل الثمن الكثير ، والمراد بقوله تعالى : ﴿ ثمنًا قليلًا أي عرضًا من أعراض الدنيا سواء كان قليلًا أو كثيرًا ، فكل متاع الدنيا قليل كما قال سبحانه : ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [التوبة : ٣٨] والله تعالى أعلم .

س : لماذا كرر الويل في قوله تعالى : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] ؟

ج : كرر الويل للتوبيخ والتقريع وتقبيح الجريمة ، جريمة التحريف والافتراء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

س : ما معنى :- معدودة ؟

ج :

الكلمة	معناها
معدودة	أي يعدها العاد ، والمراد أيامًا قليلة كما في قوله تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف : ٢٠] أي دراهم قليلة وكما في قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤] أي قليلة على رأي لبعض العلماء ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأيام المعدودة في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النَّار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] ؟

ج : قيل إنها بعدد الأيام التى عبدوا فيها العجل ، فقيل هي سبعة أيام وقيل أربعون يومًا وقيل غير ذلك ، فالله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسيئة في قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ؟

ج : السيئة – في قول أكثر أهل العلم – في هذا الموطن المراد بها الشرك[1] والله أعلم .

---

(١) وقد أخرج الطبري (١٤٢١) بإسناد حسن عن أبي وائل أنه قال في تفسير السيئة في هذا الموطن إنها الشرك .

وكذلك روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنها الشرك أيضًا (أثر ١٤٢٤) ، وعن غيرهم كذلك أنها الشرك .

قال الطبري رحمه الله تعالى (٢٨٢/٢) : وإنما قلنا إن (السيئة) التي ذكر الله جل ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدين فيها في هذا الموضع إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامًّا لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار ، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها ، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان ، فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، قوله : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨٢] ، فكان معلومًا بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان .

وقال القاسمي في « محاسن التأويل » (١٧٧/٢) : تنبيه : ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الخلود في النار إنما هو للكفار المشركين لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار ، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود ، والله أعلم .

س : اصطلاح السيئة قد يأتي في الكتاب العزيز ويُراد به الشرك ، وقد يأتي أحيانًا ويُراد به الكبيرة ، وقد يأتي أحيانًا أخرى ويُراد بها الصغيرة دلِّل على ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها في الكتاب العزيز ، ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه ، ومن هذا كلمة السيئة .

● فتأتي أحيانًا بمعنى الشرك كما في هذه الآية الكريمة ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، وذلك لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك ومن على شاكلته من الملاحدة ومنافقي نفاق الاعتقاد .

ومن هذا أيضًا قوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فكُبت وجوههم في النار ﴾ [النمل : ٩٠] .

● وتأتي السيئة أحيانًا بمعنى الكبيرة كما قال تعالى في شأن قوم لوط : ﴿ .. ومن قبل كانوا يعملون السيئات ﴾ [هود : ٧٨] .

● وتأتي أحيانًا بمعنى الصغيرة كما في قوله تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ [النساء : ٣١] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ [البقرة : ٨١] ؟

ج : قال كثير من أهل العلم : إن معناها (ومات على الكفر) .

● وبعضهم قال : غلبت سيئاته حسناته فأذهبتها ومحقتها ، فالمحيط بالشيء، يكون أعظم من الشيء المحُاط به ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها ﴾ [الكهف : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ [التوبة : ٤٩] .

● وبعض العلماء يقول : اجتمعت عليه سيئاته حتى أهلكته كقوله تعالى : ﴿ إلا أن يحُاط بكم ﴾ [يوسف : ٦٦] أي تهلكوا والله تعالى أعلم .

● ومن العلماء من يقول إن الخطيئة هنا هي الكبيرة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل مرتكب الكبيرة لا بد أن يُعذب وإن تاب منها وكيف يكون حاله إذا لم يتب منها ؟

ج : أما قول القائل : (لا بد أن يُعذب إن تاب أو لم يتب) فخطأ ظاهر ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨] .

● وقال النبي ﷺ بعد أن ذكر جملة من الكبائر : « فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه »[1].

وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

● وقال تعالى : ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون ﴾ [العنكبوت : ٢١] .

● وقال تعالى : ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف : ١٥٦] إلى غير ذلك من الأدلة .

فمرتكب الكبيرة لا يُستطاع القطع في حقه بأنه سيعذب سواءً تاب منها أم لم يتب منها .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٨) ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك.

لكنه إن تاب منها فتوبته أرجى لكشف العذاب عنه ، قال تعالى : ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ [الزمر : ٥٤].

وقال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانًا * إلا من تاب ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] .

● وقال نوح لقومه : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا ﴾ [نوح : ١٠ ، ١١] .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين الذي أتمهم وقتل العابد فأكمل به المائة لما توجه بقلبه إلى الله تعالى تائبًا تلقته ملائكة الرحمة[1] .

● وفي الحديث القدسي : « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم ... »[2] .

❋ ❋ ❋

س : صاحب الكبيرة إن قدر الله عليه العذاب هل يُخلد في النار ؟

ج : لا يُخلد في النار ، بل يأخذ ما قدره الله عز وجل عليه من العذاب ثم يكون مآله إلى الجنة فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ففي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : « ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » ، قلت : وإن زنى وإن سرق » قال : « وإن زنى وإن سرق » ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ومسلم (حديث ٢٧٦٦) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث ٢٥٧٧) ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (... فذكره) .

قال : « وإن زنى وإن سرق » ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر »[1] ؟

● وفي الصحيح[2] أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودُّوا فيلقون في نهر الحيا » - أو الحياة - شك مالك (أحد رواة الحديث) « فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية كريمة وحديثًا نبويًّا شريفًا في معنى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] ؟

ج : أما الآية الكريمة فهي في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ ، ٢٤] .

● أما الحديث النبوي فقد أخرجه البخاري[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لما فُتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم في الإيمان (١٥٣ ، ١٥٤) ، وفي الزكاة (٣٢ ، ٣٣) ، وفي رواية (أتاني آت من ربي فأخبرني - أو قال بشرني - أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال: « وإن زنى وإن سرق » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٢) ، ومسلم (حديث ١٨٤) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) حديث (٣١٦٩) .

النبي ﷺ اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود فجُمعوا له ، فقال : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه » فقالوا : نعم ، قال لهم النبي ﷺ : « من أبوكم » قالوا : فلان ، فقال : « كذبتم بل أبوكم فلان » ، قالوا : صدقت ، قال : « فهل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألت عنه » ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم : « مَن أهل النار » قالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها . فقال النبي ﷺ : « اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ثم قال : « هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : « هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا » ؟ قالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك » ؟ قالوا : إن كنت كاذبًا نستريح ، وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

❋ ❋ ❋

س : ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الأيام) لا يضاف إلا إلى العشرة فما دونها فيقال مثلًا عشرة أيام ، تسعة أيام ... ثلاثة أيام ولا يقال إحدى عشر أيام بل يقال إحدى عشر يومًا وهذا واضح ، ومن ثمَّ بنى بعض الأحناف على هذا رأيًا فقهيًّا حاصله أن أقل مدة للحيض ثلاثة أيام وأكثر مدة للحيض عشرة أيام مستدلين بحديث رسول الله ﷺ للمرأة لما حاضت : « دعي الصلاة أيام أقرائك » فهل يسلم لهم هذا الاستدلال ؟

ج : لا يسلم لهم هذا الاستدلال ، وذلك لأن الأيام أحيانًا قد يوصف بها ما فوق العشرة كما قال تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات ﴾ [البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤] والأيام المعدودات هي شهر رمضان بتمامه ، وهو فوق العشرة بلا شك .

❋ ❋ ❋

وأيضًا فإن سلم لهم الاستدلال من جانب فهو محمول على الأغلب ، بمعنى أن أغلب النساء حيضتهن تتراوح مدتها ما بين الثلاثة أيام إلى العشرة أيام ، والقلة منهن اللواتي يزدن في مدة حيضهن عن العشرة أيام ، وقليل منهن من تنقص مدة حيضتها عن ثلاث ، والحكم يكون للأغلب ، والله تعالى أعلم .

***

س : لماذا قيل في هذه الآية الكريمة : ﴿ أيامًا معدودة ﴾ وقيل في سورة آل عمران ﴿ أيامًا معدودات ﴾ والموصوف شيء واحد وهو الأيام ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي في تفسيره بقوله[1] : إن الاسم إذا كان مذكرًا فالأصل في صفة جمعه التاء ، يقال كوز وكيزان مكسورة ، وثياب مقطوعة ، وإن كان مؤنثًا كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء يُقال جرة وجرار مكسورات وخابية وخوابي مكسورات إلا أنه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكر في بعض الصور نادرًا نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وسبطرات ، وعلى هذا ورد قوله تعالى : ﴿ في أيام معدودات ﴾ [البقرة : ٢٣] و ﴿ في أيام معلومات ﴾ [الحج : ٢٨] فالله سبحانه تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله : ﴿ أيامًا معدودة ﴾ وفي آل عمران بما هو الفرع والله تعالى أعلم .

***

(١) التفسير الكبير (٣/١٣٠) .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

اليتيم - المسكين - حُسنًا ؟

ج :

الكلمــة	معناهــــا
اليتيم	هو من مات أبوه وهو صغير لم يحتلم .
المسكين	هو المتذلل المتخشع من الفاقة والحاجة - الذي أسكنه الفقر وأسكنته الحاجة ، وهو أيضًا العاجز عن الكسب أو الذي يكتسب ولكن يكتسب ما لا يكفيه .
حُسنًا	قولًا معروفًا لينًا حَسنًا طيبًا جميلًا ، ومن القول الحسن بذل السلام للناس وتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم والبشاشة في وجوههم والابتعاد عن الفحش من القول والبذاءة والشتم والسباب .

س : ما هو هذا الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل في قوله تعالى ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ... ﴾ ؟ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : قال كثير من العلماء : هذا ميثاق مأخوذ عليهم في التوراة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات الواردة في الأمر بالإحسان إلى الوالدين والحث على ذلك وكذلك بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد مع بيان بعض صور الإحسان إليهما ؟

ج : أما الآيات الوادرة في هذا الباب فكثيرة ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعبادته التي هي توحيده ، والبراءة من الشرك اهتمامًا به وتعظيمًا له ، فمن الآيات في هذا الباب ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● وقال تعالى : ﴿ واعبدو الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

● وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا اتل ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالولدين إحسانًا ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

● وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا وإن جاهداك لتشرك

بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [العنكبوت : ٨] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليَّ ..﴾ [لقمان : ١٣ ، ١٥] .

● وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ [الأحقاف : ١٥ - ١٦] .

● وأثنى الله عز وجل على نبيه يحيى عليه السلام فقال : ﴿ وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًّا ﴾ [مريم : ١٤] .

● وقال عيسى ﷺ وهو في المهد يتكلم : ﴿ وبرًّا بوالدتي ﴾ [مريم :٣٢] .

● أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها :

● ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ : أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « برُّ الوالدين » ، قلت : ثم أيُّ ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[١] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٠) ، ومسلم (٨٥) ، والنسائي (١/٢٩٢) ، والترمذي (١٧٣) وقال : حديث حسن صحيح .

● وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ ، فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى ، فقال : « هل لك من والديك أحد حيٌّ » ؟ قال : نعم بل كلاهما ، قال : « فتبتغي الأجر من الله تعالى » ؟ قال : نعم : قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » ، واللفظ لمسلم .

وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أيضًا قال : جاء رجل فاستأذنه في الجهاد قال : « أحي والداك » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد »[1] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِمَ أنف ثم رَغِمَ أنف ثم رَغِمَ أنف » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة »[2] .

● وسئل النبي ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ، قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أبوك »[3] .

● وفي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة وأغلقت عليهم الغار ، فتوسل أحدهم ببره لوالديه ففرج الله عز وجل عنهم[4] .

● وفي الباب كذلك حديث أويس القرني الذي عدَّه رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٤٠/٦) ، ومسلم (٤١١/٥) وأبو داود (٢٥٢٩) والنسائي (١٠/٦) ، والترمذي (١٦٧١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٤١٦/٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٠١/١٠) ومسلم (مع النووي ٤١٠/٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٠٤/١٠) ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

خير التابعين لبره بأمه[1] .

● وفي الباب أيضًا استجابة دعوة أم جريج على ولدها لما قالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المياميس لما أقبل على صلاته ولم يلتفت لأمه[2] .

ومن صور الإحسان إلى الوالدين برُّهما والعطف عليهما والنزول عند رأيهما فيما لا معصية فيه ، ودعوتهما إلى الله عز وجل[3] ، والحج عنهما إذا لم يكونا قد حجا وكذلك الاعتمار ، وكذلك الوفاء بنذورهما ، والصدقة عنهما ، والاستغفار لهما بعد موتهما وصلة أهل وُدهما ، وإلانة القول لهما وخفض الجناح إليهما والتزام الأدب الوارد عن رسول الله ﷺ في التعامل معهما مُسلمين كانا أو كافرين .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور الإحسان لذي القربى ؟

ج : من صور الإحسان لذي القربى معرفة حقهم وقرابتهم ووصل الرحم لهم كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص قال : سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول : « إن آل أبي (يعني فلانا) ليسوا لي بأولياء إنما وليِّ الله وصالح المؤمنين »[4] . زاد عنبسة بن عبد الواحد (كما عند البخاري) عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص

---

(١) حديث أويس أخرجه مسلم (مع النووي ٥/٤٠٣) وقصته هناك بتفصيل .

(٢) قصة جريج في البخاري (مع الفتح ٦/٤٧٦) ، ومسلم (٥/٤١٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وأوله « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة .... » .

(٣) كما كان إبراهيم الخليل يفعل فيقول : ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًّا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا ﴾ [مريم : ٤٢ - ٤٥] .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٠) ، ومسلم (حديث ٢١٥) والزيادة عند البخاري ، وهي معلقة كما ترى وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٤٢٢) من وصلها .

قال سمعت النبي ﷺ : « ولكن لهم رحم أبلها ببلالها » يعني : أصلها بصلتها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو حد اليتم ؟

ج : حد اليتم[1] هو البلوغ (أي : الاحتلام) عند كثير من العلماء ومنهم من حدَّه بالإنبات (إنبات شعرٍ حول العانة) لما حدث يوم بني قريظة من أن الصحابة كانوا ينظرون فمن نبت له شعر حول العانة قُتل وإلا تُرك[2] .

● ومنهم من حدَّه بخمس عشر سنة لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أُحد (وهو ابن أربع عشرة سنة) فرده النبي ﷺ ثم عُرض عليه وهو يوم الخندق (وهو ابن خمس عشرة سنة) فأجازه النبي ﷺ[3] والأول أصح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله : واليتيم في بني آدم من فقد الأب ، وفي البهائم من فقد الأم .

(٢) صحيح فقد أخرج أحمد في المسند (٣١٠/٤، ٣٨٣) ، وأبو داود في سننه (حديث ٤٤٠٤) ، والترمذي (١٥٨٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي (١٥٥/٦) ، (٩٢/٨) ، وابن ماجه (حديث ٢٥٤١) ، والحاكم (١٢٣/٢) وغيرهم من طريق عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال : عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قُتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فَخُلِّي سبيلي .

● وقد توبع عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي كما عند الحاكم (١٢٣/٢) ، والحميدي (٨٨٩) ، والنسائي في الكبرى (٨٦١٩) تابعه مجاهد بن جبر عن عطية القرظي .

● وتابعه أيضًا كثير بن السائب قال : حدثني ابنا قريظة أنهم عرضوا على رسول الله ﷺ يوم قريظة فمن كان محتلمًا أو نبتت له عانته قتل ومن لم يكن محتلمًا أو لم تنبت عانته تُرك .

وبالجملة فالحديث يثبت بهذه الطرق ، والله أعلم .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (حديث٤٠٩٧) ، ومسلم حديث (١٨٦٨) .

س : اذكر حديثًا في فضل كافل اليتيم ، وحديثًا في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ؟

ج : أما الحديث الوارد في فضل كافل اليتيم فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئًا[1] .

● أما الحديث الوارد في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ففي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة استدلال من استدل بقوله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حُسنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] على أننا نبدأ اليهود والنصارى بالسلام ؟

ج : هذا استدلال غير جيد ؛ لأن النبي ﷺ قال : « لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ... »[3] ، ثم إن القول الحسن لا يستلزم الابتداء بالسلام .

والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٣٠٤) ومسلم في « الزهد » (حديث ٢٩٨٣) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٣٥٣) ، ومسلم في « الزهد » (٢٩٨٢) .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٤/ ١٤٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » .

س : القولِ الحسن هل هو مطلوب مع المؤمنين فقط أم مع عموم الناس ؟

ج : القول الحسن مطلوب مع عموم الناس ولا يُخرج عنه إلى غيره إلا إذا بدر ممن تتعامل معه سوء فحينئذ يجوز لك نوع من الانتصار بقدر المظلمة .

أما الأدلة على أن القول الحسن عام فمنها ما يلي :

● عموم قوله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● قول الله عز وجل لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون : ﴿ فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] .

● قول الله عز وجل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

● قوله تعالى : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

● قوله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كرامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

● وقال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [الممتحنة : ٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم ﴾ [فصلت : ٣٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

● قول النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

وفي رواية : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف ، وما لا يُعطي على ما سواه »[1].

وفي رواية : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »[2].

● وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله »[3].

● أما الشدة فتجوز أحيانًا إن احتيج إليها كما قال سبحانه :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] فحيث لا ينفع معهم إلا الغلظة استعملت الغلظة معهم .

● وقال تعالى : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ [النساء : ١٤٨] .

● وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾ [الشورى : ٤٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه لينصرنه الله ﴾ [الحج : ٦٠] فحيثما دعت الحاجة إلى اللين ألان الشخص القول وأحسن الوعظ وهو الأصل وإذا دعت الحاجة إلى الشدة اشتد الشخص يبتغي بذلك وجه الله فالرفق في موطن يحتاج إلى شدة نوع من الضعف

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) ، واللفظ له والبخاري (٦٠٢٤) ، (٦٩٢٦) ، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (جديث ٢٥٩٤) ، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا .

والخور ، والشدة في موطن يحتاج إلى لين طيش وجهل وسفه ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، ومن يؤت الحكمة فقدْ أوتي خيرًا كثيرًا والله أعلم .

***

س : من هم القليل المذكورون في قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : هم الذين قال الله فيهم : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٥] أي : أنهم القائمون بأمر اللَّه عز وجل الحافظون لحدوده .

● وهم أيضًا الذين لم يحرفوا ولم يُبدلوا ، وهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ لما بُعث .

***

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ، معرضون عن ماذا ؟

ج : معرضون عن الميثاق الذي أخذ عليكم ، وقيل : معرضون عن كتاب الله عز وجل واللَّه تعالى أعلم .

***

س : فسر بعض العلماء التولي بأنه الإعراض فما فائدة التكرار في قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة ، منها :

● أن ذلك لتأكيد الإعراض والتولي كما قال تعالى : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ [التوبة : ٢٥] .

● ومنهم من قال إن التولي يكون بالجسم والإعراض يكون بالقلب والمعنى أن هناك من يتولى وفي نيته الرجوع ، ومنهم من يتولى وليس في نيته الرجوع ، فهؤلاء قد تولوا وليس لهم نية ولا رغبة في الرجوع .

● ومنهم من قال : إن قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم ﴾ خطاب لهم والمراد أسلافهم من آبائهم وأجدادهم الذين تولوا ، وقوله تعالى : ﴿ وأنتم معرضون ﴾ انتقل الخطاب إلى المعاصرين للنبي ﷺ من اليهود ، فالمعنى على ذلك ثم تولى آباؤكم ، وأنتم كذلك معرضون والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : أجمل الطبري رحمه الله تعالى القول فقال[1]: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره ، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات ويصلوا الأحارم ويتعطفوا على الأيتام ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم ، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ويؤتوا زكاة أموالهم فخالفوا أمره في ذلك كله وتولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه .

❋ ❋ ❋

---

(١) ٢/ ٢٩٨ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أقررتم – تظاهرون – الإثم – العدوان – أُسارى – تفادوهم – خزيٌ ؟

ج :

الكلمة	معناها
أقررتم	اعترفتم
تظاهرون	تتعاونون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولو كان بعضهم

الكلمـــة	معنـــاهـــــا
	لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] وقوله تعالى : ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم: ٤]
الإثم	المعصية والذنب ، وهو أيضًا الفعل الذي يستحق فاعله الذم
العدوان	الظلم والاعتداء وتجاوز الحد
أسارى	جمع أسير
تفادوهم	تدفعون المال عن أسرهم لتخلصوهم من يده وتردوهم إليكم
خزي	ذلة وصغار ، ويتمثل ذلك في فرض الجزية عليهم كما قال تعالى : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] ويتمثل في قتل مقاتلتهم كما فعل ببني قريظة ، وكذلك سبي نسائهم ، وكذلك في إخراج بني النضير من ديارهم لأول الحشر كما ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم ويطلق الخزي أيضًا على الفضيحة والعار ، والله أعلم .



س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ... ﴾ [البقرة : ٨٤] ، الآية ؟

ج : المخاطبون هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ ، والمراد بالميثاق : الميثاق المأخوذ على آبائهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ثم أقررتم ﴾ [البقرة : ٨٤] أقررتم بماذا ؟

ج : أقررتم أنتم يا معشر اليهود من ساكني مدينة رسول الله ﷺ والمحيطين بها أن هذا الميثاق قد أُخذ فعلًا على آبائكم وأسلافكم والتزمتموه أنتم كذلك ولم تنكروه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ [البقرة : ٨٤] ، تشهدون ماذا أو على ماذا ؟

ج : قيل : تشهدون بقلوبكم على هذا ، وقيل : تشهدون على أننا أخذنا الميثاق على أوائلكم ، وقيل : إن قوله تشهدون توكيد للإقرار ، وقيل : تشهدون أي تحضرون سفك الدماء والإخراج من البيوت ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان القوم يقتلون أنفسهم ويُخرجونها من الديار حتى قيل لهم : ﴿ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ... ﴾ [البقرة : ٨٤] ؟

ج : ليس الأمر كذلك ، ولكن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة .

● كما قال النبي ﷺ في شأن أمته : « مثل المؤمنين في توادهم

وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[1] .

● وكما قال تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] أي : لا يلمز بعضكم بعضًا .

● وكما قال سبحانه : ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] ، أي : على إخوانكم .

● وكما قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] أي بإخوانهم ونحو ذلك[2] ، هذا قول وهو أقوى الأقوال في هذا الباب ، وثم أقوال أُخر منها ما ذكره الطبري رحمه الله تعالى حيث قال : وقد يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، أي : لا يقتل الرجلُ منكم الرجلَ منكم فيقاد به قصاصًا فيكون بذلك قاتلًا نفسه ؛ لأنه كان الذي سبَّب لنفسه ما استحقت به القتل ، فأضيف بذلك إليه ، قتلُ ولي المقتول إياه قصاصًا بوليِّه كما يُقال للرجل يركب فعلًا من الأفعال يستحق به العقوبة فيعاقب العقوبة (أنت جنيت هذا على نفسك) .

● وذكره نحوه القرطبي رحمه الله فقال : وقيل المراد القصاص ، أي : لا يقتل أحد فيُقتل قصاصًا فكأنه سفك دمه ، وكذلك لا يزني ولا يرتد ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري (١٤٦٤) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، قال : أي لا يقتل بعضكم بعضًا ، ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك .

فإن ذلك يبيح الدم ، ولا يُفسد فيُنفى فيكون قد أخرج نفسه من دياره ، وهذا تأويل فيه بُعد وإن كان المعنى صحيحًا .

● ونقل القرطبي قولًا ثالثًا عن ابن خُويز مِنداد - ونحوه ذكره الرازي في تفسيره - قال : وقد يجوز أن يُراد به الظاهر ، لا يقتل الإنسان نفسه ولا يخرج من داره سفهًا كما تقتل الهند أنفسها ، أو يقتل الإنسان نفسه من جهدٍ وبلاءٍ يصيبه ، أو يَهيم في الصحراء ولا يأوي البيوت جهلًا في ديانته وسفهًا في حِلمه فهو عموم في جميع ذلك والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٨٥] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - ثم أنتم يا هؤلاء المعاصرون لنبينا محمد ﷺ من بني إسرائيل تقتلون إخوانكم .. فهؤلاء - على هذا - منادى حذفت أداة ندائه كما في قوله تعالى : ﴿ يوسف أعرض عن هذا ... ﴾ [يوسف : ٢٩] أي : يا يوسف أعرض عن هذا .

● وقال بعض العلماء : إن المعنى .... ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم ، واعتُرض بين ثمَّ و (أنتم) بكلمة هؤلاء كما يقال : أنا ذا أقوم ، وأنا ذا أجلس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشيء الذي آمنت به بنوا إسرائيل وما هو الشيء الذي كفروا به حتى وبَّخهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ؟

ج : أمرت بنو إسرائيل بأشياء ونهوا عن أشياء :

● فنهوا عن قتل بعضهم البعض ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] .

• ونهوا عن إخراج إخوانهم من ديارهم كما قال تعالى : ﴿ .... ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ [البقرة : ٨٤] .

وأُمروا بفداء الأسرى منهم ، فإذا أُسر أحدهم وجب عليهم أن يفادوه فآمنوا ببعض[1] (وهو فداء الأسارى) وكفروا بالبعض الآخر فكانوا يقتلون إخوانهم ويخرجونهم من ديارهم ويتعاونون مع عدوهم عليهم .

فكان اليهود ثلاث طوائف : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، فكان بنو قينُقاع حلفاء الخزرج ، وكان بنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حروب اقتتلوا كل طائفة من اليهود تقاتل في صف حليفها فيقتل القينقاعي أخاه القرظي والنضيري ، والعكس بالعكس فإذا وضعت الحرب أوزارها سعى النضيري في فداء أخيه الأسير القينقاعي والعكس بالعكس ، ويقولون : حرام علينا أن نتركهم أسارى بدون فداء ، فوبخهم الله عز وجل على سوء صنيعهم ، فكما أنه حرام عليكم أن تتركوهم بدون فداء فحرام عليكم كذلك أن تقاتلوهم وتخرجوهم من ديارهم بل إن قتالهم وإخراجهم من ديارهم أشد حرمة من تركهم بدون فداء فمن ثمَّ قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] وعلى هذا جمهور المفسرين ، وقد جاء فيه أثر عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه كلام[2] إلا أن سياق الآية الكريمة يقتضي تصحيح ما

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٤٧٥) قال : والله إن فداءهم لإيمان وإن إخراجهم لكفر ، فكانوا يخرجونهم من ديارهم ، وإذا رأوهم أُسارى في أيدي عدوهم افتكوهم .

(٢) أخرج الطبري (١٤٧١) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ [البقرة : ٨٥] إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم قال : أنَّبهم الله على ذلك من فعلهم وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء =

ذُكر ، وإن كان قوله تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ، يتنزل على أشياء فعلها الإسرائيليون أكثر مما ذكر كإيمانهم ببعض التوراة وكفرهم بصفة محمد ﷺ التي فيها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم فداء الأسرى في الإسلام ؟

ج : قال عدد من أهل العلم : إنه واجب .

● قال القرطبي رحمه الله تعالى : فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد .

● قال ابن خويز منداد : تضمنت الآية وجوب فك الأسرى وبذلك

= أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة حلفاء الأوس ، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يُظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارًا ولا بعثًا ولا قيامة ولا كتابًا ولا حرامًا ولا حلالًا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقًا لما في التوراة وأخذًا به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس ، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلُّون[1] ما أصابوا من الدماء وقتلى مَن قُتلوا منهم فيما بينهم مظاهرةً لأهل الشرك عليهم ، يقول الله تعالى ذكره حين أنَّبهم بذلك ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ، أي تُفادونه بحكم التوراة وتقتلونه ، وفي حكم التوراة ألا يقتل ولا يُخرج من داره ولا يُظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عَرَضٍ من عَرَضِ الدنيا .

● قلت : وفي الإسناد محمد بن أبي محمد وهو مجهول ، وفيه محمد بن حميد وهو الرازي ضعيف لكن في الغالب أنه متابع ، والله أعلم .

---

(١) أطل دمه : أهدره وأبطله ، ومنه قول الأعرابي . في حديث المرأة التي رمت الأخرى بحجر في بطنها فأسقطت الجنين فقضى النبي ﷺ بغرة عبد أو أمة - كيف أودي من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يُطل .

وردت الآثار عن النبي ﷺ[1] أنه فك الأسرى وأمر بفكّهم وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع ، ويجب فك الأسارى من بيت المال ، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين ، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين .

● وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٦/ ١٩٣) : قال ابن بطال : فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور .

***

س : ما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض كأن يقول الدين يقتصر على العبادات (من صلاة وصيام وزكاة وحج) ولا دخل للدين في الحياة من أمور الاقتصاد والحكم والحدود والمعاملات والأخلاق ونحو ذلك ؟

ج : جزاؤه كما قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ٨٥] .

● قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى (عمدة التفسير ١/١٧٥) : ومما يملأ النفس ألمًا وحزنًا أن صار أكثر الأمم التي تنتسب للإسلام إلى هذا الوصف المكروه ووقعوا في مثل هذا العمل الذي ذمَّ الله اليهود من أجله وجعل جزاء من يفعله خزيًا في الحياة الدنيا وردًّا في الآخرة

---

(١) من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (٣٠٤٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فكُّوا العاني - يعني الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض » ..

وأخرج البخاري (حديث ٣٠٤٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر .

إلى أشد العذاب ، فنرى أكثر الأمم المنتسبة للإسلام يعتقدون صحة القرآن ويشهدون بذلك ويعرفونه ويزعمون القيام بأمره ثم هم يخالفونه في التشريع في شئونهم المالية والجنائية والخلقية ولا يستحون أن يعلنوا أن تشريعه وتشريع رسول الله ﷺ في سنته لا يوافق هذا العصر ، ويجعلون من حقهم أن يشرعوا ما شاءوا ، وافق الكتاب والسنة أم خالفه ، ويصطنعون قوانين أوربة الوثنية الملحدة ويشربونها في قلوبهم يزعمونها أهدى وأنفع للناس مما أنزل إليهم من ربهم ولا يتعظون بما أنذرهم به من المثل بالأمم قبلهم .

* * *

س : قال سبحانه وتعالى في الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض : ﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وقال سبحانه في شأن قوم فرعون : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، وقال تعالى في شأن أصحاب المائدة : ﴿ فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ﴾ [المائدة : ١١٥] ، وقال النبي ﷺ في المصورين : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون » . فكيف تجمع بين هذا كله ؟

ج : أن كل المذكورين يكونون في أشد العذاب ، والله تعالى أعلم[1] .

* * *

(١) وثمَّ إجابة أوسع ستأتي في بابها إن شاء الله .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات .
قفينا – أيدناه – روح القدس – تهوى ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
قفينا	أردفنا – أتْبعنا
أيدناه	قوَّيناه[1] – أعنَّاه
روح القدس	جبريل عليه السلام
تهوى	تُحب

❋ ❋ ❋

(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٨٨٨) بإسناده إلى ابن عباس قال : أيدناه قويناه .

س : ما هو الكتاب الذي آتاه الله عز وجل موسى عليه السلام ؟

ج : هذا الكتاب هو التوراة .

❋ ❋ ❋

س : من هم الرسل المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ [البقرة : ٨٧] ؟

ج : هم الأنبياء الذين جآءوا إلى بني إسرائيل بعد موسى ﷺ على منهاجه وشريعته يحثون الناس على التوراة والعمل بما فيها إلى أن جاء عيسى عليه السلام ، فعلى ذلك هم الذين أرسلوا في الفترة ما بين موسى إلى عيسى ﷺ (١) ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [المائدة : ٤٤] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي البينات التي آتاها الله عز وجل نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام ؟

ج : هذه البينات تتمثل في الآيات التي أيد الله عز وجل بها عيسى ابن مريم عليه السلام وأجراها على يديه ، ومنها إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ، وإخباره قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله ، والمائدة التي أنزلها الله عز وجل عليه ، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله والنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ، والإنجيل الذي آتاه الله

---

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ : « كانت بنوا إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم كلما مات نبي خلفه آخر .... الحديث » .

عز وجل إياه إلى غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما المراد بروح القدس وما معنى هذا الاسم ؟

ج : لأهل العلم في روح القدس أقوال :

● أصحها وأشهرها أن المراد بروح القدس جبريل[1] عليه الصلاة والسلام ويؤيده قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ... ﴾ [النحل : ١٠٢] .

● وقول النبي ﷺ لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين : « اهجهم وجبريل معك »[2] ، وفي رواية « اللهم أيده بروح القدس »[3] .

● من العلماء من قال : إن روح القدس هو الإنجيل ، واستدل بقول الله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ﴾ [الشورى : ٥٢] فسمى الله عز وجل كتابه روحًا ، وكذلك الإنجيل فليكن .

وهذا القول ضعيف ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المَهْدِ وكهلًا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني ﴾ [المائدة : ١١٠] فذكر الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة الإنجيل بعد أن ذكر روح القدس فدل على أنه غيره .

● ومن العلماء من قال : إن روح القدس هو اسم الله الأعظم الذي

---

(١) وأخرج ابن أبي حاتم (٨٩٠) عن ابن مسعود أنه قال : روح القدس هو جبريل عليه السلام .

(٢) أخرجه البخاري (٤١٢٣) ومسلم (٢٤٨٦) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١٢) ومسلم (٢٤٨٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

كان عيسى عليه السلام يذكره عند إحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص ولا دليل على هذا القول ، والله تعالى أعلم .

أما القدس فقال بعض العلماء : إنه القدوس ، وهو اسم من أسماء الله تعالى .

● قال الطبري رحمه الله : وإنما سمى الله تعالى جبريل (روحًا) وأضافه إلى القدس ؛ لأنه كان بتكوين الله له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده فسماه بذلك « رُوحًا » وأضافه إلى (القدس) والقدس هو الطهر كما سُمي عيسى ابن مريم روحًا ، من أجل تكوينه له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده ، وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن معنى (التقديس) التطهير ، و (القدس) الطهر من ذلك ، وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضع نحو اختلافهم في الموضع الذي ذكرناه ، .... ثم نقل عن العلماء قولهم الذي يدور على تفسير القدس بالبركة ، وتفسيره بأن المراد فيه الرب سبحانه وتعالى .

● هذا وقد قال بعض أهل العلم إن معنى روح القدس أي الروح المقدسة أي المطهرة كما تقول رجل صدق والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع الإضافة في قوله تعالى : ﴿روح القدس﴾ [البقرة: ٨٧]؟

ج : الإضافة : إضافة تشريف ، كما قال الله سبحانه وتعالى في شأن الناقة : ﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ﴾ [الشمس : ١٣] فكل النوق لله سبحانه وتعالى ، ولكن قوله : ﴿ ناقة الله ﴾ في شأن ناقة صالح عليه السلام للتشريف وكذلك قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ،

مع أن الأرض ومن عليها كلها لله[1] ، ولكن قيل : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ، للتشريف وكما قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١][2] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُطلق على جبريل روح ؟ ولماذا أُطلق على عيسى عليه السلام روح ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه ينزل بالوحي الذي هو بمنزلة الروح للأبدان .

وقيل : لأنه خلق من غير ولادة ، أما عيسى عليه السلام فكذلك سمي روحًا ؛ لأنه يحيي الموتى بإذن الله وقيل : لأنه ولد من غير أب ، كما قال تعالى في شأن مريم عليها السلام : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾ [التحريم : ١٢] .

❋ ❋ ❋

س : جبريل نزل على الأنبياء عليهم السلام بالوحي فلماذا اختص عيسى عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ [البقرة : ٨٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه نفخ في أمه كما قال تعالى : ﴿ فنفخنا

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

(٢) فالبشر كلهم تُنفخ فيهم الروح كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة .. ثم يأتي الملك فينفخ فيه الروح ... » الحديث والله تعالى أعلم .

فيها من روحنا ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

وقيل : إن عيسى تكلم بالوحي في صغره حيث قال : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا ﴾ [مريم : ٣٠] ، وقيل : لأن الله أيده به لما رفعه الله إليه، ولا أعلم مستندًا صحيحًا لذلك والله تعالى أعلم .

* * *

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أفكلما جآءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ... ﴾ [البقرة : ٨٧] لمن ؟

ج : الخطاب في الآية الكريمة لليهود من بني إسرائيل .

* * *

س : لماذا قيل في قوله تعالى : ﴿ فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] ، بصيغة المضارع في « تقتلون » ولم يقل وفريقًا قتلتم ؟

ج : لأن قوله تعالى : ﴿ وفريقًا تقتلون ﴾ يفيد استمرارهم في قتل النبيين ومن ذلك وضعهم السمَّ في الشاة وتقديمها إلى رسول الله ﷺ[1] وقد قال

---

(١) أخرج البخاري (٥٧٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌّ ، فقال رسول الله ﷺ : « أجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود » ، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان ، فقال رسول الله ﷺ : « كذبتم بل أبوكم فلان » فقالوا : صدقت وبررت ، فقال : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها ، فقال لهم رسول الله : « اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ثم قال لهم : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم ، فقال : « هل جعلتم في =

النبي ﷺ : « ما زلت أجد ألم السم الذي وضع في الشاة فهذا أوان انقطاع أبهرى » . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء والصالحين أسوأ معاملة وأبشع معاملة دلّل على ما تقول ووضح سبب هذه المعاملة السيئة ؟

ج : أما سبب هذه المعاملة السيئة فهو أن الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم كانوا يأتون بني إسرائيل بوحي الله عز وجل ويبلغونهم رسالاته التي تخالف أهواءهم وأمزجتهم الشريرة الفاسدة فلا يرضون من الأنبياء بذلك فيقتلون فريقًا ويُكذبون الآخر كما قال تعالى : ﴿ أفلكما جآءكم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

● وسبب هذه المعاملات السيئة أيضًا الاعتقادات الفاسدة التي اعتقدوها كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ ، ٢٤] فالاعتقاد الفاسد أدى إلى فساد العمل ، فكانوا يعرضوا عن كتاب الله وينقضوا المواثيق كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم والله تعالى أعلم .

= هذه الشاة سُمًّا » فقالوا : نعم ، فقال : « ما حملكم على ذلك » فقالوا : أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

وأخرج البخاري معلقًا حديث (٤٤٢٨) وفيه : قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : « يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت يوم خيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السُّم » ، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (٧٣٧/٧) من وصله ، ولم يسعفني الوقت للبحث فيه (أي في هذا المعلق) .

س : قال تعالى : ﴿ فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] ، اذكر بعض من كذبوه وبعض من قتلوه ؟

ج : ممن قتلوه - كما قال جمهور العلماء - زكريا ويحيى عليهما السلام ، وممن كذَّبوه عيسى ومحمد عليهما السلام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

غُلف - لعنهم - يستفتحون - لعنة الله على الكافرين - بئس - اشتروا به أنفسهم - بغيًا - باءوا - مهين - بما وراءه .

ج :

الكلمة	معناها
غُلْف	جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف ، وقولهم قلوبنا غُلف ـ أي في أكنة وغطاء ، وهو نحو قول الكافرين ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ﴾ [فصلت : ٥] وقيل : معنى غُلُف لا تفقه . وبعضهم يقـول غُلُـف جمع غـلاف كحُجُب جمع حجاب أي قلوبنا أوعية للعلم والذكر ، أي مملـوءة علمًـا لا تحتاج لمحمد ﷺ .
لعنهم	اللعن هو الطرد والإبعاد ، ولعنهم طردهم وأبعدهم
يستفتحون	يستنصرون أي : يطلبون النصر
لعنة الله على الكافرين	خزي الله وإبعاده الجاحدين على ما قد عرفوا من الحق وطرده لهم
بئس	بئس أصلها من البؤس ثم استعملت للذم والتوبيخ
اشتروا به أنفسهم	باعوا به أنفسهم ، قال الطبري رحمه الله : شريت بمعنى بعت ومنه قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس ﴾ [يوسف : ٢٠]، واشتريت بمعنى (ابتعت) ولكن قد تستعمل اشتريت

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	بمعنى بعت، وشريت بمعنى ابتعت أحيانًا، والأصل ما قدمنا .
بغيًا	حسدًا
باءوا	رجعوا – استحقوا
مهين	المهين المُذل لصاحبه
بما وراءه	بما بعده[1] ، وقيل : بما سواه ، ودليله قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون : ٧] وقوله تعالى : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ [النساء : ٢٤] .



(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٥٥٦) .

س : ما هو وجه قول بني إسرائيل ﴿ قلوبنا غُلْف ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : يعتذرون بقولهم قلوبنا غلف عن الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبما يدعوهم إليه ، فيقولون : قلوبنا غلف ، أي : عليها أغلفة فلا تستطيع أن تفهم الذي تدعوها إليه ولا ما تريده منها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : لأهل العلم في تأويلها قولان مشهوران :

- **أحدهما :** أن المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ قلة[1] .
- الثاني : أن القدر الذي آمنوا به قليل والذي كذبوا به كثير ، وهذا الوجه اختاره الطبري رحمه الله تعالى ، وقال : ولعل قائلًا أن يقول هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون من الإيمان قليل أو كثير فيقال فيهم ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

قيل إن معنى (الإيمان) هو التصديق ، وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدِّق بوحدانية الله ، وبالبعث والثواب والعقاب وتكفر بمحمد ﷺ ونبوته ، وكلُّ ذلك كان فرضًا عليهم الإيمان به ، لأنه في كتبهم ومما جآءهم به موسى ، فصدقوا ببعض – وذلك هو القليل من إيمانهم – وكذَّبوا ببعض فذلك هو الكثير الذي

---

(١) وهذا واضح فمن تتبع عدد المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ يجدهم قلة قليلة بينما من آمن من أهل الشرك عددهم كبير ، والله تعالى أعلم .

وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٥١٤) قال قوله ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون ﴾ فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب ، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير .

أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به .

وقد قال بعضهم : إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء[1] ، وإنما قيل : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب « قلما رأيت مثل هذا قط » وقد روي عنها سماعًا منها (مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكرَّاث والبصل) يعني : ما تنبت غير الكراث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بـ (القلة) والمعنى فيه نفي جميعه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – هو ما ذكره الطبري حيث قال : وقالت اليهود : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه يا محمد ، فقال الله تعالى ذكره : ما ذلك كما زعموا ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها ، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله فقليلًا ما يؤمنون . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الكتاب المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ٨٩] ؟ وما هو الذي معهم ؟

❋ ❋ ❋

---

(١) قلت : وهذا الوجه عندي ضعيف ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] فأثبت الله عز وجل لهم الإيمان ببعض ، وكان منه كما تقدم فداء أسراهم من أيدي عدوهم ، والله تعالى أعلم .

ج : أما الكتاب المذكور فهو القرآن الكريم[1] ، والذي معهم هو التوراة والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] ، من هم الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا ، ومن المراد بالذين كفروا هنا ، وما معنى هذا الاستفتاح ؟

ج : الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا هم اليهود .

والمراد بالذين كفروا في الآية الكريمة : مشركو العرب وهذا الاستفتاح حاصله أن اليهود كانوا يستنصرون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ويقولون للذين كفروا سيخرج نبي صفته كذا وكذا نتبعه ونقتلكم[2] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو جواب قوله تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم .. ﴾ [البقرة : ٨٩] ؟

---

(١) أخرج الطبري (١٥١٧) بإسناد حسن عن قتادة « ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم » وهو القرآن الذي أُنزل على محمد مصدقٌ لما معهم من التوراة والإنجيل .

(٢) أخرج الطبري (١٥٢٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] كانت اليهود تستفتح بمحمد ﷺ على كفار العرب من قبل ، وقالوا : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجدهُ في التوراة يُعذبهم ويقتلهم ! فلما بعث الله محمدًا ﷺ فرأوا أنه بُعث من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة ﴿ فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] .

ج : بعض العلماء يقولون : حذف الجواب لدلالة السياق عليه ، وهذا وارد في كتاب الله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كلِّم به الموتى .. ﴾ [الرعد : ٣١] أي لسيرت بهذا القرآن وحذف الجواب لدلالة السياق عليه .

● ومن أهل العلم من يقول : إن جواب قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ٨٩] ، هو قوله تعالى : ﴿ كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض ما يكون به الاستفتاح[1] في أمة محمد ﷺ ؟

ج : يكون الاستفتاح بدعاء الصالحين ، وكذلك بالضعفاء ، أما الضعفاء فلقول النبي ﷺ لسعد : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » .

أما الصالحون فلما أخرجه البخاري[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام[3] من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيُفتح لهم » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) المراد بالاستفتاح هنا : الاستنصار أي طلب النصر .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٤٩) ومسلم (٢٥٣٢) وأحمد (٣/٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) الفئام : الجماعة .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ [البقرة : ٩٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : معنى الآية بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى - من نبوة محمد ﷺ والأمر بتصديقه واتباعه - من أجل أن أنزل الله من فضله - وفضله حكمته وآياته ونبوته - على من يشاء من عباده - يعني به على محمد ﷺ - بغيًا وحسدًا لمحمد ﷺ من أجل أنه كان من ولد إسماعيل ولم يكن من بني إسرائيل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى الآية الكريمة ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ [البقرة : ٩٠] ، تدل على حسد اليهود للنبي ﷺ ؟

ج : هذه الآية ضمن قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرًا * أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقِيرًا * **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيرًا ﴾ [النساء : ٥١ - ٥٥] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفضل في قوله تعالى : ﴿ أن يُنزل الله من فضله على من

يشاء من عباده ﴾ ؟

ج : فضل الله هنا المراد به - والله أعلم - القرآن ، والحكمة والرسالة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] ، ما هو سبب الغضب الأول عليهم وما هو سبب الغضب الثاني ؟

ج : أما الغضب الثاني فسببه كفرهم بمحمد ﷺ بعد أن عرفوا صفته وتيقنوا من لغته وأنه النبي المبعوث ﷺ .

● أما الغضب الأول فسببه كفرهم بعيسى ﷺ قبل النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، ويدخل في أسباب الغضب الأول عليهم أيضًا عبادتهم العجل ، وتضييعهم التوراة ، وقولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة ، وقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ... إلى غير ذلك من أنواع الكفر التي ارتكبوها ، والله تعالى أعلم[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالكافرين في قوله تعالى : ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ [البقرة : ٩٠] ؟

ج : الكافرون في الآية الكريمة : هم الجاحدون لنبوة محمد ﷺ والقرآن

---

(١) أخرج الطبري (١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩) من طريق سفيان الثوري عن أبي بكير عن عكرمة قال : (فباءوا بغضب على غضب) قال كفر بعيسى ، وكفرٌ بمحمد ﷺ .

● وأخرج بإسناد حسن عن قتادة (١٥٥١) قوله ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] ، غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى ، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ .

الذي نزل عليه ، والله أعلم .

* * *

س : هل كان بنو إسرائيل صادقين فعلًا في قولهم : ﴿ نؤمن بما أُنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] ؟

ج : لم يكونوا صادقين في ذلك ، فإن الله عز وجل أخذ عليهم فيما أنزل عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

● ومما يدل على كذبهم في قولهم : ﴿ نؤمن بما أُنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] أيضًا قوله تعالى : ﴿ فلـمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] فلم ينزل عليهم في كتبهم أن يقتلوا أنبياء الله عليهم السلام .

● ومما يدل على كذبهم كذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] ، مؤمنين بماذا ؟

ج : مؤمنين بما أُنزل على موسى ﷺ في التوراة أي : إن كنتم حقًّا مؤمنين بالتوراة فلم تقتلون أنبياء الله من قبل وليس في التوراة الأمر بقتلهم ، والله تعالى أعلم .

٭ ٭ ٭

س : لماذا عوتب بنو إسرائيل الموجودون على عهد رسول الله ﷺ بقوله تعالى : ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] ، وهم لم يباشروا قتل نبي ؟ ولماذا عُبر بقوله تعالى : ﴿ تقتلون ﴾ ولم يقل قتلتم ؟

ج : لأنهم أقروا قتل الأنبياء وتولوا من قتلهم ولم يستنكروا أفعالهم قال الله تعالى : ﴿ ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ٭ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرًا منهم فاسقون ﴾ [المائدة : ٨٠ ، ٨١] .

- وقد قال تعالى عن قوم ثمود : ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ [الشمس : ١٤] مع أن الذي عقرها شخص واحد منهم .
- وأيضًا لأن هؤلاء الموجودين على عهد رسول الله ﷺ حاولوا قتل رسول الله ﷺ كما قدمناه ، والله أعلم .
- أما لماذا عبر بـ ﴿ تقتلون ﴾ ولم يُعبر بـ (قتلتم) فلما ذُكر من قبل أنهم حاولوا قتل رسول الله ﷺ ، وقال بعض أهل العلم : إنه يجوز سوق الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي ، قال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر

٭ ٭ ٭

۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

البينات – سمعنا وعصينا – أُشربوا في قلوبهم العجل – خالصة – بمزحزحه – بصيرٌ ؟

ج :

الكلمة	معناها
البينات	الآيات الواضحات الجليات
سمعنا وعصينا	سمعنا قولك وعصينا أمرك

الكلمة	معناها
أشربوا في قلوبهم العجل خالصة	دخل حب العجل قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها خاصة
بمزحزحه	بمبعده – بمنحيه
بصيرٌ	قال بعض أهل العلم إن أصل البصير المبصر ، يعني ذو إبصار قال ابن القيم : وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصّوان ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عُروق بياضها بعيان ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان ● وبعض العلماء يستعمل البصير أحيانًا بمعنى العالم فيقول بصير بالطب وبصير بالفقه وبصير بملاقاة الرجال ، وأورد القرطبي قول الشاعر : فإن يسألوني بالنساء فإنني بَصيرٌ بأدواء النساء طبيب ● وقال الطبري : ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ٩٦] والله ذو إبصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها وأصل بصير مبصر ... والله أعلم .

س : في قوله تعالى : ﴿ ولقد جآءكم موسى بالبينات ﴾ [البقرة : ٩٢] عدة تساؤلات هي :

- بينات على ماذا ؟
- ما هي هذه البينات ؟
- لماذا أطلق عليها بينات ؟

ج : ● هي بينات على صدقه وصحة نبوته

● وهي التي ذكرها الله في كتابه حيث قال : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ [الإسراء : ١٠١] .

● وهي **العصا** التي ألقاها فإذا هي ثعبان مبين وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا وضرب بها الحجر لما طار بثوبه وإن بالحجر لندبًا .

● ويده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين من غير سوء .

● والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم تلك الآيات المفصلات التي أرسلها الله على قوم فرعون كي يؤمنوا بموسى عليه السلام ويرجعوا عن كفرهم .

● وكذلك أخذ الله عز وجل آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذكرون وهذا تأييد لموسى عليه السلام كذلك .

● وتظليل الغمام على بني إسرائيل ، وإنزال المن والسلوى عليهم وفوق ذلك كله الألواح وما كُتب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء ، والله تعالى أعلم .

● أما لماذا أطلق عليها بينات لأنها واضحات ظاهرات جليات، والله أعلم.

✸ ✸ ✸

س : في قوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] مقدر محذوف فما هو ؟

ج : هذا المقدر المحذوف هو (إلهًا) أي ثم اتخذتم العجل إلهًا .

وأيضًا عقب قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ أي ظالمون لأنفسكم ، على قول ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ من بعده ﴾ [البقرة : ٩٢] من بعد من ؟

ج : من بعد موسى ﷺ ، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد أن فارقهم موسى ﷺ ماضيًا إلى ميقات ربه عز وجل .

● ومن العلماء من يقول : ﴿ من بعده ﴾ أي من بعد مجيء موسى عليه السلام إليكم بالبينات . والأول أظهر ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] ظالمون لمن ، وظالمون في ماذا ؟

ج : ظالمون لأنفسهم لكونهم أشركوا بالله عز وجل ما لم يُنزل به سلطانًا وعبدوا العجل واتخذوه إلهًا وهذا أفحش الظلم وأعظمه ، قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] .

* * *

س : ما المراد بالسمع في قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : هو السمع المضمن معنى الإجابة فالمعنى اسمعوا وأطيعوا ، وهذا قول

الجمهور .

ومن العلماء من قال : إنه أمر بمجرد السمع لأنه قد تقدمه قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٩٣] .

● وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى[1] : قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ [البقرة : ٩٣] قال بعض العلماء : هو من السمع بمعنى الإجابة ومنه قولهم سمعًا وطاعة أي إجابة وطاعة ، ومنه سمع الله لمن حمده في الصلاة ، أي أجاب دعاء من حمده[2] ، ويشهد لهذا المعنى قوله : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ [النور : ٥١] وهذا قول الجمهور ، وقيل : إن المراد بقوله : ﴿ اسمعوا ﴾ أي بآذانكم ولا تمتنعوا من أصل الاستماع .

ويدل لهذا الوجه أن بعض الكفار بما امتنع من أصل الاستماع خوف أن يسمع كلام الأنبياء كما في قوله تعالى عن نوحٍ مع قومه : ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارًا ﴾ [نوح : ٧] .

وقوله عن قوم نبينا محمد ﷺ : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦] ، وقوله : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ [الحج : ٧٢] ، وقوله : ﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾ [البقرة : ٩٣] لأن السمع الذي لا ينافي العصيان هو السمع بالآذان دون السمع بمعنى الإجابة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أضواء البيان (٨١/١) .

(٢) هذا على قولٍ من الأقوال .

س : ما نوع الباء في قوله تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : الباء هنا سببية ، والمعنى أنهم بسبب كفرهم سُقُوا حب العجل كما قال تعالى : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ [النساء : ١٥٥] .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - بئس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم إن كنتم مصدقين إذا كان هذا التصديق يأمركم بعبادة العجل واتخاذه إلهًا ، ويأمركم بالعصيان وقول سمعنا وعصينا ، وقتل النبيين بغير حق وتكذيب الأنبياء ، ونقض العهود والمواثيق فبئس هذه الأفعال والأوامر التي تصدر عن هذا الإيمان المزعوم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أنهم أشربوا حب العجل حتى خلص إلى قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها[1] ، فحذف المضاف وهو (حبٌّ) وأقيم المضاف إليه (وهو العجل) مقامه ، وهذا وارد في كتاب الله عز وجل في مواطن منها :

---

(١) كما قال الشاعر ، وقد عتب على زوجته (عثمة) في بعض الشؤون وطلقها وازداد بها ولهًا :

تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أن إنسانًا يطير

• قول الله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي وقت الحج أشهر معلومات .

• وقوله تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ﴾ [التوبة : ١٩] أي صاحب سقاية الحاج .

• وقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] أي أصحاب القرية .

• وقوله تعالى : ﴿ إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ [الإسراء : ٧٥] أي ضعف عذاب الحياة .

• وقوله تعالى : ﴿ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ﴾ [الحج : ٤٠] أي بيوت صلوات(١) .

• وقوله تعالى : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ [سبأ : ٣٣] أي مكركم في الليل والنهار .

• وقوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ [العلق : ١٧] أي فليدع أهل ناديه .

• وقول الشاعر : وشر المنايا ميت بين أهله

أي شر المنايا منية ميت بين أهله .

على ما ذكره بعض أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

• هذا ومن العلماء من سلك في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] مسلكًا آخر فقال : « إن موسى أبرد العجل بالمبرد ثم ذرَّاه » (أي طرحه في اليم على هيئة التذرية) وأمرهم بالشرب منه فمن بقي فيه شيء من حب العجل ظهرت سحابة الذهب على شاربه .

---

(١) على ما ذكره بعض أهل العلم .

وهذا القول يحتاج إلى دليل ، والذي في كتاب الله عز وجل أن الله قال : ﴿ ... وانظر إلى إلهك الذي ظَلت عليه عاكفًا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفًا ﴾ [طه : ٩٧] أما كونهم شربوا من اليم بعد تذرية العجل فيه فليس هناك دليل على ذلك ، بل ويرده قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم ﴾ ؛ والله تعالى أعلم .

***

س : صوَّر الله عز وجل الخُلُق الذي تخلَّق به الإسرائيليون أجلى تصوير وأوضحه أوضح بيان حيث ذكر مقالتهم الشنيعة : ﴿سمعنا وعصينا﴾[1] [البقرة : ٩٣] يقولونها لربهم عز وجل ولنبيهم ﷺ، هل من آية في نفس المعنى وكذلك حديث ؟

ج : أما الآية فقوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وعصينا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلَّا قليلًا ﴾ [النساء : ٤٦] .

وقد تقدم من السُّنة أنهم لما قيل لهم : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة ﴾ [البقرة : ٥٨] دخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة .

عنادًا واستكبارًا والعياذ بالله .

***

س : لماذا عُبرِّ بالشرب دون الأكل في قوله تعالى ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : قال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان ١/ ٢٢٥) : وإنما عبر

---

(١) ومعنى قولهم : ﴿ سمعنا وعصينا ﴾ سمعنا قولك وعصينا أمرك ، والله أعلم .

عن حب العجل بالشرب دون الأكل ، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها ، والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها قال أبو السعود : ﴿ في قلوبهم ﴾ [البقرة : ٩٣] بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى ﴿ إنما يأكلون في بطونهم نارًا ﴾ [النساء : ١٠] ، والله أعلم .

* * *

س : هل كان اليهود يدَّعون أن الدار الآخرة لهم ؟

ج : نعم كانوا يدَّعون ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] .

وقال سبحانه : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾[1] [البقرة : ٨٠] .

* * *

س : ما المراد بالدار الآخرة في قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة .. ﴾ [البقرة : ٩٤] ومعنى خالصة ؟

ج : المراد بالدار الآخرة في هذه الآية (الجنة) ومعنى خالصة أي خاصة ، فالمعنى إن كنتم تزعمون أن الجنة لكم ولن يشرككم فيها أحد فتمنوا

---

(١) أخرج الطبري (١٥٧٢) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ [البقرة : ٩٤] وذلك أنهم قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] وقالوا : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] فقيل لهم : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] .

الموت إن كنتم صادقين ، والله تعالى أعلم .

***

س : لماذا أضيفت الأعمال إلى اليد في قوله تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم ﴾ [البقرة : ٩٥] دون سائر الجوارح ؟

ج : لأن أكثر الجنايات التي يرتكبها الإنسان تكون بيده فأضيفت سائر أعمال الجوارح إلى اليد تغليبًا ، والله تعالى أعلم .

***

س : لماذا امتنع اليهود عن تمني الموت ؟

ج : امتنعوا لما قدمته أيديهم واقترفوه من ذنوب وكبائر وجرائم عظام من تكذيب رسل الله وجحد آياته وكتمان الحق والبغي والحسد فكيف يواجهون ربهم عز وجل في الآخرة ، وقد حملوا هذه الأوزار وخاصة وأنهم يؤمنون بالبعث والجنة والنار والحساب ، والله أعلم .

***

س : ما هو وجه محاججة اليهود بقوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ ؟

ج : في هذه الآية حجة عظيمة للمسلمين على اليهود تدفع باطلهم وتُزهقه ووجه هذه المحاججة أن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من البقاء في هذه الحياة الدنيا لما يصير إليه من نعيم في الآخرة ولما يتركه من كدر الحياة الدنيا وأذاها فلو كنتم صادقين يا معشر اليهود بأن الدار الآخرة خالصة لكم والجنة خاصة بكم دون سواكم فتمنوا الموت ، فأحجموا عن ذلك التمني فرقًا من عذاب الله وخوفًا من سوء العاقبة لقبح أعمالهم وسوء

صنيعهم ، فظهر بامتناعهم بطلان قيلهم من أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، والله أعلم .

* * *

س : ما هي صورة تمني الموت التي أمر الله بها بني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] ؟

ج : لأهل العلم قولان :

أحدهما : ﴿ تمنوا الموت ﴾ أي اطلبوه من ربكم عز وجل واسألوه إياه .

الثاني : ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب (أي على الكاذب من الفريقين منا نحن المسلمين ، ومنكم معشر اليهود) وذلك على نحوٍ من المباهلة .

* * *

س : ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تمني الموت فكيف يأمرهم بأمرٍ وقد نهي عنه في شريعته ؟

ج : على رأي من قال : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت ﴾ هو ادعوا على أي الفريقين أكذب كما في المباهلة فلا إشكال في الآية الكريمة ويكون معناها كالمعنى الموجود في قوله تعالى : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] أي من كان ضالًّا فزاده الله ضلالًا .

● أما على قول من قال : ﴿ تمنوا الموت ﴾ أي اطلبوه واسألوه فهذا على سبيل المحاجة وإقامة البرهان على بطلان دعواهم ، ثم إن نهي النبي ﷺ عن تمني الموت ليس على إطلاقه ، فنهيه عليه السلام العبد عن تمني الموت

كما قال : « إما محسنًا فيزداد أو مسيئًا فيستعتب »[1] ، وقال عليه السلام : « خيركم من طال عمره وحسن عمله »[2] أما من خشي على نفسه أن يفتن في دينه فحينئذ يُشرع له تمنى الموت كما قال النبي ﷺ : « وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون »[3] .

وكما قال عليه الصلاة والسلام : « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني ما علمت الوفاة خيرًا لي »[4] .

● وأيضًا فقد قال النبي ﷺ في مرض موته : « اللهم الرفيق الأعلى »[5] .

وكذلك لم يرد لنا أن اليهود نُهوا في شريعتهم عن تمني الموت، والله أعلم[6] .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٦٧٣) ، والنسائي (٤/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يدخل أحدًا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضلٍ ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب » .

(٢) « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ، صحيح أخرجه أحمد (٤/١٨٨ - ١٩٠) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد صحيح ولمزيد من البحث حوله انظر كتابي الصحيح المسند من الأحاديث القدسية .

(٤) أخرجه النسائي (٣/٥٤) ، وأحمد (٤/٢٦٤) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٥) صحيح أخرجه البخاري (٥٦٧٤) ، ومسلم (٢١٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٦) هذا وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (١/١٧٩ ، ١٨٠) : ثم هذا الذي =

= فسر به ابن عباس (*) الآية ، هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى ، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [الجمعة : ٦ – ٨] فهم عليهم لعائن الله تعالى ، لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، قالوا : لن يدخل الجنة إلا من كانوا يهودًا أو نصارى ، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين ، لما نكلوا عن ذلك ، علم كل أحد إنهم ظالمون ، لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه ، لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا ، عُلم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة ، فقال : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ [آل عمران : ٦١] فلما رأوا ذلك ، قال بعض القوم لبعض : والله لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف ، فعند ذلك جنحوا للسلم ، وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فضربها عليهم ، وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح أمينًا ، ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومد له واستدرجه ، كما سيأتي تقريره في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

أما من فسر الآية على معنى ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] أي في دعواكم ، فتمنوا الآن الموت ، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة ، كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ، ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول ، فإنه قال : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ [البقرة : ٩٤] الآية ، فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره ، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه إلى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف ، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من =

(*) هو مروي من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

= النصارى إذ خالفوه في عيسى ابن مريم عليه السلام ، وجادلوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة ، فقال لفريق اليهود : إن كنتم محقين فتمنوا الموت ، فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله لكم لكي يعطيكم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم ، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون ، من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا ، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا ، وانكشف أمرنا وأمركم لهم ، فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها ، أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها ، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها ، كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى إذ دعوا للمباهلة من المباهلة .

فهذا الكلام منه أوله حسن ، وآخره فيه نظر ، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل ، إذ يقال : إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم ، أنهم يتمنون الموت ، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت ، وكم من صالح لا يتمنى الموت ، بل يود أن يعمر ليزداد خيرًا وترتفع درجته في الجنة ، كما جاء في الحديث : « خيركم من طال عمره ، وحسن عمله » ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا : فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت ، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم ؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى ، فأما على تفسير ابن عباس : فلا يلزم عليه شيء من ذلك ، بل قيل لهم كلام نَصَف : إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس ، وأنكم أبناء الله وأحباؤه ، وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار ، فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم ، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة ، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه ، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه ، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، وسميت هذه المباهلة تمنيًا ، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره ، وكانت المباهلة بالموت ، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ أي على طول =

س : قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم ﴾ [البقرة : ٩٦] الضمير فيها لمن ؟ وما موقع اللام هنا ، وكذلك النون ؟

ج : أما الضمير فلليهود (أي لتجدن اليهود) ، واللام بعض أهل العلم يقولون : إنها لام القسم ، والمعنى والله لتجدنهم ، والنون للتوكيد ، والله أعلم .

* * *

س : هل للتنكير في قوله تعالى : ﴿ على حياة ﴾ [البقرة : ٩٦] فائدة ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن هذا يدل على حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ، فهم أي اليهود أحرص الناس على حياة طويلة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بالذين أشركوا في قوله تعالى : ﴿ ومن الذين أشركوا يود أحدهم ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : المراد بالذين أشركوا فيه للعلماء ثلاثة أقوال :

● **منها أنهم الأعاجم** ، لأنهم الحريصين على طول الحياة كما قدمنا أن تحيتهم عش ألف سنة أو عشرة آلاف سنة .

● **وقيل : إنهم مشركو العرب** الذين لا يُقرون بالبعث ، بل يقولون :

= العمر لما يعلمون من مآلهم السيء ، وعاقبتهم عند الله الخاسرة ، لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، وما يحازرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام .

﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [الجاثية : ٢٤]

ويقول شاعرهم :

تمتع من الدنيا فإنك فانٍ   من النشوات[١] والنساء الحسان

● وقيل : إن المراد بالذين أشركوا عمومِ المشركين الذين لا يُقرون بالبعث ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ﴾ [البقرة : ٩٦] عطف لخاص على عام ، وضحه وبيِّن فائدته ؟

ج : أما الخاص فهو : ﴿ الذين أشركوا ﴾ والعام هو ﴿ الناس ﴾ فالمشركون داخلون في عموم الناس فلما أُعيد ذكرهم بالتنصيص عليهم كان من عطف الخاص على الناس ، وفائدته هنا زيادة توبيخ لليهود فالمعنى أن اليهود أحرص الناس على الحياة ، حتى إنهم أحرص من الذين أشركوا الذين لا يقرون بالبعث ففائدة هذا العطف زيادة توبيخ لليهود ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] يرجع إلى من ؟

ج : كثير من أهل العلم يرى أنه يرجع إلى المشركين[٢] وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ قال : هو قول الأعاجم : (سال زه نوروز مهرجان حر)[٣] .

---

(١) النشوات (جمع نشوة) وهي السُّكر وعزا بعض العلماء البيت إلى امرىء القيس .

(٢) وذكر بعضهم أنه يرجع إلى اليهود ، والأول أصح وعليه الأكثر ، والله أعلم .

(٣) أخرجه الطبري (١٥٩١) .

● وفي رواية[1] عنه هو كقول الفارسي : زه هزار سال ، يقول : عشرة آلاف سنة فمن شدة حب الأعاجم للدنيا أنهم جعلوا تحيتهم فيما بينهم (عشرة آلاف سنة) أي عش عشرة آلاف سنة ، وعش ألف سنة .

***

س : لماذا خصَّ الألفْ بالذكر في قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : خص الألف بالذكر لأن العرب كانت تُعبر به عند إرادة المبالغة ، والله أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ وما هو بمزحزحه ﴾ [البقرة : ٩٦] يرجع إلى من ؟

ج : قيل : يرجع إلى طول البقاء والتعمير أي وما تعميره وطول حياته بمزحزحه من العذاب وقيل : يرجع إلى الشخص المذكور في قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم ﴾ أي وما الشخص منهم بمزحزحه أن يُعمَّر ألف سنة ، والمعنى قريب ، والله أعلم .

***

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - والله لتجدن أشد الناس حرصًا على طول الحياة وطول العمر والبقاء اليهود فهم أشد الناس حرصًا عليها حتى إنهم أشد

---

(١) أخرجها ابن أبي حاتم في « التفسير » (٩٥٣) .

حرصًا عليها من الذين أشركوا المنكرين للبعث الذين يطمع أحدهم أن يعيش ألف سنة ، وما هذا التعمير وطول البقاء بمزحزح صاحبه عن العذاب ومنحيه عنه . انتهى .

وزيادة في التوضيح فالمشركون لا يقرون ببعث ولا بجنة ولا بنار ولا بحساب ومن ثم كان مطمعهم في الحياة الدنيا ورغبتهم في طول البقاء فيها شديدة فغلبهم اليهود في الحرص على الحياة الدنيا رغم أن اليهود يقرون بالبعث وبالجنة وبالنار ، وما حملهم على هذا الحرص في طول الحياة إلا سوء أعمالهم التي يخشون من جرائها النار ، وعظيم كبائرها التي يتوقعون لها سوء القرار وتكذيب الأنبياء الذي لا يجدون من جزائه فررًا ، والله تعالى أعلم .



قُلْ

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

س : ما معنى ما يلي .

بإذن الله – هدى – نبذه ؟

ج :

الكلمة	معناها
بإذن الله	بأمر الله
هدى	دليل وبرهان
نبذه	طرحه – نقضه(١)

---

(١) أخرج الطبري (١٦٤٥) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴾ [البقرة : ١٠١] يقول : نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴿ كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ أي أن القوم كانوا يعلمون ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا .

وأخرجه مختصرًا ابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٩٨٦) .

س : ما هي أشهر القراءات في (جبريل) ؟ وما معناها ؟

ج : في جبريل عدة قراءات بلغ بها بعض العلماء إلى ثلاث عشرة ، أشهرها .

● (جِبْرِيل) بكسر الجيم والراء وبالتخفيف (وجَبْرَئيل) بفتح الجيم والراء والهمزة[1] .

● أما معنى (جبر) فمعناها – على ما ذكره بعض أهل العلم[2] – عبد ، وأما (إيل) فهو (الله) فمعنى جبريل : عبد الله وميك معناها عبيد ، وإيل هو الله فميكائيل هو عُبيدُ الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ... ﴾ [البقرة : ٩٧] الآية ؟

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٧٧٠) من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت عائشة أم المؤمنين : بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

لكن هذا الحديث أعله الهروي رحمه الله في كتاب علل الأحاديث من أجل أنه من رواية عكرمة عن يحيى ، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها ، والله تعالى أعلم .

وأنشد بعضهم شعر جرير وفيه .

عبدوا الصليب وكذَّبوا بمحمدٍ   وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

(٢) ذكره الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره ، ونقله عن بعض أهل العلم ، والله أعلم .

ج : سبب نزولها(1) أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ منْ وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك قال : فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليُّه ، قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليَّك سواه من الملائكة تابعناك وصدَّقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا فأنزل الله عز وجل : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٨] إلى قوله : ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٠١] .

* * *

س : اذكر دليلًا آخر على عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ؟

ج : أخرجه البخاري(2) من حديث أنس رضي الله عنه قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهن جبريل آنفًا » . قال جبريل ؟ قال : « نعم » قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك ﴾ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماءُ الرجل ماء المرأة نزع الولدُ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ،

---

(1) قال الطبري رحمه الله (١/٣٧٧) : أجمع أهل العلم بالتأويل . جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم .

(2) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٠) .

قال : « أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ » فقالوا : أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، قال : فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

***

س : لماذا كره اليهودُ جبريلَ عليه السلام ؟

ج : كره اليهود جبريل عليه السلام لنزوله بالوحي على رسول الله ﷺ ويُشعر بذلك سياق الآية الكريمة وهي : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ فإنه نزله ﴾ [البقرة : ٩٧] الهاء الأولى ترجع إلى من والثانية ترجع إلى من ؟

ج : أما الهاء في قوله تعالى : ﴿ فإنه ﴾ فترجع إلى جبريل عليه السلام والهاء في قوله تعالى : ﴿ نزله ﴾ ترجع إلى القرآن ، وإنما حُذف القرآن لدلالة السياق عليه ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ما ترك على ظهرها من دآبة ﴾ [النحل : ٦١] فحذفت الأرض لدلالة السياق عليها ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو جزاء الشرط في قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله ﴾ [البقرة : ٩٧] ؟

ج : فيه وجوه :

الوجه الأول : أن من عادى جبريل **فينبغي ألا يعاديه إذ لا وجه لعداوته ؛** لأنه إنما أنزل الكتاب بإذن الله ولم يتصرف من عند

نفسه ثم ينبغي أيضًا ألا يعاديه لأنه نزل بالقرآن الذي هو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة فينبغي أن يُشكر ويُحب .

الوجه الثاني : أن من عادى جبريل فهو مبطل ، وحق للمبطل أن يعادي جبريل لأن جبريل عليه السلام نزل بالكتاب برهانًا على نبوتك يا محمد ومصداقًا لصدقك ، وهم يكرهون ذلك فكيف لا يبغضون جبريل وقد نزل بما يفضحهم ويكشف أكاذيبهم .

الوجه الثالث : أن الجواب محذوف وهو (فليمت) أي من عادى جبريل فليمت بغيظه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان القرآن ينزل على قلب رسول الله ﷺ دون أن يقرأه ويسمعه ، أم كان يسمعه ويقرؤه أولًا ؟

ج : ورد في بعض الآيات ما يُفيد أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] .

● ولكن بُيِّن في مواطن أُخر أن معنى ذلك أن الملك كان يقرؤه عليه حتى يسمعه منه فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه ، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه كما قال سبحانه : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ۞ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ۞ ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه ﴾ [طه : ١١٤] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الناس في شأن الملائكة على أقسام وضح هذه الأقسام ؟ .

ج : من الناس من ينكر وجود الملائكة أصلًا وهم قوم من أهل الكفر والإلحاد .

● **ومن الناس من يسبُّون بعض الملائكة كاليهود وطائفة من الروافض** ، فاليهود قالوا عن جبريل عليه السلام إنه عدو اليهود من الملائكة ، وطائفة من الروافض وصفوه بالخيانة وأنه نزل بالرسالة على محمد ﷺ وكان الأحق بها عليٌّ بزعمهم .

● **وطائفة من أهل الشرك عبدوهم** كما قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ [سبأ : ٤٠ ، ٤١] .

● **وطائفة وهم أهل الحق توسطوا في شأن الملائكة** فاعتقدوا أنهم عباد لله مكرمون كما قال تعالى : ﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ - ٢٨] كما قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] وكما قال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦] .

✵ ✵ ✵

س : ما فائدة قول الله تعالى : ﴿ بإذن الله ﴾ عقب قوله : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله ﴾ [البقرة : ٩٧] ؟

ج : فائدتها بيان أن جبريل لم ينزل من عند نفسه بل نزل بإذن الله فما لعداوتكم يا معشر اليهود لجبريل عليه السلام وجه يُذكر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ [البقرة : ٩٧] وما هو الذي بين يديه ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن معانيه توافق معانيها في الأمر بالتوحيد واتباع محمد ﷺ .

والذي بين يديه هو التوراة والإنجيل على قول لبعض أهل العلم(١) .

● وبعض أهل العلم يقولون : ما قبله أن من كتب الأنبياء الذين تقدموه على وجه العموم ولا معنى لتخصيص كتاب دون كتاب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :هل يجوز التسمي بأسماء الملائكة ؟

ج : لا أعلم مانعًا من ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ [الزخرف : ٧٧] فمالك هو خازن النار ، وهو ملك من الملائكة بلا شك ، وقد أقرَّ النبي ﷺ اسم مالك في أصحابه و لم ينكره فكان من الصحابة مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، وأنس بن مالك كذلك وغيرهم من التابعين مالك بن أوس بن الحدثان وغيرهم .

---

(١) رواه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٦٣١) .

• ومن السلف من تسمى بجبريل أيضًا ولم نعلم أن أحدًا أنكر عليه ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : من عادى ملكًا من الملائكة فقد عادى الله عز وجل والملائكة جميعًا ومن كذب رسولًا فقد كذب الرسل جميعًا دلل على هذا القول بأدلة ؟

ج : أما الأدلة على هذا فمنها ما يلي :

• قول الله تبارك وتعالى : ﴿ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [البقرة : ٩٨] فالواو هنا بمعنى (أو) والمعنى من كان عدوًّا لله أو ملائكته أو رسله أو جبريل أو ميكال فإن الله عدو للكافرين .

• وقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

• وقول الله تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾ [الفرقان : ١٧] وإنما أُرسل إليهم نوح فقط .

• وقال تعالى : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٢٣] وأرسل إليهم هود فقط .

• وقال تعالى : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٤١] وقال : سبحانه : ﴿ كذبت ثمود بالنذر ﴾ [القمر : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٦٠] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر ﴾ [القمر : ٣٣] فمن كفر برسول وكذَّبه فقد كفر بالرسل

جميعًا وكذبهم ، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله ، لأن جبريل لا يَنزل إلَّا بأمر الله قال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠٢] وقال تعالى : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإن اللّه ... ﴾ [البقرة : ٩٧] .

* * *

س : لماذا خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة في قوله تعالى : ﴿ من كان عدوًّا للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [البقرة : ٩٨] ؟

ج : خُصا بالذكر تشريفًا لهما وبيانًا لفضلهما ، فهو عطف للخاص على العام لبيان شرفهما وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما يوم بدر : « مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال » .

● وقيل خُصًّا بالذكر ، لأن اليهود ذكروهما ، وفرقوا بينهما في المحبة فقالوا : جبريل عدو اليهود من الملائكة ، وميكال هو وليهم ، والله أعلم .

* * *

س : هل جبريل أفضل أم ميكائيل عليهما السلام ؟

ج : رأى عدد من أهل العلم أن جبريل أفضل واستدل له الرازي بوجوه منها :

● **الأول** : أن الله تعالى قدم جبريل عليه السلام في الذكر ، وتقديم المفضول على الفاضل في الذكر مستقبح عُرفًا فوجب أن يكون مستقبحًا شرعًا .

● وثانيها : أن جبريل عليه السلام ينزل القرآن والوحي والعلم وهو مادة

بقاء الأرواح وميكائيل ينزل بالخصب والأمطار وهي مادة بقاء الأبدان ، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل .

● **وثالثها :** قوله تعالى في صفة جبريل : ﴿ مطاع ثمَّ أمين ﴾ [التكوير : ٢١] ذكره بوصف المطاع على الإطلاق ، وظاهره يقتضي كونه مطاعًا بالنسبة إلى ميكائيل فوجب أن يكون أفضل منه والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو موقع الواو في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا .. ﴾ [البقرة : ١٠٠] ؟

ج : الواو هي واو العطف ، دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة : ٥٠] وقوله تعالى : ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ [يونس : ٤٢] وكما في قوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ [الكهف : ٥٠] وكما تدخل على ثمَّ كما في قوله تعالى : ﴿ أثمَّ إذا ما وقع آمنتم به ﴾ [يونس: ٥١] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم ﴾ وما هو العهد الأخير الذي نقضوه ؟

ج : المراد – والله أعلم – الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه وتوبيخهم على هذا الصنيع أما العهد الأخير الذي نقضوه في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم ﴾ [البقرة : ١٠٠] فهو ما كانوا يقولونه قبل

مبعث رسول الله ﷺ لئن خرج نبي اتبعناه .

* * *

س : هل كل اليهود نابذون للعهود أو أكثرهم أو أقلهم ؟

ج : ليسوا كلهم لقوله تعالى : ﴿ نبذه فريق منهم ﴾ [البقرة : ١٠٠] ولكن أكثرهم نابذون للعهود والمواثيق كما قال تعالى : ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] .

- ولقوله تعالى : ﴿ ولا تزال تطلع على خائنةٍ منهم إلا قليلًا منهم ﴾ [المائدة : ١٣] .

- وقال تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] والله تعالى أعلم .

* * *

س : يجب الحذر غاية الحذر من اليهود فإن من دأبهم الغدر ومن شيمهم نقض العهود والمواثيق ، دلل على هذا ؟

ج : أخبرنا الله عز وجل عن حال اليهود فقال سبحانه : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] ، وقال سبحانه : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة : ١٣] وقال عز وجل ﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلًا منهم ﴾ [المائدة : ١٣] .

* * *

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

اتبعوا – تتلوا – على ملك سليمان – فتنة – بإذن الله – لمن اشتراه – خلاق – شروا به أنفسهم – لو كانوا يعلمون ؟

ج :

الكلمة	معناها
اتبعوا	اتبعوا الشيء ساروا وراءه وفضّلوه

معناهــــا	الكلمــة
تحدث وتروي – تقرأ – تتقول	تتلوا
في عهد مُلك سليمانِ – (عن ملك سليمان) أي ما تفتريه عن ملك سليمان	على ملك سليمان
ابتلاء واختبار	فتنة
بقضاء الله	بإذن الله
لمن اختار السحر	لمن اشتراه
نصيب	خلاق
باعوها	شروا به أنفسهم
من الثواب أي الثواب خير لهم ، فالمثوبة الثواب والجزاء والأجر ، ومعنى لمثوبة أي لأثيبوا مثوبة أي لنالوا أجرًا	مثوبة
لو كانوا ينتفعون بالعلم	لو كانوا يعلمون

***

س : قال تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٠١] من هو الرسول ، وما هو كتاب الله الذي نبذوه ؟

ج : الرسول هو محمد ﷺ والكتاب الذي نبذوه هو التوراة ، والمعنى لما جآءهم رسول الله ﷺ موافقًا للتوراة وأوصافه موافقه للأوصاف التي فيها وأفعاله وأقواله كذلك نبذوا التوراة لذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من ترك الحق ابتلي باتباع الباطل اذكر دليلًا على ذلك ؟

ج : أما الدليل فهو أن بني إسرائيل لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان كما أخبر بذلك الله عز وجل فقال سبحانه : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ... ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ؟

ج : هم فريق اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] .

● **قال ابن جرير الطبري رحمه الله** : يعني بقوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى

وراء ظهورهم تجاهلًا منهم وكُفرًا بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزلٌ من عنده على نبيه ﷺ ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه ، وذلك هو الخسار والضلال المبين .

● **وقال القرطبي رحمه الله :** هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضًا وهم اليهود .

❋ ❋ ❋

س : هل اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان أم أسلافهم ؟

ج : الجواب أن الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان سواء كانوا من اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ أم من أسلافهم الذين تقدموهم .

● فاليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ حاججوه بالتوراة وخاصموه بها فلما رأوا أن التوراة موافقة للقرآن وفيها صفة رسول الله ﷺ وصفة مبعثه وصفة ما جاء به نبذوا التوراة وراء ظهورهم وذهبوا يتحاكون افتراءات افترتها الشياطين على ملك سليمان وأكاذيب اختلقتها الشياطين عليه .

● وأسلافهم من اليهود كذلك فشا فيهم السحر اتباعًا منهم لما تلته الشياطين على ملك سليمان وتركًا للتوراة وللعمل بها .

وهذا القول بالعموم هو الذي اختاره الطبري رحمه الله تعالى فقال : والصواب من القول في تأويل قوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين

أدركوا رسول الله ﷺ فجحدوا نبوته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله وهجرهم العمل به ، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى فأغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وإنما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود ، ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله : ﴿ واتبعوا ﴾ بعضًا منهم دون بعض إذ كان جائزًا فصيحًا في كلام العرب إضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ إلى أخلافهم بعدهم ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول ولا حجة تدل عليه فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال : كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية على النحو الذي قلنا ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

ج : المعنى باختصار أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته على ملك سليمان وقيل: إن المعنى واتبعوا ما تلته الشياطين[1] في عهد ملك سليمان فقال هذا الفريق: إن (على) تأتي بمعنى (في) ، و (في) تأتي بمعنى (على) أحيانًا

---

(١) أي الشياطين الموجودون على عهد ملك سليمان عليه السلام فالحاصل أن من العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان عليه السلام ومن العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان عليه السلام وقالوا : هذه الشعوذات وصنوف السحر هي التي كان يحكم بها سليمان ويسخر بها الجن .

كما في قول فرعون : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ [طه : ٧١] أي على جذوع النخل .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي تلته الشياطين على ملك سليمان عليه السلام ؟ اذكر بعض الآثار في ذلك ؟

ج : تدور أكثر أقوال المفسرين على أن الذي تلته الشياطين على ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ونسبوها إلى سليمان عليه السلام ، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن ، على تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهاتٍ لهم ، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلى قائليها .

• أثر ابن عباس رضي الله عنهما

أخرجه الطبري[1] من طريق أبي السائب السوائي قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يُقال لها جَرادَة ، وكانت من أكرم نسائه عليه ، قال : فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدًا ، قال : وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئًا من نسائه أعطى الجرادة خاتمه فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يومٍ خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي فأخذه فلبسه ، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس ، قال : فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي ! فقالت: كذبت لست بسليمان ! قال: فعرف سليمان

---

(١) هو عند الطبري (١٦٦٠) ، وأبو السائب السوائي هو سلم بن جنادة .

أنه بلاء ابتلي به قال : فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرأوها على الناس وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ! قال فبرئ الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمدًا ﷺ فأنزل جل ثناؤه : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ [البقرة : ١٠٢] فأنزل الله عز وجل عذره وهذا إسناد حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

● ومن طريق[١] أبي أسامة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أيضًا قال : كان[٢] آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا من كل سطرين سحرًا وكفرًا وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل بها ، قال : فأكفره جهال الناس وسبوُّه ، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل الله على محمد ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ... ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● أثر قتادة رحمه الله

أخرج الطبري بإسناد حسن[١] عن قتادة قوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ من الكهانة والسحر ، وذكر لنا – والله أعلم – أن الشياطين ابتدعت كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيم ثم أفشوه في الناس

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (٩٨٨) .

(٢) في الأصل (قال) والصواب ما أثبتناه .

(٣) الطبري (١٦٥٢) .

وعلموهم إياه .

• أثر أبي مجلز رحمه الله

أخرج الطبري بإسناد صحيح[1] إلى أبي مجلز رحمه الله قال : أخذ سليمان من كل دابة عهدًا فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خُلِّي عنه فرأى الناس السَّجع والسحر ، وقالوا : هذا كان يعمل به سليمان ، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وهذه الآثار كما رأيت ثابتة إلى قائليها لكن الله أعلم من أين أخذها قائلوها والظاهر أنهم تلقوها من الروايات الإسرائيلية المنقولة عن أهل الكتاب، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه نفي الكفر عن سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

ج : ذلك لأن اليهود – عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة – وصفوا سليمان عليه السلام بأنه ساحر واتهموه بالسحر ، ونسبوا السحر الذي اختلقته الشياطين إليه ، ومن ثم كفَّروه ، فبرأه الله عز وجل من ذلك ونفى عنه هذا الكفر الذي قذفوه به ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان هناك سحر قبل عهد سليمان عليه السلام ؟ ولماذا خصَّ سليمان عليه السلام بالذكر في قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ ؟

ج : نعم كان هناك سحر قبل سليمان عليه السلام ، فقد كان السحر

---

(١) أخرجه الطبري (١٦٦١) بإسناد صحيح عنه .

متفشيًّا على عهد موسى ﷺ قال تعالى : ﴿ وجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ [الشعراء : ٣٩] ، وقبل قوم فرعون أيضًا كان السحر موجودًا فقد وصف الكفار من قوم نوح نوحًا عليه السلام بأنه ساحر .

● أما لماذا خصَّ سليمان عليه السلام بالذكر ، فهذا لأن اليهود نسبوا السحر إليه فأراد الله عز وجل تبرئته وإظهار أنهم اتبعوا السحر المختلق في عصره والمنسوب إليه كذبًا وزورًا ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف السحر ؟

ج : السحر عند كثير من أهل العلم عبارة عن التمويه والتخييل والخداع لإظهار الشيء على خلاف ما هو عليه بأمور يفعلها الساحر وحركات يصطنعها ، وها هي بعض الأقوال لأهل العلم في تعريفه .

قال الطبري رحمه الله تعالى[1] : واختلف في معنى « السحر » . **فقال بعضهم** : هو خُدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر ، حتى يُخيَّل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به ، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته . وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا ، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه . قالوا : فكذلك المسحور ذلك صفته : يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر ، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته ، كالذي : -

حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع ، قالا : حدثنا يحيى بن

---

(١) تفسير الطبري (٢/٤٣٦) .

سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن النبي ﷺ لما سُحر ، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله .

حدثنا ابن وكيع[1] قال : حدثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : سَحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله .

حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يُحدِّثان : أن يهود بني زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله ﷺ ، فجعلوها في بئر حزم ، حتى كان رسول الله ﷺ ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا فأرسل رسول الله ﷺ إلى بئر حزم التي فيها العقد فانتزعها . فكان رسول الله ﷺ يقول : سحرتني يهود بني زريق[2] .

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته ، واستسخار شيء من خلق الله - إلَّا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم - أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخداع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التي وصفنا . وقالوا : لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات ، لم يكن بين الحق والباطل فصل ، ولجاز أن يكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها . قالوا : وفي وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله : ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [طه : ٦٦] ، وفي خبر عائشة عن رسول الله ﷺ أنه كان إذ سُحر يخيل

---

(١) ابن وكيع (وهو سفيان بن وكيع) متكلم فيه لوراق السوء الذي كان عنده ، لكن الحديث ثابت صحيح وسيفرد له سؤال مستقل إن شاء الله .

(٢) هذا مرسل وسيأتي خبر سحر رسول الله ﷺ عن قريب إن شاء الله .

إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين - أن الساحر ينشىء أعيان الأشياء بسحره ، ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بني آدم ، كالموات والجماد والحيوان - وصحة ما قلنا .

وقال آخرون : قد يقدر الساحر بسحره أن يحوِّل الإنسان حمارًا ، وأن يسحر الإنسان والحمار ، وينشىء أعيانًا وأجسامًا، واعتلوا في ذلك بما : -

حدثنا به الربيع بن سليمان قال ، حدثنا ابن وهب قال ، أخبرنا بن أبي الزناد قال ، حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك[1] ، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به . قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها[2] ! كانت تبكي حتى إنِّي لأرحمها ! وتقول : إني لأخاف أن أكون قد هلكت ! كان لي زوج فغاب عني ، فدخلت عليَّ عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ما آمرك به ، فأجعله يأتيك ! فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل[3] فإذا برجلين

---

(١) يقال : « كان ذلك في حدثان كذا وكذا » (بكسر فسكون) ، و « في حداثته » : أي على قرب عهد به .

(٢) يشفيها : أي يجيبها بما يبلغ بها سكينة القلب فتبرأ من حيرتها . ومنه : « شفاء العي السؤال » والجهل والحيرة مرض يسقم القلوب والنفوس .

(٣) في ابن كثير١ : ٢٦٠ : « فلم يكن شيء » ، والصواب ما هنا وفي « الدر المنثور » (١ : ١٠١) وقولها : « فلم يكن كشيء » عبارة جيدة ، بمعنى : لم يكن ما مضى كشيء يعد ، بل أقل من القليل والعرب تقول : تأخرت عنك شيئًا ، أي قليلًا . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة . =

معلَّقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلَّمُ السحر ! فقالا : إنما نحن فتنةٌ ، فلا تكفري وارجعي . فأبيت وقلت : لا . قالا : فَاذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه[1] فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ قلت : نعم ، فقالا : فهل رأيت شيئًا ؟ قلت : لم أر شيئًا ! فقالا لي : لم تفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأرببتُ وأبيتُ[2] ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنَّور فبولي فيه فذهبت فاقشعرَرْت ، ثم رجعت إليهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ فقلت : لم أر شيئًا . فقالا : كذبت لم تَفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري ، فإنك على رأس أمرك[3] ! فأرببتُ وأبيتُ ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه . فذهبت إليه فبلت فيه ، فرأيت فارسًا مُتقنعًا بحديد خرج مني حتى ذَهب في السماء ، وغاب عني حتى ما أراه . فجئتهما فقلت : قد فعلت ! فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : فارسًا متقنعًا خرجَ منِّي فذهب في السماء حتى ما أراه[4]. فقالا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك ، اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئًا ! وما قالا لي شيئًا فقالت : بلى ، لن تريدي شيئًا إلا كان ! خذي هذا القمح فابذري فبذرت ، وقلت : أطلعي ! فأطلعت ، وقلت : أحقلي !

= وَقَالَتْ لَهُنَّ: آرْبَعْنَ شَيْئًا، لعلَّنِي وَإِنْ لَامَنِي فِيمَا ارتأَيْتُ مُلِيم

أي قفن قليلًا . ويقولون في مثل ذلك أيضًا : « لم يكن إلا كلًّا ولا » ، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة .

(١) في المطبوعة : « فقالا ، اذهبي .... » ، وأثبت ما في الدر المنثور وابن كثير ، فهي أجود .

(٢) في المطبوعة : « فأبيت » بحذف « فأرببت » . وأرب بالمكان لزمه و لم يبرحه والزيادة من ابن كثير في الموضعين . قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(٣) يقال : أنت على رأس أمرك ، وعلى رئاس أمرك : أي في أوله وعلى شرف منه . وزعم الجوهري أن قولهم : « على رأس أمرك » من كلام العامة ، وهذا الخبر ينقض ما قال .

(٤) في تفسير ابن كثير والدر المنثور : « فرأيت فارسًا » ، وما هنا صواب جيد .

فأحقلت ، ثم قلت : أفرِكِي ! فأفركت ، ثم قلت : أيبسي ! فأيبست ، ثم قلت : أطحني ! فأطحنت ، ثم قلت : أخبزي ، فأخبزت[1] . فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان ، سُقط في يدي وندمتُ والله يا أم المؤمنين ! والله ما فعلتُ شيئًا قط ولا أفعله أبدًا[2] !

---

(١) في هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة ، سأذكرها في مدرج شرحها . « أطلعي فأطلعت » أي أخرجي شطأك ، من قولهم : أطلع الزرع ، إذا بدا أول نباته من الأرض . « أحقلي فأحقلت » . أي أخرجي حقلك . والحقل : الزرع إذا استجمع خروج نباته . أحقل الزرع : تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه . « أفركي فأفركت » أي كوني فريكًا . وهو حب السنبلة إذا اشتد وصلح أن يفرك . أفرك السنبل : صار فريكًا ، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل . و « أيبس فأيبست » أي كوني حبًا يابسًا ، أيبس البقل : يبس وجف . « أطحني فأطحنت » . أي كوني طحينًا . ولم يرد في كتب اللغة : « أطحن » ، ولكنها أتبعت هذا الحرف ما مضى من أخواته ، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضع « أخبزي فأخبزت » ، أي كوني خبزًا يؤكل ، وهذه أيضًا لم ترد في كتب اللغة ، ولكنها عريقة كأختها السالفة . وقد قال ابن كثير : أن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة ، وأن الحاكم صححه ، فإن كان ذلك كما قالا ، فلا شك في عربية هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضًا .

(٢) الخبر : ١٦٩٥ - مضت قطعة منه ، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد : ١٦٩١ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير (١ : ٢٦٠ ، ٢٦١) ، بطوله ، عن الطبري . وقدم له بكلمة ، قال : « وقد ورد في ذلك أثر غريب ، وسياق عجيب في ذلك . أحببنا أن ننبه عليه » . ثم قال بعد نقله :

« فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها » . وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان ، بأطول منه .

وذكره السيوطي (١ : ١٠١) ، ونسبه أيضًا للحاكم وصححه . والبيهقي في سننه .

وهي قصة عجيبة ، لا ندري أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة ؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة أخبرتها . والإسناد إلى عائشة جيد ، بل صحيح .

الربيع بن سليمان : هو المرادي المصري المؤذن ، صاحب الشافعي وراوية كتبه ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم (٤٦٤/٢/١) . ابن أبي الزناد : هو « عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان » ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة ، في روايته عن أبيه ، وفي رواية البغداديين عنه . والحق أنه ثقة ، وخاصة في حديث =

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا ، واعتلُّوا بما ذكرنا ، وقالوا : لولا أن الساحر يقدرُ على فعل ما ادَّعى أنه يقدر على فعله ، ما قَدر أن يُفرِّق بين المرء وزوجه قالوا : وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يَتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه . وذلك لو كان على غير الحقيقة ، وكان على وجه التخييل والحُسبان ، لم يكن تفريقًا على صحة ، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة .

وقال آخرون : بل « السحر » أخذٌ بالعين .

وقال البغوي رحمه الله تعالى [(١)] : قيل معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى : ﴿ وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾ [الزخرف : ٤٩] أي العالم ، **والصحيح** أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل ، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر .... ثم قال رحمه الله: وقيل إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة حمار ويجعل الحمار على صورة الكلب ، والأصح أن ذلك تخييل ، قال الله تعالى : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [طه : ٦٦] لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون ، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس ، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحمي ويغضب ، وربما يُحم منه ، وقد مات قوم سمعوه فهو بمنزلة العوارض

= هشام بن عروة . فقد قال ابن معين – فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره – « أثبت الناس في هشام بن عروة : عبد الرحمن بن أبي الزناد » . وقد وثقه الترمذي وصحح عدة من أحاديثه ، بل قال في السنن (٣ : ٥٩) ، في حديث له صححه ، وفيه حرف لم يروه غيره ، فقال : « وإنما ذكره عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو ثقة حافظ » .

قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى قلت : وإطلاق القول بتوثيق ابن أبي الزناد فيه نظر ، ولكن من صحح روايته عن هشام بن عروة فله سلفٌ قوي كما أشار إليه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(١) تفسير البغوي (١٢٨/١) .

والعلل التي تؤثر في الأبدان .

وقال القرطبي رحمه الله :

الثالثة – السحر ؛ قيل : السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني ، فُيخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به ؛ كالذي يرى السراب من بعيد فيُخيَّل إليه أنه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه . وقيل : هو مشتق من سَحرتُ الصَبِّيَّ إذا خدعته ، وكذلك إذا علَّلته . والتسحير مثله ؛ قال لَبيد .

فإنْ تسألينا فيم نحن فإننا ... عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّرِ

آخر .

أرانا مُوضعين لأمر غيبٍ ... ونسْحَرُ بالطعام وبالشراب

عصافير وذبَّانٌ ودُودٌ ... وأجرأ من مُجلِّحة الذئاب

وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت من المسحرين ﴾ [الشعراء : ١٨٥] يقال المسحر الذي خُلق ذا سحر ، ويُقال من المعلِّلين أي ممن يأكل الطعام ويشرب الشراب .

وقيل أصله الخفاء ، فإن الساحر يفعله في خفية ، وقيل أصله الصَّرف ، يقال ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته ، وقيل أصله الاستمالة، وكلُّ من استمالك فقد سحرك ، وقيل في قوله تعالى : ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٥] أي سُحرنا فأُزلنا بالتخييل عن معرفتنا ، وقال الجوهري : السحر الأُخذة ، وكلُّ ما لطف مأخذه ودقَّ فهو سحر ، وقد سحره يسحره سحرًا ، والساحر العالم ، وسحره

أيضًا بمعنى خدعه ، وقد ذكرناه ، وقال ابن مسعود : كنا نسمي السحر في الجاهلية العِضَه ، والعَضِةُ عند العرب شدة البهت وتمويه الكذب ، وقال الشاعر :

أعـوذ بربِّـي مـن النَّافثـات   في عِضَـهِ العاضِـه المُعْضِـه

وقال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل ص ٢/٢١٣) :
واعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجري مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله ، قال تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ [الأعراف : ١١٦] يعني موَّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى ، وقد يستعمل مقيدًا فيما يُمدح ويُحمد كما قال رسول الله ﷺ لعمرو بن أهتم : « إن من البيان لسحرًا » لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته ، وبالجملة فالسحر المطلق إنما هو تخييل بشعوذة صارفة للأبصار أو تمتمة مزخرفة عائقة للأسماع فلا يغير حقائق الأشياء ولا ينقل الصور .

وقال الجزائري في تفسيره : السحر هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم .

وقال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) :

﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ وهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء ، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير ، وهو مشتق من سحرت الصبيَّ إذا خدعته ، وقيل أصله

الخفاء فإن الساحر يفعله خفية ، وقيل أصله الصرف ، لأن السحر مصروف عن جهته ، وقيل أصله الاستمالة لأن من سحرك استمالك ، وقال الجوهري : السحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، والساحر العالم .

وقال الغزالي : السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور ، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين ، وتحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور انتهى ، وقد ذكر أبو السعود أنواعًا من السحر فليرجع إليه .

● **وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره :** والسحر في اللغة العربية يطلق على كل شيء لَطُفَ مأخذه ودقّ ، ويطلق كذلك على الصَّرف والتحويل عن الجهة المعتادة والتمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء فيخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به في الواقع كالذي يرى السراب من بعيد فيخيَّل إليه أنه ماء ، وكالذي يركب مركبًا شديد السرعة (كالقطار) إذا كان طريقه بين أشجار أو منازل أو غيرها من الأشياء الثابتة فَيُخَيَّلُ إلى راكبه أنه واقف وأن الأشجار أو المنازل أو الجبال هي التي تجري ، كما يطلق السحر على الخداع من قولهم : سحرت الصبيَّ إذا كان قد خدعه ومنه قول لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإننــا عصافير من هذا الأنام المسحَّر

كما يطلق السحر على الاستمالة بقوة البيان ومنه قول رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحرًا »[1] الذي رواه البخاري . كما كان يطلق على

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا وكذلك =

الساحر اسم العالم حيث كانت مدارس تعليمه في مصر أيام فرعون موسى قد بلغت حدًّا لم يعرف في التاريخ أنه بلغه أحد بعدهم أو قبلهم ، كما كانت مدارسه في جزيرة العرب قبل الإسلام ، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه في قصة أصحاب الأخدود والراهب والساحر . وقد يكون السحر برقى شيطانية وطلاسم ونفث في عقد ، وهو سحر أهل بابل من عهد إبراهيم عليه السلام وكانوا يعبدون الكواكب ، وقد يكون السحر بخفة اليد كالشعوذة ، ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة للتأثر ولذلك نهى الأطباء المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر ، كما نُهي المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللَّمعان والدَّوران . كما أن بعض السحرة قد يستعين بالمغناطيس ونحوه ، وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد ، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أنواع السحر ؟

ج : ذكر الرازي رحمه الله تعالى بحثًا طويلًا في أنواع السحر ، وحصرها في ثماينة أنواع وها هي باختصار .

● **الأول :** سحر الكلدانيين والكسدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مُبطلًا لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذاهبهم .

= أخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا .

قلت : ولم يتضح لي وجه هذا السحر ولا كيفيته .

الثاني : سحر أصحاب الأوهام ، ومثَّل له الرازي برجل يمر على جذعٍ وهذا الجذع له حالان ، الحال الأول أنه موضوع على الأرض فالرجل يمرُّ عليه بسهولة ويسر ، والثاني أن الجذع موضوع كالجسر وتحته هاوية فحينئذٍ يتخيل المار أنه سيسقط في الهاوية فيتعذر عليه المرور من فوق الجسر .

وقال الرازي أيضًا : اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف[1] عن النظر إلى الأشياء الحمر ، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران ، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام فحاصل هذا النوع أن الساحر يخدع أصحاب النفوس الضعيفة والأوهام .

الثالث من أنواع السحر : الاستعانة بالجن لوصول الساحر إلى مراده[2] .

الرابع : التخيلات والأخذ بالعيون كمن يركب شيئًا سريعًا كقطار أو طائرة أو سيارة مثلًا ويظن أن الأشجار تجري من حوله ، وهو الذي يجري في الحقيقة ونورد هذا النوع والأنواع التي بعده بتمامها كما قال الرازي رحمه الله ، فقد قال :

النوع الرابع من السحر : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهذا الأخذ مبني على مقدمات : إحداها : أن أغلاط البصر كثيرة فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركًا . وذلك يدل على

---

(١) هو المصاب بالرعاف .

(٢) قال الرازي : ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد فهذا النوع من السحر المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن .

أن الساكن يرى متحركًا والمتحرك يرى ساكنًا ، والقطرة النازلة ترى خطًّا مستقيمًا ، والذبالة التي تدار بسرعة ترى دائرة والعنبة ترى في الماء كبيرة كالإجاصة ، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيمًا ، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيمًا فإذا فارقته وارتفعت عنه صغرت ، وأما رؤية العظيم من البعيد صغيرًا فظاهر ، فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أن القوة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة ، وثانيها : أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفًا تامًّا إذا أدركت المحسوس في زمانٍ له مقدار ما ، فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدًّا ثم أدركت بعده محسوسًا آخر وهكذا فإنه يختلط البعض ولا يتميز بعض المحسوسات عن البعض وذلك فإن الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطًا كثيرة بألوان مختلفة ثم استدارت فإن الحس يرى لونًا واحدًا كأنه مركب من كل تلك الألوان ، وثالثها : أن النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر ولا يشعر الحس به البتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان آخر ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه ، لما أن قلبه مشغول بشيء آخر ، وكذا الناظر في المرآة فإنه ربما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكبر منها إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرآة ، وربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئًا مما في المرآة ، إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر ، وذلك لأن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئًا آخر عملًا بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيًّا لتفاوت الشيئين ، أحدهما : اشتغالهم بالأمر الأول ، والثاني سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدًّا ، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد

أن يعلمه ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله، فهذا هو المرادِ من قولهم: إن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ العيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعًا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدًا، فإن الضوء يفيد البصر كلالًا واختلالًا، وكذا الظلمة الشديدة وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالًا واختلالًا، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها، فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر.

النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى: مثل فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسه أحد، ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكة وباكية، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور وبين ضحك الخجل وضحك الشامت، فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل، وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجر ثقيلًا عظيمًا بآلة خفيفة سهلة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر، لأن لها أسبابًا معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيرًا شديدًا لا يصل إليه إلا الفرد بعد الفرد لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر، ومن هذا الباب عمل «أرجعيانوس»

الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مختارًا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخًا من فراخ البراصل ، والبراصل هو طائر عطوف وكان يصفر صفيرًا حزينًا بخلاف سائر البراصل وكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيره المخالف لصفير البراصل ضربًا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ ، لأنها تظن أن هناك فرخًا من جنسها فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها « أسطرخس » الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر صوب البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلىء تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع .

النوع السادس من السحر : الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته . واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق[1] .

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى : « عمدة التفسير » (ص ٢٠٣) : يدخل =

النوع السابع من السحر : تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة ، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثرًا عظيمًا في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار[1] .

النوع الثامن من السحر : السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس ، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه[2] ، والله أعلم .

***

س : ما هيَ منزلة السحر بين الذنوب ؟ وما حكم الساحر ؟ وما حدُّه ؟

ج : السحر من كبائر الذنوب ، وذلك لأن النبي ﷺ ثناه بالشرك ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال :

= في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مُدعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات .

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : هذا النمطُ يقال له : (التنبلة) وإنما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم – وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه فإذا كان المتنبل حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره .

(٢) قلت : ويلحق به البيان الحسن (الأسلوب الحسن) فقد قال النبي ﷺ : « إن من البيان لسحرًا » .

الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »[1].

● **ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر** لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● **وكذلك حكم الساحر** فمن العلماء مَن ذهب إلى أنه مرتكب لكبيرة ومنهم من ذهب إلى أنه كافر ، ومن العلماء من فصَّل في ذلك .

● **قال النووي رحمه الله** : إن كان في السحر قول أو فعل يقتضي الكفر كفر الساحر وتُقبل توبته إذا تاب عندنا ، وإن لم يكن في سحره ما يقتضي الكفر عزِّر واستتيب .

● **وقال القرطبي رحمه الله** : وقال بعض العلماء : إن قال أهل الصناعة : إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار أو تعظيم الشيطان فالسحر إذًا دالٌّ على الكفر على هذا التقدير ، والله أعلم .

● **وقال صديق حسن خان (في فتح البيان في مقاصد القرآن)** : وفي قولهما : ﴿ فلا تكفر ﴾ أبلغ إنذار وأعظم تحذير أي أن هذا ذنب يكون من فعله كافرًا فلا تكفر ، وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر ، وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد ، وبين من تعلَّمه ليكون ساحرًا ومن تعلمه ليقدر على دفعه ، وبه قال أحمد .

● **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ١٠/٢٣٥)** : وقد استدل بهذه الآية[2] على أن السحر كفر ومتعلمه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٨٩) .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان =

كافر ، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب ، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلَّمه أصلًا قال النووي : عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرًا ومنه ما لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه حرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل فإن تاب قبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزِّر ، وعن مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق ، قال عياض وبقول مالك قال أحمد وعياض وجماعة من الصحابة والتابعين . اهـ ، وفي المسألة اختلاف كثير وتفاصيل ليس هذا موضع بسطها ، وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره ، وإما لإزالته عمن وقع فيه ، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإن سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعًا كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان ، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعلٍ بخلاف تعاطيه والعمل به ، وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلًا ، وإلا جاز للمعنى المذكور .

أما حدُّ الساحر: فقد رأي فريق من أهل العلم أن الساحر يقتل لحديث: «حد الساحر ضربة بالسيف» لكن هذا الحديث ضعيف ولا يثبت عن رسول الله ﷺ.

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] قالوا فدل ذلك على أن السحر كفر ومن ثم يقتل فاعله .

= ولكن الشياطين كفروا .. ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

واستدلوا أيضًا بأنه روي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم قتل الساحر .

● ومن العلماء من فصَّل في حد الساحر فنظر في تفصيله إلى طريقة السحر التي سحر بها وإلى النتيجة من وراء هذا السحر ، فإن سحر بنفسه بكلام يكون كفرًا فيُقتل حينئذٍ ولا يستتاب ولا تقبل توبته[1] .

● **قال القرطبي رحمه الله** : واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذِّمي فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلامٍ يكون كفرًا يُقتل ولا يُستتاب ولا تقبل توبته ، لأنه أمرٌ يستسر به كالزنديق والزاني ، ولأن الله تعالى سمى السحر كفرًا بقوله : ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة ، وروي قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين .. ثم قال رحمه الله : قال ابن المنذر : وإذا أقرَّ الرجل أنه سحر بكلامٍ يكون كفرًا وجب قتله إن لم يتب ، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلامًا يكون كفرًا ، وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفرٍ لم يجز قتله . انتهى المراد .

قلت : ومن العلماء من فرَّق بين ساحر أهل الكتاب والساحر المسلم ، فذهب إلى أن ساحر أهل الكتاب لا يُقتل إلا إذا قتل بسحره ، لكنه يعاقب على قدر ما أحدث وألحق الضرر .

● قلت ويشهد لهم قوله تعالى : ﴿وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها﴾[الشورى:٤٠]

---

(١) المراد بعدم قبول التوبة هنا قبولها في الظاهر أي لا يُدرأ عنه الحد لقوله إني تبت . وذلك ، لأن باب التوبة مفتوح لكل من أرادها لقول الله تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ١٠/٢٤٧) :

لا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهري إلا أن يقتل بسحره فيقتل وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعن مالك إن أدخل بسحره ضررًا على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله ، وإنما لم يقتل النبي ﷺ لبيد بن الأعصم ، لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ولأنه خشي إذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار وهو من نمط ما راعاه من ترك قتل المنافقين سواء كان لبيد يهوديًّا أو منافقًا على ما مضى من الاختلاف فيه ... انتهى المراد .

***

س : هل ثبت أن الرسول ﷺ سُحر ؟

ج : نعم وقد ثبت ذلك في الصحيحين[1] ففي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سُحر النبي ﷺ حتى إنه لُيخيلُ إليه أنه يفعل الشيء[2] وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال : « أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ » قلت : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : « جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليَّ ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب[3] ، قال : ومن طبَّهُ ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق ، قال في ماذا ؟ قال في مُشط ومشاطة[4] وجُف طلعةٍ ذكر ، قال

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٦٥ ، ٥٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٢١٨٩) .

(٢) في رواية للبخاري : حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن .

(٣) مطبوب أي مسحور .

(٤) المشاطة هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحهما وتمشيطهما .

فأين هو ؟ قال في بئر ذي أروان[1] ، قال فذهب النبي ﷺ في أُناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشة فقال : والله لكأن ماءها نُقاعة[2] الحِناء ، ولكأن نخلها رءوس الشياطين ، قلت يا رسول الله أفأخرجته[3]؟ قال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وكرهت أن أثوِّر

---

(١) في رواية في بئر (ذروان) .

(٢) نقاعة الحناء هي الماء الذي تُنقع فيه الحناء ، والحناء معلومة وهي التي تستعمل في الخضاب .

(٣) في هذه الرواية (**أفأخرجته**) وفي رواية أخرى في البخاري أيضًا (٥٧٦٥) قالت : (فأتى النبي ﷺ البئر **حتى استخرجه** فقال : « هذه البئر التي أريتها ، وكأن ماءها نُقاعة الحناء وكأن نخلها رءوس الشياطين » **قال فاستخرج** ، قالت : فقلت : **أفلا – أي تنشَّرت –؟** فقال « أما والله فقد شفاني وأكره أن أُثير على أحدٍ من الناس شرًّا » .

● وفي رواية ثالثة للبخاري (٥٧٦٣) : قلت يا رسول الله (أفلا استخرجته) قال : قد عافاني الله ، فكرهت أن أُثير على الناس فيه شرًّا فأمر بها فدُفنت .

● وفي رواية مسلم (قالت فقلت يا رسول الله **أفلا أحرقته ؟** قال : لا أمَّا أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أُثير على الناس شرًّا فأمرتُ بها فدفنت » وفي رواية أخرى لمسلم : وقالت قلت يا رسول الله **فَأَخْرِجه** .

● ورجَّح الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى رواية سفيان بن عيينة (التي هي فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال : « هذه البئر التي أُريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين » قال : فاستخرج قالت فقلت : أفلا – أي تنشَّرت –؟ فقال : « أما والله فقد شفاني وأكره أن أُثير على الناس شرًّا » .

● وأورد الحافظ ابن حجر رحمه الله وجهًا آخر عن بعض العلماء حاصله أن الاستخراج المنفي غير الاستخراج المثبت ، فالمثبت هو استخراج الجف ، والمنفي استخراج ماحواه ، قال : وكأن السر في ذلك أن لا يراه الناس فيتعلمه من أراد استعمال السحر .

● هذا وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله : (أفلا أحرقته) يرجع الضمير فيه إلى لبيد بن الأعصم الذي سحر رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

على الناس منه شرًّا وأَمَرَ بها فدُفنت » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على حديث السحر وكيف تم دفعها ؟

ج : أوجز الحافظ ابن حجر رحمه الله هذه الردود فقال في فتح الباري (١٠/٢٣٧ ، ٢٣٨) :

قوله : (حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله) .

قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .

قال المازري : وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل .

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض ؛ فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين ، قال : وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطىء زوجاته ولم يكن وطأهن ، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة .

قلت : وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه : « حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن » ، وفي رواية الحميدي : « أنه يأتي أهله ولا يأتيهم » ، قال الداودي : « يرى » بضم أوله أي : يظن ، وقال ابن التين : ضبطت « يرى » بفتح أوله .

قلت : وهو من الرأي لا من الرؤية ، فيرجع إلى معنى الظن ، وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق :« سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره » ، وعنده في مرسل سعيد بن المسيب : « حتى كاد ينكر بصره » ، قال عياض : فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده .

قلت : ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد : « فقالت أخت لبيد بن الأعصم : إن يكن نبيًّا فسيخبر ، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله » ، قلت : فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح ، وقد قال بعض العلماء : لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك ، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت ، فلا يبقى على هذا للملحد حجة ،وقال عياض : يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء ، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود ، ويكون قوله في الرواية الأخرى : « حتى كاد ينكر بصره » أي صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته ، فإذا تأمله عرف حقيقته ، ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولًا فكان بخلاف ما أخبر به .

وقال المهلب : صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده ، فقد مضى في الصحيح أن شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه ،

فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام ، أو عجز عن بعض الفعل ، أو حدوث تخيل لا يستمر ، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين .

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث : « أما أنا فقد شفاني الله » ، وفي الاستدلال بذلك نظر ، لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل : « فكان يدور ولا يدري ما وجعه » ، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد : « مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان » الحديث .

* * *

س : ما معنى النُشرة ، وهل هي مشروعة أم لا ؟ وهل يُسئل الساحر حل السحر عن المسحور ؟

ج : النشرة هي نوع من العلاج يُعالج به من يُظن أن به سحرًا أو مسًّا من الجن .

أما هل هي مشروعة أم غير مشروعة ، فالذي يظهر لي بعد مراجعة ما ورد فيها أنها على أقسام .

- نشرة مشروعة وتكون بالرقى والأذكار والأدعية الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذه مشروعة بلا شك ويلتحق بها نشرة لم يرد نصُّها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، ولكنها أدعية وأذكار مفهومة معروفة فهذه أيضًا مشروعة لقول النبي ﷺ : « لا بأس بالرقى ما لم يكن شركًا » .
- نشرة غير مشروعة وهي بالتعاويذ الشركية والبدعية .

● نشرة بطلاسم وأذكار غير مفهومة فهذه تترك أيضًا خشية أن يكون بها شركًا والشخص لا يشعر ، والله تعالى أعلم .

● أما هل يُسأل الساحر حل السحر عن المسحور فقال القرطبي رحمه الله تعالى : أجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري[1] ، وإليه مال المُزني وكرهه الحسن البصري ، وقال الشعبي : لا بأس بالنشرة ، قال ابن بطال : وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى ، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله قلت : وهذا غير وارد عن رسول الله ﷺ ، ولا

---

(١) ذكر البخاري في صحيحه في كتاب «الطب» (مع الفتح ٢٤٣/١٠) باب هل يستخرج السحر ، قال : وقال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب - أو يؤخذ عن امرأته ، أيحلُّ عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم يُنْه عنه .

كذا ذكره البخاري معلقًا ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريق أبان العطار عن قتادة ، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه ؟ فقال : « إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع » وأخرجه الطبري في « التهذيب » من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سحرٌ أن يمشي إلى من يطلق عنه فقال : هو صلاح ، قال قتادة وكان الحسن يكره ذلك يقول لا يعلم ذلك إلا ساحر ، قال فقال سعيد بن المسيب إنما نهي عما يضر ولم ينه عما ينفع .

● هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٢٤٦/١٠) : قال ابن القيم رحمه الله : من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة ، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يُخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له .

تتضح فيه صورة شرك فإن جُرِّب ونفع الله به فهو ذاك ، وإلا فالحجة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الفروق بين المعجزة والسحر ؟

ج : من هذه الفروق أن السحر يوجد من الساحر ومن غيره أما المعجزة فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثلها ومن هذه الفروق أن المعجزة يُستدل بها على توحيد الله عز وجل أما السحر فليس كذلك .

* * *

س : ما معنى ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠٢] وهل الملكان هما هاروت وماروت ؟ وإذا لم يكونا هاروت وماروت فمن هما ومن هما هاروت وماروت ؟

ج : أما ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ... ﴾ [البقرة : ١٠٢] فلأهل العلم فيها أقوال أشهرها ما يلي :

الأول : أن (ما) بمعنى (لم) أي أن (ما) هي (ما) النافية .

الثاني : أن (ما) بمعنى (الذي) .

الثالث : أن (ما) بمعنى (الذي) لكن المراد به (التفريق بين المرء وزوجه)[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر ١٦٧٤) قوله : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] ، فالسحر سحران سحرٌ تعلّمه الشياطين ، وسحرٌ يعلمه هاروت وماروت .

قلت : وحمل بعض العلماء السحر الذي يُعلّمه هاروت وماروت على التفريق بين المرء وزوجه .

الرابع : أن (ما) يجوز في هذا الموطن أن تكون بمعنى الذي ويجوز أن تكون بمعنى (لم)[1] .

● أما هاروت وماروت فمن العلماء من قال : إنهما الملكان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] وهما ملكان من الملائكة ابتلاهما الله عز وجل وابتلى بهما على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

● ومن العلماء من قال : إن هاروت وماروت رجلان مفسدان يعلمون الناس التفريق بين المرء وزوجه وصنوفًا أخرى من السحر ، وعلى هذا القول فالملكان هما جبريل وميكائيل .

* * *

س : ما هو تأويل قول الله عز وجل ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] ؟

ج : تأويل هذا مبني على تفسير (ما) وعلى بيان المواد بالملكين وبيان من هما هاروت وماروت فلينظر إلى السؤال السابق مع جوابه ، وعليه فنقول :

● **بناء على أن (ما) بمعنى لم** قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تأويل القدر المذكور من الآية : واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴿ ببابل هاروت

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد رحمه الله - (١٦٧٨) وسأله رجل عن قول الله عز وجل : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠٢] فقال الرجل : يعلِّمان الناس ما أنزل عليهما ؟ أم يُعلِّمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ قال القاسم : ما أُبالي أيتهما كانت .

وماروت ﴾ فيكون حينئذٍ قوله : ﴿ ببابل هاروت وماروت ﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم ، فإن قال قائل - وكيف وجه تقديم ذلك ؟

قيل وجه تقديمه أن يُقال : واتبعوا من تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما أنزل اللّٰه السحر على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيًا بـ (الملكين) جبريل وميكائيل ، لأن سحرة اليهود فيما ذُكر كانت تزعم أن اللّٰه أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهما الله بذلك وأخبر نبيه محمدًا ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط ، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر وأخبرهم أن السحر عمل الشياطين وأنها تعلّم الناس ذلك ببابل وأن اللذين يعلمانهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون ﴿ هاروت وماروت ﴾ على هذا التأويل ترجمةً على الناس وردًّا عليهم .

قلت : وهذا التأويل لا يخلو من تكلف وترد عليه إشكالات منها :

- أنه لا يوجد في الآية الكريمة ذكر لجبريل وميكائيل .
- والثاني أنه إذا كان هاروت وماروت على ما ذُكر لكان من حقهما الرفع هاروتُ وماروتُ .
- والثالث أن التقديم والتأخير على النحو المذكور فيه شيء من التعسف والتكلف .
- الرابع أن قوله تعالى : ﴿ يُعلمون ﴾ جمع وهاروت وماروت مثنى ، فهذا وجه النظر عندي في هذا التأويل ، قاله مصطفى .

وإن قلنا إن (ما) بمعنى (الذي) فقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى في تأويل الآية على هذا الوجه :

واتبعت اليهودُ الذي تلت الشياطين في ملك سليمان ، والذي أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما ملكان من ملائكة اللّٰه عز وجل .

وانتصر ابن جرير الطبري رحمه اللَّه لهذا الوجه فقال (٤٢٤/٢) : والصواب من القول في ذلك عندي قول من وجَّه ﴿ ما ﴾ التي في قوله : ﴿ وما أُنزل على الملكين ﴾ إلى معنى (الذي) دون معنى (ما) التي هي بمعنى الجحد ، وإنما اخترت ذلك من أجل أن (ما) إن وجِّهت إلى معنى الجحد تنفي عن (الملكين) أن يكونا منزلًا إليهما ، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني (هاروت وماروت) من أن يكونا بدلًا منهما وترجمة عنهما أو بدلًا من الناس) في قوله : ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ وترجمة عنهما .

فإن جُعلا بدلًا من (الملكين) وترجمة عنهما بطل معنى قوله : ﴿ وما يعلِّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ ، لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يُفرِّق به بين المرء وزوجه فما الذي يَتعلَّم منهما من يفرق بين المرء وزوجه ؟ وبعد [1] فإن ما التي في قوله : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ إن كانت في معنى الجحد عطفًا على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ فإن اللَّه جل ثناؤه نفى بقوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه ، وهاروت وماروت هما الملكان – فمن المتعلِّم منه إذًا ما يفرِّق به بين المرء وزوجه ؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ ؟ إن خطأ هذا القول لواضحٌ بينٌ وإن كان قوله : ﴿ هاروت وماروت ﴾ ترجمة عن (الناس) اللذين في قوله : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس

---

(١) قوله هنا (وبعد) بمعنى أيضًا ، فقد تقدم أن لها معاني كما في قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٣] أي : عتل مع ذلك .

السحر ﴾ فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من (هاروت وماروت) عن تعليم الشياطين إياهما ، فإن يكن ذلك كذلك فلن يخلو (هاروت وماروت) – عند قائل هذه المقالة – من أحد أمرين :

إما أن يكونا ملكين ، فإن كان عنده ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلِّمانه الناس وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه أعظم مما ذُكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب ، وفي خبر الله عز وجل عنهما أنهما لا يعلمان أحدًا ما يتعلم منهما حتى يقولا : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة :١٠٢] ما يغني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول .

● أو أن يكونا رجلين من بني آدم فإن يكن ذلك كذلك فقد كان يجب أن يكون بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل من بني آدم ، لأنه إذا كان علمُ ذلك من قبَلِهما يُؤخذ ومنهما يُتعلَّم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدمُ السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما ، وفي وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول ، وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم لم يُعدَما من الأرض منذ خلقت ولا يُعدمان بعد ما وجد السحر في الناس فيدَّعي ما لا يخفى بُطولُه[1] فإن فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها فبين أن معنى ﴿ ما ﴾ التي في قوله : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ [البقرة :١٠٢] بمعنى (الذي) وأن (هاروت وماروت) مترجمٌ بهما عن الملكين ، ولذلك فُتحت أواخر أسمائهما ، لأنهما في موضع خفض على الردَّ على (الملكين).

---

(١) أي بطلانه .

ولكنهما لما كانا لا يُجرَّان فتحت أواخر أسمائهما ، فإن التبس على ذي غباء ما قلنا فقال ، وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلِّم الناس التفريق بين المرء وزوجه ؟ أم كيف يجوز أن يُضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة ؟ قيل له : إن الله جل ثناؤه عرَّف عباده . جميع ما أمرهم به وجميع مانهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه ، ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم فالسحر مما قد نهى عنه عباده من بني آدم عنه ، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علَّمه الملكين اللذَينِ سماهما في تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه ، وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلُّم منهما ويُخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ، ويكون الملكان في تعليمهما من علَّما ذلك لله مطعيين إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك مَنْ علَّماه يعلمان ، وقد عُبد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ذلك لهم ضائرًا إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به بل عُبد بعضهم والمعبود عنه ناهٍ ، فكذلك الملكان غير ضائرهما سُحر من سَحر ممن تعلَّم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه وعظتهما له بقولهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] إذ كان قد أدَّيا ما أمرا به بقيلهما ذلك ، والله أعلم .

أما القرطبي رحمه الله تعالى (٢/٥٠) : قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ﴾ [البقرة : ١٠٢](ما) نفي والواو للعطف على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ [البقرة :١٠٢] ، وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، التقدير وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، فهاروت وماروت بدل من

الشياطين في قوله : ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ [البقرة :١٠٢] هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه ، كذا قال القرطبي رحمه الله .

قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن ١/٢٨) :

اختلف الناس في حرف (ما) فمنهم من قال إنه نفي ، ومنهم من قال : إنه مفعول وهو الصحيح ، ولا وجه لقول من يقول : إنه نفي لا في نظام الكلام ولا في صحة المعنى ولا يتعلق من كونه مفعولًا سياق الكلام بمحالٍ عقلًا ولا يمتنع شرعًا **وتقريره** : واتبع اليهود ما تلته الشياطين من السحر على ملك سليمان أي نسبته إليه وأخبرت به كقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ [الحج : ٥٢] أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ما لم يُلقه النبي يحاكيه ويلبس على السامعين به حسبما بيناه .

وما كفر سليمان قط ولا سحر ، ولكن الشياطين كفروا بسحرهم وأنهم يعلِّمون الناس ، ومعتقد الكفر كافر ، وقائله كافر ، ومعلِّمه كافر ، ويعلِّمون الناس ما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما كان الملكان يُعلمان أحدًا حتى يقولا : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضآرين به من أحدٍ إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

***

س : هل يجوز أن يُنزل الله عز وجل السحر أو هل يجوز أن تعلمه الملائكة للناس ؟

ج : أجاب على هذا ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بقوله : إن الله

عز وجل قد أنزل[1] الخير والشر كلَّه وبيَّن جميع ذلك لعباده فأوحاه إلى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحلّ لهم مما يحرم عليهم ، وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفوها ونهاهم عن ركوبها فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها وليس في العلم بالسحر إثم كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطَّنابير والملاعب ، وإنما الإثم في عمله وتسويته ، وكذلك لا إثم في العلم[2] بالسحر وإنما الإثم في العمل به وأن يُضَرَّ به من لا يحل ضرُّه به ، فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علَّماه من الناس إثم إذ كان تعليمهما من علَّماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهياه عن السحر والعمل به والكفر ، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجًا كما لم يكونا حَرِجين لعلمهما به إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما .

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى (أحكام القرآن ١/٢٨) :

فإن قيل كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر ؟ قلنا كلُّ خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزلٌ من عند الله تعالى قال النبي ﷺ كما في الصحيح : « ماذا فتح الليلة من الخزائن ؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن ؟ أيقظوا صواحب الحُجر ربَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة »[3]

---

(١) وقد قال النبي ﷺ ذات ليلة : « سبحان الله ماذا أنزل من الفتن ... » الحديث .

(٢) أما قوله لا إثم في السحر ففيه نظر ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ وما يُعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] ولو كان في تعليم السحر خيرًا لتعلمه رسول الله ﷺ وعلَّمه أصحابه أو حثهم على تعلمه ، والله تعالى أعلم .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٧٠٦٩) من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : =

فأخبر عليه السلام عن نزول الفتن على الخلق .

***

س : إذا قلنا أن ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ما أنزل على الملكين ببابل ﴾ [البقرة : ١٠٢] بمعنى الذي فما هو الذي أنزل على الملكين ببابل ؟

ج : لأهل العلم فيه قولان : أحدهما أنه السحر أيضًا .

وقول آخر – أنه التفريق بين المرء وزوجه لقوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة :١٠٢] .

***

س : ما هو الحاصل في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] ؟

ج : يبين الله عزَّ وجل حال اليهود وما هم عليه من العناد والشقاق لأنبياء الله وللكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى وأنهم كان عندهم في التوراة صفة رسول الله ﷺ ونعته فلما جاء رسول الله ﷺ موافقًا في صفته ونعته وما عندهم في التوراة ويأمر بالتوحيد والإيمان برسل الله وملائكته .. إلى غير ذلك رفض هؤلاء اليهود التوراة ونبذوها وراء ظهورهم نبذ رجلٍ جاهل ، وهم في الحقيقة يعلمون ما فيها فتركوها لما وجدوها توافق

= استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول : « سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه – لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة » .

رسولَ الله ﷺ وتُصدقه ويوافقها ويصدق الثابت فيها واتجهوا بعد نبذها – كما اتجه كل نابذ للحق – إلى الأكاذيب والأباطيل وأنواع السحر والشعوذة التي افترتها الشياطين ونسبتها إلى سليمان عليه السلام كذبًا وزورًا ، وما سحر سليمان عليه السلام ، ولا أمر بالسحر ولا أَقَرَّه بحالٍ من الأحوال عليه الصلاة والسلام وما كفر سليمان عليه السلام ، ولكن الشياطين كفروا ، وكفروا باختلاقهم السحر وتعليمه للناس ، وكفروا أيضًا بتعليمهم الناسَ الذي أُنزل على المَلَكَين ببابل هاروت وماروت من التفريق بين المرء وزوجه ، وهاروتُ وماروتُ ملكان ببابل تتعلم الشياطين وأتباعها منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ، وما يعلمان من أحد حتى يحذرانه ويقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر .

هذا هو الذي يقتضيه السياق ، والله تعالى أعلم .

● **وترد على هذا التأويل تساؤلات منها .**

● **هل أُنزل السحر (أو تعلمه) على الملكين ؟** فالإجابة بنعم فإن الله أخبر بذلك وقال : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ [البقرة :١٠٢] (وما) هنا بمعنى الذي ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة :١٠٢] ففيه دليل على أن التفريق بين المرء وزوجه يُتعلم من الملكين ، **فإن قال قائل وهل ينزل الشر ؟** فالإجابة بنعم فإن النبي ﷺ قد قال ذات ليلة : « سبحان الله ماذا أُنزل الليلة من الفتن .. » الحديث .

● **فإن قال قائل : كيف ينزل السحر على الملكين ويعلمانه للناس ، والله سبحانه وتعالى يقول في شأن الملائكة : ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦]**

وقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء :١٧٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في فضل الملائكة وطاعتها لربها عز وجل ؟! .

فالإجابة على ذلك من وجوه :

● أحدهما أن هذا من العام المخصوص بمعنى أن عموم الملائكة صالحون مطيعون لله عز وجل فيما أمر مجتنبين ما نهى عنه الله وزجر إلا أنه قد يكون فيهم من عصى ولا يعكر عصيانه على عموم الصالحين ، قد قدمنا أن رأي الجمهور أن إبليس كان ملكًا[1] ومع ذلك فقد عصى ، وأيضًا قال الله عز وجل : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ١٤] فنفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن الأعراب في هذه الآية الكريمة ، وأثبت الله عز وجل الإيمان لبعضهم في قوله تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سَيُدخِلُهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة : ٩٩] .

● الثاني : أنه ليس في الآية الكريمة ما يُفيد صراحة أن الملكين عصاة إنما غاية ما في الآية الكريمة أن الشياطين (أو الناس) يتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ، هذا غاية ما في الآية الكريمة بشأن الملكين ، فقد يكونا قد أُمرا بذلك من الله عزو جل وحينئذ لا يكونا عاصيين ، ويؤيد قولهما لمن تعلم منهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة :١٠٢] .

● الوجه الثالث ما ذكره بعض العلماء حيث قال : إن السحر أُنزل ليُتعلم على جهة التحذير وممن قال بهذا القول ابن عطية رحمه الله

---

(١) وقد حررنا القول في ذلك وهل هو ملك أم جني من قبل فانظره إن شئت .

تعالى[1] ، وقال عبد القادر بن شيبة الحمد غفر الله له في تفسيره (٢٣٢/١) : وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد ، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله ، ولما كثر شرّ هذا النوع من السحر أنزل الله الملكين هاروت وماروت ببابل من أرض العراق يعلمان الناس فك سحر المسحورين ويحذرانهم من إيذاء الناس بالسحر ، ويقولان لكل من يعلمانه إنما نحن فتنة فلا تكفر أي فلا تستغل فرصة معرفتك لفك سحر المسحورين بسحر الناس ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] وذلك أن تعليمهما كان ذا وجهين ، يمكن استخدامه في وجوه من الشر ويمكن استخدامه في وجوه الخير ، وهوفك المسحور ، وكما قال عزّ وجل : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقد تكون معرفة طرق الشر ضرورية للقضاء عليها وفي ذلك يقول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

انتهى المراد من كلامه حفظه الله[2] .

● أما ما هي قصة هاروت وماروت وما شأنهما فسيأتي ذلك في سؤال لاحق إن شاء الله . وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة ما ذكر عن هاروت وماروت وفيه أن الملائكة

---

(١) في تفسيره (٣٠٧/١) محرر .

(٢) قلت : وهذا الوجه الذي ذكره الشيخ عبد القادر فيه نظر عندي وذلك لأن الله قال : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة : ١٠٢] ولعل الشيخ عفا الله عنه فرَّ من وصف الملكين بالعصيان ، وقدمنا في الوجه الثاني ما يصرف العصيان عنهما وبالله التوفيق والله تعالى أعلم .

في السماء قالت : أي رب هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر ، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل لهم اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وجُعلت فيهما شهوات بني آدم وأُمرا أن يعبد الله ولا يشركا به شيئًا ... إلى آخر ما ورد في هذا الخبر ونحوه وفي آخره أنهما عصيا ربهما وشربا الخمر وقتلا النفس وزنيا ... وفي آخر أمرهما أنهما اختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما يعذبان إلى يوم القيامة وكذلك المرأة التي أغوتهما طارت فكانت كوكب الزهرة ونحو هذا .. ؟

ج : الأخبار الواردة في هذا الصدد لا نعلم شيئًا منها ثابتًا عن رسول الله ﷺ ، وإنما ذكرها بعض السلف والغالب أنهم تلقوها من الإسرائيليات التي يرويها أهل الكتاب ، والعلم عند الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالتفريق بين المرء وزوجه في قوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ . [البقرة : ١٠٢] وكيف يُفرِّق الشيطان بين المرء وزوجه ؟

ج : المراد بالتفريق بين المرء وزوجه إما الطلاق ، وإما المنع من الوطء ، وإما بث الكراهية بين الزوجين .

أما كيفية التفريق بين المرء وزوجه فقال الطبري رحمه الله تعالى[1] فإن قال قائل وكيف يفرِّق بين المرء وزوجه ؟

قيل قد دللنا فيما مضى على أن معنى (السحر) تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته بما فيه الكفاية لمن وفِّق لفهمه فإذا كان

---

(١) تفسير الطبري (٢/٤٤٦) .

ذلك صحيحًا بالذي استشهدنا عليه فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحدٍ منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حُسنٍ وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويُعرض عنه حتى يُحدث الزوج لامرأته فراقًا فيكون الساحر مفرقًا بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فُرْقة ما بينهما ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : وتفريقهما أن يُؤخذ كلُّ واحد منهما عن صاحبه ويُبغَّض كل واحد منهما إلى صاحبه .

❋ ❋ ❋

س : هل تفريق السحرة بين الزوجين مؤكد ؟

ج : لا بل غير مؤكد إلا أن يشاء الله وإنما فعل السحرة من باب الأسباب والمسببات ، وقد يأخذ الشخص بالأسباب ولا يوفق لنيل مراده فقد يسعى الإنسان للكسب مثلًا ويتاجر من أجل ذلك ويجد ويجتهد ولكنه يخسر فضلًا عن أن يحرم الكسب ، وقد يتداوى الشخص ولكن لا ينجح فيه الدواء فكذلك الساحر قد يسحر ويُجري شعوذاته ولا يستطيع أن يصل بضرره إلى الشخص ، والله عز وجل يقول : ﴿ وما هم بضآرين به من أحدٍ إلا بإذن الله ﴾ [البقرة : ١٠٢] ويقول سبحانه : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ [الأنعام: ١٧] .

ويقول سبحانه : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ، وإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهوالغفور الرحيم ﴾ [يونس : ١٠٦ ، ١٠٧] .

● وقال تعالى : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد.. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍّ هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل

هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ [الزمر :٣٥-٣٨].

وقال النبي ﷺ : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك »[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ١٠٢] من هم الذين علموا ؟

ج : هم اليهود النابذون لكتاب الله وراء ظهورهم ، وقد نقل الطبري رحمه الله تعالى الإجماع على أن قوله تعالى : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ١٠٢] معنيٌّ به اليهود دون الشياطين .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٣] خيرٌ من ماذا ؟

ج : خيرٌ من اتباعهم الكفر الذي تلته الشياطين على ملك سليمان ، وخيرٌ من الإثم الذي سيلحقهم من جراء هذا الاتباع ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح ، أخرجه أحمد في المسند (٢٩٣/١) ، والترمذي (حديث ٢٥١٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم (٥٤١/٣ - ٥٤٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (حديث ٣١٦ معلقًا) ، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ [البقرة :١٠٣] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا ﴾ [البقرة :١٠٣] لو أن الذين يتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه (آمنوا) فصدقوا الله ورسوله وما جآءهم به من عند ربهم (واتقوا) ربهم فخافوه فخافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله إياهم وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه خيرًا لهم من السحر وما اكتسبوا به (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله إياهم على ذلك خيرٌ لهم من السحر ومما اكتسبوا به ، وإنما نفى بقوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ العلم عنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

راعنا – أليم – ما يود – رحمته ؟

ج :

الكلمة	معناها
راعنا	أمهلنا – فرِّغ لنا سمعك – اهتم بنا وأرشدنا لطرق الخير
أليم	مؤلم موجع
ما يود	ما يحب – ما يتمنى
رحمته	نبوته – الإسلام – عموم الرحمة

✵ ✵ ✵

س : ما هو المراد بقول المؤمنين لرسول الله ﷺ : ﴿ راعنا ﴾ وما هو المراد بقول اليهود له عليه الصلاة والسلام : ﴿ راعنا ﴾ ؟

ج : للعلماء في بيان المؤمنين بقولهم لرسول الله ﷺ : ﴿ راعنا ﴾ أقوال منها .

- أمهلنا وأنظرنا حتى نفهم ما تقول ونَعيَهُ .
- فرِّغ سمعك لنا يا رسول الله .
- انظر إلينا واهتم بنا وأرشدنا لمقصد الخير وطرق الثواب .
- **أما مراد اليهود** فيقصدون بها الرعونة وهي الجهل المفرط والحماقة .

* * *

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ واسمعوا ﴾ في قوله عز وجل : ﴿ ... وقولوا انظرنا واسمعوا ﴾ [البقرة : ١٠٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – اسمعوا قولي وامتثلوا أمري .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] دليل على سد الذرائع وضحه ، وبيِّن معنى الذريعة ، واذكر بعض الأدلة عليها ؟

ج : إيضاحه أن اليهود لما كانوا يشاركون المسلمين في قولهم (راعنا) إلا أنهم يلوون ألسنتهم بها ويحرفونها إلى ما يريدوه من وصف رسول الله ﷺ بالجهالة والحمق ، نُهي المؤمنون عن قول (راعنا) وأُمروا باستعمال لفظٍ آخر غير مشتبه ولا يمكن معه الوصول إلى سب

رسول الله ﷺ .

فسد هذا الذريعة التي يتوصل بها اليهود إلى النيل من رسول الله ﷺ حيث أنه لن يقول (راعنا) بعد قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] إلا من في قلبه سوء فحينئذ سينكف عن قولها خشية أن يظهر أمره وتظهر مخالفته ، والله تعالى أعلم .

أما معنى الذريعة فقال القرطبي رحمه الله : والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يُخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع .

أما الأدلة على سد الذرائع فمنها .

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ... ﴾ [الأنعام :١٠٨] .
- ومنها نهى النبي ﷺ عن شتم الرجل أبا الرجل حتى لا يُسب الشاتم قال رسول الله ﷺ : « من الكبائر شتم الرجل والديه ؟ قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »[1] .
- ومنها قول النبي ﷺ : « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه... »[2] الحديث فمنع من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات .
- ومنها النهي عن تصوير ذوات الأرواح وتصوير

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، والبخاري (مع الفتح ٤٠٣/١٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢) ، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

الصالحين حتى لا يؤدي ذلك إلى الشرك والغلو فيهم فقد ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة ورأين بها تصاوير فقال رسول الله ﷺ : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تثبت أن اليهود كانوا يلوون ألسنتهم بالكلام لصرفه عن ظاهره وتحويله إلى وجهة سيئة يريدونها هم ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ﴾ [النساء :٤٦] .

● وقول النبي ﷺ : «إن اليهود إذا سلموا عليكم فإنما يقول أحدهم (السام)[2] » . أي الموت .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نُهي المسلمون عن قول (راعنا) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نُهوا عن قول (راعنا) ، لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول الله ﷺ وسبه.

---

(١) وانظر أدلة أخرى أوردناها عند قول الله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] .

(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢/٢٨٠) ، ومسلم (مع النووي ١٤/١٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن اليهود إذا سملوا على أحدكم إنما يقولون سام عليك فقل عليك » .

والسخرية والنَّيل منه[1] .

● وذهب ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى إلى أنها كلمة كرهها الله تعالى أن تُقال لنبيه ﷺ كما قال النبي ﷺ : « لا تقولوا للعنب الكرم ... » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه سياق الآية الكريمة ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾ [البقرة : ١٠٥] عقب قوله تعالى : ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة: ١٠٤] ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أن وجه ذلك لبيان شدة عداوة الكافرين من القبيلين ﴿ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ﴾ [البقرة : ١٠٥] للمؤمنين ، ومن ثمَّ تنبيه المؤمنين على عدم التشبه بهم والسير وراءهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالرحمة في قول الله تعالى : ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ [البقرة : ١٠٥] ؟

ج : للعلماء فيها ثلاثة أقوال : منها .

الأول : أن المراد بالرحمة عموم الرحمة .

والثاني : أن الرحمة المراد بها الإسلام .

الثالث : أن المراد بالرحمة هنا النبوة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (١٧٢٨) ، بإسناد حسن إلى قتادة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] قولٌ كانت تقوله اليهود استهزاءًا فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :–

ننسخ – نُنسها – دون الله – وليٍّ – نصير– أم تريدون – ضلَّ – سواء السبيل ؟

ج :

الكلمة	معناها
ننسخ	نُبدل آية بغيرها أو نُزل حكمها أو نزيلهما (أي اللفظ والحكم) معًا
نُنسها	ننسيكها (من النسيان المعهود) أي نمحها من الصدور ، أو – نتركها بلا نسخ[1]

(١) أعني أن فريقًا من العلماء قال بالقول الأول ، وفريقًا قال بالقول الثاني .

دون الله	سوى الله – بعد الله – غير الله
وليٌّ	قائمٌ بأموركم يليها ويُدبرها لكم
نصير	النصير هو الناصر – المؤيد – المقوِّي
أم تريدون	بل تريدون – أتريدون ؟
ضل	ذهب وحاد
سواء السبيل	السواء هو الوسط والمُعظم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ [الصافات : ٥٥]، ومنه قول حسان رضي الله عنه : يا وَيحَ أَنصَارِ النبيِّ ونَسْلِهِ بعد الُمغَيَّب في سَوَاءِ المُلْحدِ وسواء السبيل هو الطريق السَّوي المستقيم ، وهو الصراط المستقيم .



س : في قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .. ﴾ [البقرة : ١٠٦] رد على اليهود فما وجه هذا الرد ؟

ج : وجه هذا الرد أن اليهود ادَّعوا أنه لا يوجد نسخ لآيات الله عز وجل توصلًا بذلك منهم إلى إنكار آيات القرآن حتى يؤكدوا أن الأحكام الواردة في التوراة باقية إلى الأبد لم يتطرق إليها نسخ ، فقالوا أثناء ذلك : إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ ثم ينهاهم عنه غدًا ، واشتد طعنهم لما تحوَّلت قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام – على ما سيأتي بيانه إن شاء الله ، فكان في قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها .. ﴾ [البقرة : ١٠٦] ردٌّ عليهم ، ومن أوجه الرد عليهم أيضًا أن التوراة التي بين أيديهم ناسخة لأحكام قد تقدمتها . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى النسخ ؟ وما المراد بقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ؟

ج : النسخ يُطلق على معنيين :

أحدهما : النقل ، كنقل كتاب من آخر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

والثاني : الإزالة والإبطال ، والإزالة على قسمين :

أولهما : إزالة الشيء وإقامة شيء مقامه(١) .

وثانيهما : إزالة الشيء وعدم إقامة شيء مقامه(٢) .

---

(١) ومنه قولهم نسخت الشمسُ الظلَّ إذا أذهبته وحلَّت محله وكمثال له في الكتاب العزيز قول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] نسخ قوله تعالى : ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .
● وقوله تعالى: ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] نسخ قوله تعالى: ﴿ وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] على رأي الجمهور.

(٢) قال القرطبي : ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ﴾ [الحج : ٥٢] أي يزيله فلا يُتلى ولا يثبت في المصحف بدله .

فالنسخ يكون بنقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه.

● قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدِّله ونغيره ، وذلك أن يُحوَّل الحلال حرامًا والحرام حلالًا والمباح محظورًا والمحظور مباحًا ، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة ، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ .

❋ ❋ ❋

س :هل يوجد نسخ في الأخبار ؟

ج : الجمهور من أهل العلم على أن الأخبار لا يتطرق إليها نسخ ، نقله عنهم القرطبي رحمه الله تعالى فقال : الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي ، والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى ، وقيل : إن الخبر إذا تضمن حُكمًا شرعيًّا جاز نسخه كقوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَرًا ﴾ [النحل : ٦٧] .

● هذا وقد تقدم قول الطبري رحمه الله أن الأخبار لا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر تعريف (الناسخ) ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : .. فالذي عليه الحُذَّاق من أهل السنة أنه إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعي بخطاب وارد متراخيًا .

وقال ابن عطية : وحد الناسخ عند حذاق أهل السنة : الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه عنه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر أشهر أقسام النسخ ؟

ج : أشهر أقسام النسخ ثلاثة :

أولها : نسخ الحكم وبقاء التلاوة ، وهذا أكثر ما ورد ، ومن أمثلته :

قول الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

وقول الله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [النور : ٢] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ﴾ [النساء : ١٦] .

● وقول الله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] على رأى الجمهور .

الثاني : نسخ التلاوة وبقاء الحكم مثل ما ذكره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : (كان فيما أنزل الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله ورسوله) .

وهذا كان مما يتلى فنسخ وبقي حكمه ، والمراد بالشيخ والشيخة (المحصن والمحصنة) .

والثالث : نسخ التلاوة والحكم معًا مثل نسخ الرضعات من عشر إلى

خمس ، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرِّمن ثم نُسخن بخمسٍ معلوماتٍ ، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يُقرأ من القرآن(١) .

***

س : اذكر بعض الأدلة على النسخ ؟

ج : من الأدلة على النسخ ما يلي :-

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أونُنسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

● قول الله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل .... ﴾ الآية [النحل : ١٠١] .

● قول الله عز وجل : ﴿ ويمحو الله ما يشاء ويُثبت ﴾ [الرعد : ٣٩] .

● الآيات الواردة في كتاب الله عز وجل الدالة على النسْخ كتحويل القبلة في قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٩] ونحوها .

● تخفيف الصلوات من خمسين صلاة إلى خمس صلوات .

● فداء إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٥٢) .
وقال النووي رحمه الله (وهن فيما يُقرأ) معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدًّا حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنًا متلوًّا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى .

وثم أدلة أُخر في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

***

س :متى يُصار إلى الحكم بالنسخ ؟

ج : يُصار إلى الحكم بالنسخ عند تواجد الآتي :

١ – المخالفة : بمعنى أن يكون هناك نص يخالف نصًّا فهذا يأمر مثلًا وهذا ينهى وهذا يبيح وهذا يحظر ، وهذا يُحل وهذا يُحرِّم .

٢ – تكافؤ الطرق : وهذا يكون في الأحاديث وليس في الآيات ،ومعناه في الأحاديث أن يكون هذا صحيح وهذا صحيح مثله أما إذا كان هناك صحيح وضعيف فلا يكون من باب الناسخ والمنسوخ بل يُرَدُّ الضعيف ويعُمل بالصحيح فقط .

٣ – عدم إمكان الجمع : بمعنى أن الجمع بين الناسخ والمنسوخ يكون متعذرًا .

***

س :ما هي الطرق التي يُتوصل بها إلى معرفة الناسخ والمنسوخ ؟

ج : لمعرفة الناسخ طرق منها :

- معرفة التأريخ (أي معرفة المتقدم من المتأخر) .
- وورود لفظٍ في السياق يدل على النسخ كقول النبي ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها »[1] .
- إجماع الأمة على أن آية ما من الآيات أو حديث من الأحاديث منسوخ ، أو قول جمهور العلماء أو بعضهم إذا كان مُدعمًا بدليل وحجة ، والله تعالى أعلم .

***

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٧٧) ، وأبو داود (حديث ٣٢٣٥) ، والنسائي (٤/٨٩) ، والترمذي (حديث ١٠٥٤) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، كلهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا .

س :اذكر مثالًا لنسخ الأخف بالأثقل والأثقل بالأخف ولمتساوي الوجهين ومثالًا لآية منسوخة وليس هناك تكليف مكانها ؟

ج : **أما مثال نسخ الأخف بالأثقل** فمنه قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] نسخ بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ولا شك أن الإلزام بالصوم أثقل من التخيير بين الصوم والإطعام .

● **أما نسخ الأثقل بالأخف** فمنه قوله تعالى : ﴿ .. وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] نسخ بقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت... ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

● ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون ﴾ [الأنفال : ٦٥] نسخت مصابرة العشرين للمائتين بقوله تعالى : ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعفًا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ﴾ [الأنفال : ٦٦] فأصبح الرجل ينازل الرجلين بدلًا من منازلته للعشرة .

● **أما النسخ الذي تتساوي فيه الوجهتين** فمنه نسخ التوجه لبيت المقدس بقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، والله تعالى أعلم .

● أما الآية المنسوخة ولم يقم مكانها تكليف فهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ... ﴾ [المجادلة : ١٢] نسخت بقوله تعالى : ﴿ ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. ﴾ [المجادلة : ١٣] ، والله أعلم .

س : هل يُنسخ القرآن بالسنةِ والسنةُ بالقرآن ؟ اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : نعم يجوز أن ينسخ القرآن بالسنة وتنسخ السنة بالقرآن فالسنة وحي ، كما قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ٣] .

● **أما المثالُ لنسخ السنة بالقرآن** فهو قوله تعالى : ﴿ ..فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ [الممتحنة : ١٠] وكانت الاتفاقية بين رسول الله ﷺ والمشركين تقتضي أنه إذا جاء أحدٌ[١] من المشركين مُسلمًا رده رسول الله ﷺ إلى المشركين فالنساء كن داخلات في هذا الاتفاق لكن نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ .

● **ومثال لنسخ القرآن بالسنة** على ما مثَّل به بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ : « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلًا ، الثيب بالثيب جلد مائة والرجم ، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » نسخ قوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلًا ﴾ [النساء : ١٥] .

وكذلك حديث : « لا وصية لوارث » عند من صححه ، ناسخ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين .. ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أو ننسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – فيه لأهل العلم قولان :

---

(١) القصة أخرجها البخاري بطولها في كتاب الشروط (حديث ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) وفيها : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ... الحديث .

القول الأول : ﴿ أو ننسها ﴾ من النسيان الذي هو بمعنى الترك فيكون المعنى : ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ نأت بخير منها أو مثلها .

● وقدر بعض العلماء هنا مقدَّر وهو (حُكْمُ) فالمعنى ما ننسخ من حكم آية أو نترك حكمها نأت بخير منها أو مثلها .

● ويَرِدْ على هذا إيرادٌ وهو كيف تكون الآية باقية (أي متروكة لم تنسخ) ويُقال نأت بخير منها أو مثلها ، وللإجابة على ذلك وجوه :

أولها : أن المراد بننسها نثبت لفظها ونترك حُكمها .

ثانيها : أن المراد بالآية : الآية من آيات التوراة فالمعنى ما ننسخ من آية من آيات التوراة نأت بخير منها أو مثلها ، وما نُنسي من آية من آيات التوراة نأت بآية في القرآن مثلها أو خير منها . لكن هذا القول لم يقل به هنا إلا قلة قليلة من أهل العلم .

(أعني القول بأن المراد بالآية آية التوراة) .

القول الثاني : أن المراد بقوله تعالى : ﴿ نُنْسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] أي : نرفع لفظها فلا يستقر منها في القلوب والأذهان شيء ، (وهو من النسيان المعهود لدى الناس) ومثال ذلك ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه من وجوه أن الذين قتلوا ببئر معونة أنزل الله عز وجل فيهم قرآنًا يُتلى (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نُسخ ذلك بعد .

● ومثال ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم (١٠٥٠) من حديث أبي الأسود قال : بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطُّول والشدة ببراءة فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى

المسبحات[1] فأُنسيتها غير أني حفظت منها . ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢] فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة .

***

س : ما هو وجه الخيرية في الآيات الناسخة مع أن بعضها قد يكون أشق في العمل به من الآيات المنسوخة ؟

ج : وجه الخيرية في الآيات الناسخة من عدة نواحي :

الناحية الأولى : أن الآيات الناسخة تكون في بعض الأحيان واضعة للآصار والأغلال التي كانت على الأمم من قبلنا .

الناحية الثانية : أن الآيات الناسخة قد تكون سهلة لينة في حفظها على الناس .

الناحية الثالثة : أن الآيات الناسخة ، وإن كانت في بعض الأحيان أشق في العمل بها من الآيات المنسوخة إلا أن ثواب العمل بها أعظم من الآيات المنسوخة .

فعلى هذا تكون الخيرية في الآيات الناسخة عاجلًا وآجلًا .

عاجلًا في كون بعضها سهل يسير يُخفف الله عز وجل به الأحكام .

وآجلًا في كون ثواب العمل بها أعظم ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو وجه ختام قوله عز وجل : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ... ﴾ بقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ١٠٦] ؟

ج : وجه ذلك بيان قدرة الله عز وجل ونفي العجز عنه ، فالله عز وجل قادر على أن يأتي بالآية المحكمة قبل الآية المنسوخة ، ولكن يؤخر هذه ويُبدل

(١) أي السور التي تُفتتح بسبحان وسبح ونحوهما .

هذه بتلك وهو عالم بالأول والآخر ويعلم ما يُصلح الناس في وقت وما يصلحهم في الوقت الآخر ويعلم أن الأليق بالناس والأنسب لهم في وقت ما أن يعملوا بكذا وفي الوقت الآخر أن يعملوا بكذا[1] ، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

* * *

س : قد يأتي الخطاب موجهًا إلى شخص ويُراد به غيره أيضًا ، دلِّل على هذا ؟

ج : أما الدليل على هذا ففي قوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، وما لكم من دون الله من وليٍّ ولا نصير ﴾ [البقرة : ١٠٧] فالخطاب صُدر لرسول الله ﷺ ، وأُريد به غيره أيضًا بدليل قوله : ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ .

● وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [الأحزاب : ١ ، ٢] فصُدِّر الخطاب بقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي ﴾ وختم بقوله : ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ فدخل فيه غير النبي ﷺ أيضًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) ألا ترى إلى الطبيب يذهب إليه المريض اليوم فيقول له الطبيب لا تأكل اللحم ولا السمك ولا تشرب اللبن ، وبعد يوم يأتيه المريض فيقول له : كل اللحم واشرب اللبن ولا تأكل السمك، وبعد ذلك يُرخص له في الأكل من كل ذلك، والمريض يُسلِّم ولا يعترض أدنى اعتراض ، وخاصة إذا كان يعلم أن الطبيب ماهرٌ حاذق ثقة ، فيفعل ما به يؤمر دون أي تردد ، بل وبنفس هادئة مطمئنة مستريحة لما يُقال له !!! .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ [البقرة : ١٠٧] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في تأويل هذه الآية : ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما ما أشاء ، وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء ، وأنهى عما أشاء ، وأنسخ وأبدِّل وأُغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي ما أشاء إذا أشاء ، وأُقرُّ منهما ما أشاء .

وهذا الخبر وإن كان من الله عز وجل خطابًا لنبيه محمد ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى وأنكروا محمدًا ﷺ لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة ، فأخبرهم الله أن له مُلك السموات والأرض وسلطانهما فإن الخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع له والطاعة لأمره ونهيه ، وأن له أمرهم بما شاء ونهيهم عما شاء ، ونسخ ما شاء وإقرار ما شاء وإنساء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه ، ثم قال لنبيه ﷺ وللمؤمنين معه : انقادوا لأمرى وانتهوا إلى طاعتي فيما أنسخ وفيما أترك فلا أنسخ من أحكامي وحدودي وفرائضي ولا يهولنكم خلاف مخالف لكم في أمري ونهيي وناسخي ومنسوخي فإنه لا قيم بأمركم سواي ولا ناصر لكم غيري ، وأنا المنفرد بولايتكم والدفاع عنكم ، والمتوحِّد بنصرتكم بعزِّي وسلطاني وقوتي على من ناوأكم وحادَّكم ونصب حرب العداوة بينه وبينكم حتى أُعلي حجتكم وأجعلها عليهم لكم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل .. ﴾ [البقرة : ١٠٨] ؟

ج : لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال :

أولها : أنهم المؤمنون ، والثاني : أنهم مشركو مكة ، والثالث : أنهم اليهود .

وأورد الرازي رحمه الله تعالى حجج كل فريق نقلًا عن غيره من العلماء .

فمن حجج القائلين بأنهم المؤمنون [1] ما يلي :

● الأول : أنه قال في آخر الآية : ﴿ ومن يتبدّل الكفر بالإيمان ﴾ [البقرة : ١٠٨] وهذا الكلام لا يصح إلا في حق المؤمنين .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبد لكم ﴾ [المائدة : ١٠١] أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها نبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يُحرَّم من أجل تلك المسألة ، ولهذا جاء في الصحيح : « إن أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرِّم من أجل مسألته »[1] ولما سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد امرأته مع رجل فإن تكلم تكلَّم بأمر عظيم وإن سكت سكت عن مثل ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها[2] ، ثم أنزل الله حكم الملاعنة ، ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال[3] ، وفي صحيح مسلم : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجلٌ أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثًا ثم قال عليه السلام : « لا =

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٩) ، ومسلم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرم من أجل مسألته » .

(٢) انظر البخاري (مع الفتح ٤٤٨/٨) ، ومسلم (٧١٤/٣) ، وأبو داود (٢٢٤٥) ، والنسائي (١٤٣/٦) ، وابن ماجه (٢٠٦٦) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٩٢) ، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) .

الثاني : أن قوله : ﴿ أم تريدون ﴾ [البقرة : ١٠٨] يقتضي معطوفًا عليه وهو قوله : ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

فكأنه قال : وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون ذلك كما أمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم .

الثالث : أن المسلمين كانوا يسألون النبي ﷺ عن أمور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى عليه السلام ما لم يكن لهم فيه خير عن البحث عنه .

الرابع : سأل قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط .

قلت : **ومن حجج القول الثاني** : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى

= ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » ثم قال : « ذروني ما تركتكم ... »[1] الحديث ، ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه : نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم – ثم قال – ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه ﴾ [الإسراء : ٩٠ – ٩٣] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزل علينا الملائكة أو نرى ربَّنا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

● وقد سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا[١] .

أما القول الثالث : فذكر الرازي أنه أصح وهو أن المراد اليهود ، قال : لأن هذه السورة من أول قوله : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي ﴾ [البقرة : ٤٠] حكاية عنهم ومحاجة معهم ، ولأن الآية مدنية ، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولأن المؤمن بالرسول لا يكاد يسأله فإذا سأله كان متبدلًا كفرًا بالإيمان .

قلت : والذي يبدو لي أن القول الأول هو أرجح الأقوال ، وإن قال قائل بالعموم (أي أن المؤمنين والمشركين واليهود كلهم سألوا)[٢] فله وجه قوي والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١/٢٤٢ – ٢٥٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا فقيل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال : لا بل أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة .. ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى (أم) إنها بمعنى بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو إنكاري ، وهو يعمُّ المؤمنين والكافرين ، فإنه عليه السلام =

س : ما المراد بالسؤال في قوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم .. ﴾[البقرة : ١٠٨] ؟

ج : المراد سؤال الآيات أي طلب حدوث المعجزات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ ؟

ج : قال الراغب – كما نقله عنه القاسمي في محاسن التأويل – : معناه لا تسألوا رسولكم كما سئل موسى فتضلوا سواء السبيل فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان فمبدأ ذلك الضلال عن سواء السبيل .

● وقال الزمخشري في كشافه : قوله تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل بسواء السبيل .

❋ ❋ ❋

= رسول الله إلى الجميع كما قال تعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ [النساء : ١٥٣] .

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾

س : ما معنى ما يلي : ودَّ ؟

الكلمة	معناها
ودَّ	أحبَّ وتمنى

✸ ✸ ✸

س : ما هو الحق الذي تبين لهم وعناه الله عز وجل بقوله : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : هذا الحق هو ما ظهر لهم من معرفتهم أن محمدًا هو رسول الله ﷺ حقًّا وأن دينه هو دين الحق[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالعفو والصفح في قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ... ﴾ [البقرة : ١٠٩] وما الفرق بين العفو والصفح ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – ترك المؤاخذة واللوم .

أما الفرق بين العفو والصفح : فالعفو هو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح هو إزالة أثره من النفس .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا .. ﴾ ؟

ج : من هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون ﴾ [الجاثية : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [آل عمران : ١٨٦] فهذه الآيات وما على شاكلتها كانت تحث المؤمنين على العفو والصفح إذا لقوا أذًى من عدوهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (١٧٩٠) بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال : من بعد ما تبين لهم أن محمدًا رسول الله ﷺ والإسلام دين الله .

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ من عند أنفسهم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ حسدًا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن هذا الحسد من اليهود إنما هو من تلقاء أنفسهم فلم يأمرهم الله عز وجل أن يحسدوا الناس على الإيمان ، بل هم عصاة في هذا الحسد الذي يحسدونه للناس .

* * *

س : هل الحسد يكون من عند النفس وغير النفس حتى يقال : ﴿ حسدًا من عند أنفسهم ﴾ ؟

ج : الحسد يكون من النفس ، ولفظة الحسد تُعطي هذا المعنى ولكن قيل : من عند أنفسهم تأكيدًا وإلزامًا وإلصاقًا للتهمة بهم كما قال تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] وكما قال سبحانه : ﴿ يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾ [البقرة : ٧٩] وكما قال سبحانه : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ حسدًا ﴾ مصدرٌ من ماذا ؟

ج : هي مصدرٌ من المعنى الموجود في قوله تعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال الطبري رحمه الله تعالى : لأن في قوله : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾ معنى : حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشاد لدينه والإيمان برسوله وخصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلًا منكم رءوفًا بكم رحيمًا ، ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعًا ، فكان قوله : ﴿ حسدًا ﴾ مصدرًا من ذلك المعنى .

قلت : فالمعنى حسدكم كثير من أهل الكتاب حسدًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالأمر في قوله تعالى : ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : الأمر هو الإذن بالقتال ، ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وفيه .. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم[١] .

وقال بعض أهل العلم : إن الأمر هنا هو قتل من قُتل ، وإجلاء من أُجلي ، وضرب الجزية على من ضُربت عليه .

وليس بين القولين تعارض إنما الثاني أكثر تفصيلًا من الأول ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مستند القائلين بأن قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ منسوخ وبماذا نسخ على قول من قال إنه منسوخ ؟

ج : هو منسوخ عندهم بقوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾[٢] [التوبة : ٢٩] وقال آخرون إنه منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] أما مستند القائلين

---

(١) وسيأتي تخريجه .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٧٩٧) : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] فأتى الله بأمره فقال : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ حتى بلغ ﴿ وهم صاغرون ﴾ أي صغارًا ونقمةً لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ .

بالنسخ فمنه ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه :

أن رسـولَ الله ﷺ ركبَ على حمارٍ على قَطيفـةٍ فَدَكية ، وأردَفَ أسامةَ بن زيد وراءهُ ، يعودُ سعدَ بن عُبادةَ في بني الحارثِ بن الخزرج قبلَ وَقعِة بدر ، قال : حتى مرَّ بمجلس فيه عبدُ الله بن أبيِّ بن سَلول ، وذلك قبلَ أن يُسلمَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ ، فإذا في المجلس أخلاطٌ منَ المسلمين والمشركين عبَدةِ الأوثانِ واليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبدُ الله بن رَواحة ، فلما غَشيَتِ المجلسَ عَجاجةُ الدابة خمَّرَ عبد الله بن أبيٍّ أنفَهُ بردائه ثم قال : لا تُغبِّروا علينا ، فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقفَ فنزلَ ، فدَعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبدُ الله بن أبيِّ بن سلول : أيُّها المرءُ ، إنه لا أحسنَ مما تقولُ إن كان حقًّا فلا تُؤذِينا به في مَجلسنا ، ارجعْ إلى رَحلِكَ فمن جاءك فاقصُصْ عليه . فقال عبدُ الله بن رَواحة : بلى يا رسول الله ، فاغشَنا به في مجالسِنا ، فإنا نحبُّ ذلك . فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهودُ حتى كادوا يتثاورون ، فلم يَزل النبيُّ ﷺ يُخفِّضُهم حتى سَكنوا . ثمَّ ركِبَ النبيُّ ﷺ دابتهَ فسارَ حتى دَخل على سعد بن عُبادةَ ، فقال له النبي ﷺ : « يا سعدُ ألم تَسمعْ ما قال أبو حُباب - يُريدُ عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا » . قال سعدُ بن عُبادة : يا رسولَ الله اعف عنه واصفَحْ عنه ، فوالذى أنزَلَ عليك الكتابَ ، لقد جاء الله بالحقِّ الذي أنزلَ عليك ولقد اصطلحَ أهلُ هذهِ البُحَيرةِ على أن يُتوِّجوه فيعصِّبونهُ بالعصابة ، فلما أبى الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ الله شرِقَ بذلك ، فذلك ، فعلَ بهِ ما رأيت . فعفا

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٦٦) ، ومسلم (حديث ١٧٩٨) .

عنه رسولُ الله ﷺ . وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه يَعفون عنِ المشركين وأهل الكتاب كما أمرَهُم الله ، ويَصطبرون على الأذى ، قال الله عز وجل : ﴿ ولتَسمعنَّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلكم ومنَ الذين أشركوا أذًى كثيرًا ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٦] وقال الله : ﴿ ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يردُّونكم من بعدِ إيمانِكم كفارًا حسدًا من عندِ أنفسهِم ﴾ [البقرة : ١٠٩] إلى آخر الآية . وكان النبيُّ ﷺ يتأوَّلُ العفوَ ما أمرَهُ الله به ، حتىٰ أذِنَ الله فيهم ، فلما غَزا رسول الله ﷺ بَدرًا فقتلَ الله به صَناديدَ كفَّار قريش قال ابن أبيٍّ بن سَلول ومَن معهُ منَ المشرِكينَ وعبَدةِ الأوثانِ : هذا أمر قد تَوَجَّه ، فبايَعوا الرسول ﷺ على الإسلام ، فأسلموا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد ؟

ج : ها هي بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد :

● **قال صاحب اللسان :** الحَسَدُ معروف حَسَدَه يَحْسِدُهُ حَسَدًا وحسَّده إذا تمنى أن تتحول إليه نِعْمَتُهُ وفضيلتُهُ أو يُسلبهما هو قال :

وَتَرى اللبيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ … شَتْمَ الرِّجال وعِرْضُهُ مشتُومُ

الجوهري : الحَسَدُ أن تتمنى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليك يُقال حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ حَسُودًا .

قال الأخفش : وبعضهم يقول يَحْسِدُهُ بالكسر والمصدر حَسَدًا بالتحريك وحَسادةً وتحاسد القوم ، ورَجُلٌ حاسِدٌ من قَوْمٍ حُسد وحُسَّاد وحَسَدَةٍ مثل حَامل وحَمَلَة وحَسُودٌ من قومٍ حُسُدٍ والأنثى بغير هاء وهم يتحاسدون .

• **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ١/١٦٦) : الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه ، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه ، والحق أنه أعم .

• **قال النووي رحمه الله** (شرح مسلم ٢/٤٦٤) : قال العلماء : الحسد قسمان حقيقي ومجازي ، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها ، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة .

وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها ، فإذا كانت من أمور الدنيا كانت مباحة ، وإن كانت طاعة فهي مستحبة .

• **وقال القرطبي رحمه الله** (التفسير ٣/٧١) : الحسد نوعان محمود ومذموم ، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا ، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] وإنما كان مذمومًا ؛ لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

• **وقال الرازي في التفسير الكبير (٣/٢٣٨)** : إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد ، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة ، أما الأول فحرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجرٌ أو كافر يستعين بها على الشر والفساد فلا يضرك محبتك لزوالها فإنك ما تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها يُتوسل بها إلى الفساد والشر والأذى .



س : ما هي مراتب الحسد التي ذكرها العلماء ؟

ج : ذكر أهل العلم للحسد مراتب وهي :

المرتبة الأولى : أن يحب الشخص زوال النعمة عن غيره وإن كانت تلك النعمة لن تتحول إليه ، فقصد الحاسد الأكبر وهمه الأعظم أن تزول النعمة عن المحسود وتتحول عنه ، وهذا أكبر أنواع الحسد وأعلى مراتبه وأشده ذمًّا ، وخاصة إذا صحب هذا الحب والتمني عملٌ من أجله قال الله تعالى : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ [النساء : ٣٢] .

المرتبة الثانية : أن يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره وتحولها إليه كأن يكون لشخصٍ امرأةٌ جميلة فيتمنى الحاسد أن يموت الشخص أو يطلقها حتى يتزوجها هو ، أو يكون لرجلٍ مركز قوي أو سلطان نافذ ويتمنى الحاسد أن يزول هذا المركز وذلك السلطان عن الرجل ويتحول إليه وهذا ، وإن كان محرمًا ، إلا أنه أخف من النوع الأول .

المرتبة الثالثة : تمني عدم استصحاب النعمة فيتمنى الحاسد أن يبقى المحسود على حاله من الفقر والجهل والضعف وشتات القلب ، فهذا حسد على شيء مقدر فاعله ممقوت عند الله مستحقر عند الناس .

المرتبة الرابعة : أن لا يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره ، ولكن يتمنى لنفسه مثلها فإن حصل له مثلها سكن واستراح ، فإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه والجزء الأول من هذه الرابعة غير مذموم ، والثاني وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود .. مذموم .

المرتبة الخامسة : أن يتمنى الشخص لنفسه مثل ما للآخر من النعم فإن لم تحدث له تلك النعم لم يتمن زوالها عن الآخر ، ويدخل في هذه المرتبة

ما يسميه أهل العلم الغبطة ولا بأس بها فهي قريبة من المنافسة وقد قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] وقال عليه الصلاة والسلام : « لا حسد إلا في اثنتين ... »[١] الحديث فهذا حسد غبطة ، الحامل لصاحبه عليه كِبَر نفسه وحب خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سبَّاقهم وعلْيتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه .

● قال ابن القيم رحمه الله :

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله : ﴿ إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجهٍ ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله وقيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك لإخوة يوسف .

لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر بها بل يعصيها طاعة لله وخوفًا وحياءً منه وإجلالًا له أن يكره نعمه على عباده فيرى ذلك مخالفةً لله وبغضًا لما يحب الله ، ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم ، هذا كله حسد تمني الزوال .

وللحسد ثلاث مراتب : إحداها هذه .

والثانية : تمني استصحاب عدم النعمة فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة

---

(١) أخره البخاري حديث (٥٠٢٥) ، ومسلم حديث (٨١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب فهذا حسد على شيء مقدر ، والأول حسد على شيء محقق ، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده وممقوت عند الله تعالى وعند الناس ولا يسود أبدًا ولا يواسَىَ فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم ، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبدًا إلا قهرًا يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم .

والحسد الثالث : حسد الغبطة وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة ، وقد قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالًا وسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس » فهذا حسد غبطة ، الحامل لصاحبه عليه كِبَرَ نَفْسِهِ وحب خصال الخير ، والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سباقهم وعِليتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الآية بوجهٍ ما .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أسباب الحسد ؟

ج : ذكر العلماء للحسد جملة أسباب منها[1] :

١ - العداوة والبغضاء :

---

(١) ومردها في الغالب إلى ضعف الإيمان بالله عز وجل .

وهذه قد تكون كامنة في الصدر بسبب وبدون سبب دنيوي ظاهر ، فقد تنشأ العداوة والبغضاء في قلب شخص لآخر من جراء ظلمه له ومكره به وخديعته إياه وغدره معه فتقذف العداوة والبغضاء في قلبه لهذا الذي ظلمه ويتمنى له من قلبه أن يحل به البلاء وتنزل عليه الكربات وتزول عنه النعم لما قدمه إليه من إساءة وبغي وعدوان .

وتنشأ هذه العداوة أيضًا بسبب اختلاف الدين فالكفار كما تقدم ، وكذلك المنافقون يودون من قلوبهم – لما جُبلت عليه قلوبهم من الشر والبغي والكفر والعدوان – أن تزول النعم عن المؤمنين وأن تنزل بهم البليات ويتضايقون غاية الضيق ويتبرمون غاية التبرم إذا نزلت بالمسلمين نعمة من ربهم عز وجل ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ .. وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط ﴾ [آل عمران : ١١٩ ، ١٢٠] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

٢ – حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح [(١)] :

فإذا كان الرجل من دأبه حب الرياسة ونيل الجاه ، وشعر أن غيره ينازعه

---

(١) والقصد الشرعي الصحيح مثل قول يوسف ﷺ : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : ٥٥] فإنما طلبها يوسف عليه السلام ليتسنى له العدل بين الناس في موطن شدة وقحط والناس فيه أحوج ما يكونون إلى ذلك العدل .

في هذه الرياسة وهذا الجاه فإنه يحب لهذا المنازع أن يبتلى وأن يفتضح وأن تسوء سمعته في الناس حتى لا يصل إلى مرتبته بل ولا يقاربه فيها إلا من رحم الله .
فلو سمع محب الرياسة والريادة في أي فن من الفنون أن له نظيرًا في العالم في هذا الباب وهذا الفن فيتمنى لهذا النظير الموت وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة كالشجاعة والعلم والزهد والملك والثروة والجاه ، وذلك كله حتى ينفرد هو بالرياسة والريادة والجاه ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣ - الشح بالخير على العباد :

فهناك أقوام جُبلوا على الشح وكراهية الخير للناس ، فإذا سمعوا بمنعَمٍ عليه في صحة أو في عقل أو في دين أو في مال أو في ولدٍ أو في زوجة أو في جاه و .. جُن جنونهم وطار فؤادهم ونحل جسمهم بلا سبب إلا هذا السبب القاتل الذي جبلوا عليه من الشح بالخير على العباد ، فتكاد صدورهم تتميز من الغيظ إذا سمعوا أن رجلًا ربح مالًا أو رزق ولدًا أو تزوج بحسناء أو رزق إيمانًا وحكمة ومن هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيرًا ﴾ [النساء : ٥٤ ، ٥٥] .

قال الرازي في التفسير[1]: فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق ذلك عليه وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ، ويقال : البخيل من بخل بمال غيره ، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة ، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث

(١) لا أعني في تفسير الآية المتقدمة ، وإنما في تفسيره (٣/٢٤١) .

النفس ورذالة جبلته في الطبع ؛ لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته .

٤ - ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه :

فالحاسد قد لا يكون به ابتداءً حسدٌ ويبدأ الحسد في التولد إذا شعر الحاسد أن غيره سيكثر ماله وترتفع منزلته فيتكبر عليه ويتعزز عليه فيخشي من التكبر المتوقع والتعزز المرتقب فيريد أن لا تنزل بصاحبه نعمة زائدة عليه حتى يبقيا في منزلة واحدة دفعًا لكبره ولتعززه ولتعاليه عليه .

● وقد قال الملأ الذين كفروا من قوم نوح : ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم .... ﴾ [المؤمنون : ٢٤] .

٥ - خوف المزاحمة وفوت المقاصد :

وهو يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد كالضرائر مثلًا ، كل ضرة منهما تريد الانفراد بالزوج ونيل حبه والاحتفاظ بسره والقرب من قلبه فمن ثم تحسد الأخرى وتتمنى زوال النعم عنها وتريد لها الزلل والخطأ .

وكذلك الأخوة يتزاحمون (إلا من رحم الله) للوصول إلى قلب الأب (وخاصة إن كان من ذوي التركات والأموال) كي يؤثر بعضهم على بعض ويفضل أحدًا على الآخر ، ذلك إذا كان غرضهم نيل الدنيا والمال .

٦ - حب تسخير البشر للنفس :

فإذا كان الرجل ثريًا من الأثرياء أو كبيرًا من الكبراء يرى الناس كل يوم وقوفًا ببابه يسخرهم كيفما شاء ويوجههم حيثما يريد رضي بذلك وقنع ، وإذا رأى بادرة خير حلت بأحدهم وأوتي مالًا

أو جاهًا وعلى إثره سيخرج من حيز تسخيره ويشق طريقه في حياته مستغنيًا عنه ، كره ذلك له وتمنى بقاءه أبد الدهر مسخرًا له مذللًا معه لا يقوم له قدر ولا يرتفع له شأن ولا يتحصل له مال حتى يبقى مسخرًا له خاضعًا لسلطانه مطيعًا لأوامره .

ومن هذا الباب ما أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : فيَّ نزلت : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ [الأنعام : ٥٢] قال : نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم ، وكان المشركون قالوا : تدني هؤلاء ، وفي رواية كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ [الأنعام : ٥٢].

● ومن هذا قول قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ومن هذا قول المشركين لمتبعي رسول الله ﷺ : ﴿ أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام : ٥٣] بل وقولهم في حسدهم رسول الله : ﴿ .. لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] كأنهم يقولون كيف نقدم علينا غلامًا يتيمًا ونخضع له ونسمع ونطيع ونطأطىء له رءوسنا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله عز وجل ؟

ج : ورد ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله عز وجل في أربع مواطن :

الأول : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم

من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قديـر ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

الثاني : قول الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] .

الثالث : قوله عز وجل : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلًا ﴾ [الفتح : ١٥] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ .. ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] .

***

س :اذكر بعض الآيات التي ورد فيها الحسد تلميحًا ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله عز وجل : ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين ﴾ [يوسف : ٨ ، ٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] .

● وقوله سبحانه : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ [النساء : ٨٩] .

● وقوله عز وجل : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

● وقال جل ذكره : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [آل عمران : ٦٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وما اختلفِ الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ [آل عمران : ١٩] .

● وقوله عز وجل : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيًا بينهم ... ﴾ [الشورى : ١٤] .

● وقوله سبحانه : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها .. ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

● وقوله سبحانه : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ [القلم : ٩] .

● وقال عز وجل : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ [المائدة : ٢٧ – ٣٠] .

● وقوله جل ذكره : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ﴾ [القلم : ٥١] .

● وقال الله سبحانه : ﴿ فقالوا[1] أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ [المؤمنون : ٤٧] .

* * *

س : هل لإيراد قوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [البقرة : ١١٠] عقب قوله عز وجل :

---

(١) أي قوم فرعون ، يقولون ذلك لموسى وهارون .

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم ﴾ [البقرة : ١٠٩] وجه اتصال وربط بين الآيتين ؟

ج : ذكر العلماء للربط بين الآيتين وجوهًا منها :

الأول : أن المسلمين : في الظرف الذي لا يكن مواتيًا للجهاد عليهم أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد وذلك بتهذيب الأخلاق والأرواح وتزكية النفوس بإقام الصلاة وفعل الخيرات إبقاءًا على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد .

الثاني : قال الطبري رحمه الله تعالى : وإنما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخيرات لأنفسهم ليطهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود وركُون من كان ركن منهم إليهم وجفاء من كان جفا منهم في خطابه رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ راعنا ﴾ إذ كانت إقامة الصلوات كفارة للذنوب وإيتاء الزكاة تطهيرًا للنفوس والأبدان من أدناس الآثام ، وفي تقديم الخيرات إدراك الفوز برضوان الله .

الثالث : قال الزجاج في تفسيره : ثم نبه الله سبحانه إلى بعض وسائل النصر الذي وُعدوا به وهو أداء الصلاة .

الرابع : هو أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ الحث على الإقبال على ما ينفع من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات وعدم الالتفات إلى حسد الحاسدين فكيدهم في تباب وأمرهم في وبال وسعيهم في خسار ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالخير في قوله تعالى : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [البقرة : ١١٠] وهل في الآية الكريمة شيء مضمر ؟

ج : الخير هنا يُراد به العمل الذي يرضاه الله عز وجل .

وقد يأتي الخير على غير هذا المعنى كما في قوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ [العاديات : ٨] فالخير هنا (المال) على قول الكثير من أهل العلم ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ما أنفقتم من خير .. ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

● أما هل في الآية الكريمة مضمرٌ أم لا ؟ فأشار فريق من أهل العلم إلى أن فيها مضمر وهو الثواب فيكون المعنى : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله .

قال الطبري رحمه الله : و (الخير) هو العمل الذي يرضاه الله ، وإنما قال : ﴿ تجدوه ﴾ والمعنى تجدوا ثوابه ، ثم قال : لاستغناء سامعي ذلك بدليل ظاهر على معنى المراد منه كما قال عُمر بن لجأ :

وسبَّحت المدينةُ لا تَلُمْهَا رَأَتْ قمرًا بسُوقِهِم نَهَارًا

وإنما أراد : وسبَّح أهل المدينة .



﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

هودًا – أمانيهم – برهانكم – أسلم – أسلم وجهه لله .

ج :

الكلمة	معناها
هُودًا	جمع هائد، والهائد هو التائب الراجع إلى الحق[١]، قاله الطبري .
أمانيهم	جمع أمنية وهي ما يتمناه الشخص
برهانكم	حجتكم – بينتكم[٢]
أسلم	استسلم وخضع
أسلم وجهه لله	انقاد لأمر الله– أسلم النفس لطاعة الله– أخلص لله.

(١) وليس مراد اليهود بقولهم لا يدخل الجنة إلا من كان هودًا أي من كان تابعًا راجعًا إلى الحق وإنما مرادهم من كان على شريعتهم وشاكلتهم ، والله أعلم .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ هاتوا بينتكم (الطبري بإسناد حسن ١٨٠٤) .

س : اذكر بعض الادعاءات الكاذبة التي يدعيها اليهود والنصارى ؟

ج : من هذه الادعاءات ما يلي :

● **دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يُعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ [المائدة : ١٨] .

● **دعواهم أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وقال سبحانه : ﴿ .. ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٤] .

● **دعوى اليهود أن المهتدي هو اليهودي وقول النصارى إن المهتدي هو النصراني .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

● **دعوى اليهود أن الجنة لن يدخلها إلا اليهودي ، ودعوى النصاري أن الجنة لن يدخلها إلا النصراني .**

قال الله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ١١٠ ، ١١١] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] إجمالٌ ، فصِّل هذا الإجمال ؟

ج : تفصيله أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًّا وليس المعنى أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا وليس المعنى أيضًا أن النصازي قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ذلك لأن كل فرقة منهما تضلل الأخرى كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء .. ﴾ [البقرة : ١١٣] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا عُبِّر بالوجه دون سائر الجوارح في قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [البقرة : ١١٢] ؟

ج : للعلماء على ذلك أجوبة ثلاث :

أولها : أن الوجه خصَّ بالذكر لكونه أكرم أعضاء ابن آدم وأشرفها وهو أعظمها حُرمة عليه وحقًّا فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له .

الثاني : أن الوجه قد يُكنى به عن الذات كما ذكره بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ [الليل : ٢٠] .

الثالث : أن أعظم العبادات هي السجدة وإنما تحصل بالوجه فلا جرم خصَّ الوجه بالذكر ، ولهذا قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمتُ وجهي لمن أَسْلَمَـتْ	له المُزْنُ تحمل صخرًا ثِقـالًا

وأسلمتُ وجهي لمن أَسلَمَـتْ	له المزن تحمـل عذبًـا زلالًا

❋ ❋ ❋

س : انتظمت الآية الكريمة : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ [البقرة : ١١٢] شرطين لثبوت الأجر على العمل ما هما هذان الشرطان ؟

ج : أما الشرط الأول فهـو إخلاص العمل لله سبحانـه وتعالى ، وهـذا مأخوذ من قولـه عـز وجـل : ﴿ بلـى من أسلـم وجهـه لله ﴾ [البقـرة : ١١٢] .

● والشرط الثاني اتباع الرسول ﷺ ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وهو محسن ﴾ [البقرة : ١١٢] أي متبع فيه للرسول ﷺ ، وهذا المعنى موجود في آيات أُخر كقوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] فلا بد أن يكون العمل خالصًا صوابًا ، خالصًا لله ، صوابًا في كونه موافقًا لسنة رسول الله ﷺ ، فإذا اختل شرط من الشرطين وانتقص فالعمل مردود .

● قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[1] .

● وقال الله سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا .. ﴾ [النور : ٣٩] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وفي لفظ مسلم : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

● وقال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

● وقال سبحانه : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليـلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي توضح بطلان العمل وذهاب ثوابه إذا لم يكن خالصًا لله صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ .

* * *

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

خزيٌ – أينما – تولوا – فثَمَّ وجه الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
خزي	الذُّل والصغار .
أينما	حيثما .
تولوا	تتجهوا وتقبلوا ، وهي من الأضداد لكن معناها هنا ما ذكرناه .
فثم وجه الله	هنالك قبلة[1] الله –فثم الله تبارك وتعالى – فثمَّ تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم .

(١) ولا تعلق لهذا بنفي صفة الوجه لله تعالى ، فصفة الوجه ثابتة من نصوص أُخر ، وقد روي هذا التفسير بأسانيد تصح عن مجاهد عند الطبري .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - أن اليهود كفَّروا النصارى وقالوا : إنهم ليسوا على شيء مع أن اليهود يتلون التوراة وفيها الأمر بالتصديق بعيسى ﷺ .

وكذلك النصارى كفَّروا اليهود وقالوا : إنهم ليسوا على شيء مع كون النصارى يقرءون الإنجيل وفيه الأمر بالتصديق بموسى ﷺ .

وجاء مشركو العرب - وهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾[١] فقالوا مثل مقالة اليهود والنصارى فقالوا : إن محمدًا ﷺ ومن معه ليسوا على شيء ، فالله يفصل بين هؤلاء جميعًا ويحكم فيهم ويقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ﴾ [الحج : ١٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾[٢] [سبأ : ٢٦] .

❋ ❋ ❋

---

(١) هذا على رأي الجمهور ، فذهب الجمهور إلى أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم مشركو العرب ، بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم قوم قبل اليهود والنصارى ، قالوا مثل ذلك فيمن خالفهم ، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم : إنهم ليسوا على شيء.

(٢) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : وأما تأويل الآية فإنه قالت اليهود : ليست النصارى في دينها على صواب ، وقالت النصارى : ليست اليهود في دينها على صواب ، =

س : في الآية الكريمة : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء .. ﴾ [البقرة : ١١٣] توبيخ لليهود والنصارى ، ومن طرف خفي توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ ، وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا التوبيخ في قوله تعالى : ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ أي : أنهم تعمدوا الكذب والافتراء كل فريق على الآخر مع كونهم يعلمون بكذب ما ذهبوا إليه ، فالوقوع في الدعاوى الباطلة والتكلم بما ليس عليه برهان ، وإن كان قبيحًا على الإطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة للكتب أشد قبحًا وأفظع جرمًا وأعظم ذنبًا .

● وفي هذا أيضًا توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ مع اتفاقهم على تلاوة القرآن[1] ، قال القاسمي في محاسن التأويل : فها هنا تسكب العبرات

= وإنما أخبر الله عنهم بقيلهم ذلك للمؤمنين إعلامًا منه لهم بتضييع كل فريق منهم حُكم الكتاب الذي يُظهر الإقرار بصحته وأنه من عند الله ، وجحودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لأن الإنجيل الذي تدين بصحته وحقيَّته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام ، وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض ، وأن التوراة التي تدين بصحتها وحقيتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام ، وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض .

ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] مع تلاوة كل واحدٍ من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك ، فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك على علمٍ منهم أنهم فيما قالوه مبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون .

(١) ويرد في ذم من كذب على علم وضلَّ بعد بيان ، قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم =

بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا بسنة ولا قرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهان ، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين تمكن الشيطان من تفريق كلمة المسلمين .

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح

مع أن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف ، فقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ [آل عمران : ١٠٥] ، وقال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقد امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله ﷺ وعما مضت عليه جماعة المسلمين .

* * *

س : ما معنى الواو في قوله تعالى : ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : الواو هي واو الحال ، والمعنى – أن كل فرقة قالت في الأخرى التي قالت مع كونها تتلو الكتاب ، والكتاب يُكذبها فيما قالت من شأن الكفر بالأنبياء عليهم السلام .

* * *

= يتفكرون﴾ [الأعراف : ١٧٣ – ١٧٦] وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [الجمعة : ٥] .

س : من المعلوم أن اليهود على ضلال وكذلك النصارى وكلاهما ليس على شيء وقد قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » فلماذا عتب الله على اليهود لما قالوا : ﴿ ليست النصارى على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] وعلى النصارى لما قالوا : ﴿ ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : وجه هذا العتاب لكون كل فريق أنكر على الآخر شيئًا ثابتًا في دينه وثابتًا في الحقيقة ألا وهو نبوة موسى ونبوة عيسى عليهما السلام ، فلما أنكر اليهود على النصارى إيمانهم بعيسى (على الوجه الصحيح من أنه عبد الله ورسوله) وأنكر النصارى على اليهود إيمانهم بموسى عليه السلام[1] عتب الله عز وجل على الفريقين مقالتهما ، وقد روى الطبري[2] وابن أبي حاتم بأسانيدهما عن قتادة قال : قوله : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ﴾ قال : بلى قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرَّقوا ، وقالت النصارى : ﴿ ليست اليهود على شيء ﴾ ولكن القوم ابتدعوا وتفرَّقوا .

❋ ❋ ❋

س : كيف قيل في اليهود والنصارى أنهم ليسوا على شيء مع كونهم يقرون بالخالق سبحانه وتعالى وببعض أسمائه وصفاته ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم ليسوا على شيء يُعتد به في أمر التصديق

---

(١) قال الطبري رحمه الله : ومعنى ذلك : وقالت اليهود ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها ، وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها .

(٢) أخرجه الطبري (١٨١٣) بإسناد حسن ، وابن أبي حاتم (التفسير ١١١١) .

بالأنبياء عليهم السلام فما داموا كفروا بأحدهم فقد كفروا بجميعهم كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] ويُقال أيضًا : إن الكفر الذي أتوا به أحبط عملهم الذي عملوه وأذهب ثواب الخير القليل الذي اعتقدوه ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى القيامة ؟ ولماذا أطلق على يوم القيامة يوم القيامة ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : وأما القيامة فهي مصدرٌ من قول القائل : قمت قيامًا وقيامةً كما يقال : عُدت فلانًا عيادةً ، وصنت هذا الأمر صيانةً .

وإنما عُني بالقيامة قيام الخلق من قبورهم لربهم ، فمعنى يوم القيامة يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم .

* * *

س : من هم الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

● الأول : أنهم النصارى كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس ويمنعون الناس من الصلاة فيه .

● الثاني : أنه بختنصر البابلي المجوسي وجنده ومن أعانهم من النصارى[1] .

---

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال : عني الله عز وجل بقوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ النصارى وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت =

= المقدس ، وأعانوا بختنصَّر على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصَّر عنهم إلى بلاده .

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها(1) وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله : ﴿ وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] إلا أحد المسجدين إما مسجد بيت المقدس وإما المسجد الحرام ، وإذا كان ذلك كذلك وكان معلومًا أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه صحَّ وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية ، وبعمارته كان افتخارهم(2) ، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم .

وأخرى : أن الآية التي قبل قوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذمِّ أفعالهمّ ، والتي بعدها نبهت بذمِّ النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم ، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكرٌ ، ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجَّه الخبر بقول الله عز وجل : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ﴾ إليهم وإلى المسجد الحرام .

وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها إذ كان خبرها لخبرهما نظيرًا وشكلًا إلا أن تقوم حُجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك وإن اتفقت قصصها فاشتبهت . انتهى المراد من قول ابن جرير رحمه الله .

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : فلم يرتضِ اختيار الطبري رحمه الله =

---

(١) أراد القول الأول والثاني والثالث من الأقوال التي قدمناها .

(٢) قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ [التوبة : ١٩] .

= بل اختار القول القائل أنهم مشركو قريش ، وعلل ذلك بقوله : لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود ، وكانوا أقرب منهم و لم يكن ذكر الله من اليهود مقبولًا إذ ذاك لأنهم لُعِنُوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم[1] ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وأيضًا فإنه تعالى لما وجَّه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذمِّ المشركين الذين أخرجوا رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام : وأما اعتماده على أن قريشًا لم تسعَ في خراب الكعبة فأي خراب أعظم مما فعلوا ؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يَعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة و لم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [التوبة : ١٧ ، ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليما ﴾ [الفتح : ٢٥] فقال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة و لم يخش إلا الله ﴾ [التوبة : ١٨] ، فإذا كان من هو كذلك مطرودًا منها مصدودًا عنها فأي خراب لها أعظم من ذلك ، وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط إنما بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك . انتهى كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله . =

(١) قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .. ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

= ● أما الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فرفض اعتراض الحافظ ابن كثير وانتصر لما قاله الطبري رحمهم الله جميعًا ، فقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري : وهذا الاعتراض من ابن كثير على أبي جعفر رحمهما الله ليس يقوم في وجه حجة الطبري على صواب ما ذهب إليه تأويل الآية والطبري لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير ، ولكن ابن كثير غفل عن سياق تأويل الطبري ، وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك في الجاهلية في البيت الحرام يدخل في عموم معنى قوله : ﴿ وسعى في خرابها ﴾ ، ولكن سياق الآيات السابقة ثم التي تليها توجب كما ذهب إليه الطبري أن يكون معنيًّا بها مَنْ كانت الآيات النازلة في خبره وقصته ، والآياتُ السالفة جميعًا خبر عن بني إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى ، وتأنيب لبني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مُهَاجَر رسول الله ﷺ ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ ثم عتاب بعض أهل الإيمان على ما جرى على ألسنتهم من ألفاظ اليهود في خطاب نبيهم ﷺ ، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعًا ، يهوديهم ونصرانيهم وذكر لافتراء الفريقين بعضهم على بعض وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجي يوم القيامة ، ثم أفرد بعد ذلك أخبار النصارى كما أفرد من قبل أخبار بني إسرائيل فعدَّد سوء فعلهم في منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولدًا ثم قول بعضهم : ﴿ لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] وأن ذلك شبيه بقول اليهود : ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ [النساء : ١٥٣] ثم أخبر أنه أرسل رسوله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا ، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء ، ثم أعلمه أن اليهود والنصارى جميعًا لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطريقتهم في الافتراء على رب العالمين .

فالسياق كما ترى بمعزل عن المشركين من العرب ، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوانُ الله عليهم تختلط عليهم المعاني حين تتقارب ، ولكن أبا جعفر[1] صابر على كتاب ربه مطيق لحمله لا يعجله شيء عن شيءٍ ما استطاع فهو يخلص معاني كتاب ربه تخليصًا لم أجده قط لأحدٍ بعده ممن قرأ كتابه ، وأكثرهم يعترض ولو صبر =

(١) يعني الطبري .

الثالث : أنهم مشركو قريش إذ منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام وحالوا بينه وبين دخول مكة .

الرابع : أنهم مشركو قريش الذين منعوا رسول الله ﷺ من الدعاء إلى الله بمكة وألجئوه إلى الهجرة .

الخامس : ذكره الرازي قال : وهو أقرب إلى رعاية النظم قال : وهو أن يُقال : إنه لما حوِّلت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فكانوا يمنعون الناس من الصلاة عند توجههم إلى الكعبة ، ولعلهم سعوا أيضًا في تخريب الكعبة بأن حملوا بعض الكفار على تخريبها ، وسعوا أيضًا في تخريب مسجد الرسول ﷺ لئلا يُصَلُّوا فيه متوجهين إلى القبلة فعابهم الله بذلك وبيَّن سوء طريقتهم فيه .

السادس : أنها عامة في كل ظالم منع أي مسجد من مساجد الله أن يذكر

= على دقة هذا الإمام لكان ذلك أولى به وأشبه بخلق أهل العلم وهم له أهل ، غفر الله لنا ولهم . انتهى ما قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

هذا وقد خطأ أبو بكر الرازي الوجه المذكور بقوله : إنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح ، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس ، وأيضًا فإن النصارى يعتقدون في بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر فكيف أعانوا على تخريبه[1] .

---

(١) قلت : أخرج الطبري (١٨٢٣) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] أولئك أعداء الله النصارى ، حملهم بُغض اليهود على أن أعانوا بختنصَّر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس .

أما نقل اتفاق أهل السير فلا نكاد نصدقه إذا اختلف مع المنقول عن التابعين رحمهم الله ، والله أعلم .

فيه اسم الله عز وجل .

***

س : ما هو نوع الإضافة في قوله تعالى : ﴿ مساجد الله ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : الإضافة إضافة تشريف كقوله تعالى : ﴿ ناقة الله ﴾ [الشمس : ١٣] .

***

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلَم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] وقوله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن كذَّب بآيات الله وصدف عنها ﴾ [الأنعام : ١٥٧] وقوله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٤٤] وقوله تعالى في الحديث القدسي : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ... »[(١)] ؟

ج : الجمع بين هذه له طرق :

الأول : أن يتنزل هذا على الاختصاص بمعنى أن يقال : ليس هناك من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ، وليس من المكذبين أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وليس من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس .. وليس من المصورين أظلم ممن ذهب يضاهي بخلق الله ويحاول بزعمه أن يخلق كخلقه .

الثاني : أنهم جميعًا في الظلم سواء .

الثالث : أن المراد تبشيع هذه الأفعال وتجريم فاعليها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٥٩) ، ومسلم (حديث ٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : لأهل العلم في تأويل ذلك أقوال :

الأول : أن هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا هذه المساجد إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلًا عن الاستيلاء عليها ومنع المؤمنين منها ، فالمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الظلمة وعتو الكفرة والفجرة .

الثاني : أن هذا خبر معناه الأمر ، والمعنى لا تمكنوا هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها واجتهدوا في منعهم من دخول مساجد الله إلا في حال هم فيه خائفون كأن يكونوا أسارى يربطوا أو يحاكموا في المساجد ونحو ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة : ٢٨]، وكالوارد في قول أبي هريرة : (ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان)[١] .

الثالث : أن هذا إخبار عن حال الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ، فكان من شأنهم أنهم لم يدخلوها بعد ذلك إلا خائفين كما قال قتادة[٢] : ﴿ ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ وهم

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٦٥٦) ، ومسلم (حديث ١٣٤٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة قال : (بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهطٍ يؤذنون في الناس يوم النحر : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان) .

(٢) أخرجه الطبري (١٨٢٧) ، بإسناد حسن عن قتادة .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : فإن النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تُصلي إليها اليهود ، عوقبوا شرعًا وقدرًا بالذِّلة فيه إلا في أحيان من الدهر أُشحن بهم بيت المقدس ، وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضًا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم ، والله أعلم .

اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نُهك ضربًا وأُبلغ في العقوبة .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالخزي في قوله تعالى : ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : المراد بالخزي العار والشرّ والذِّلة ، وهذا يكون بأمور منها :

- القتل والسبي .
- أداء الجزية عن يد وهم صاغرون .
- ظهور المهدي وإنزال هزيمة هؤلاء على يديه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الوارد في فضل المساجد وتكريمها ؟

ج : ورد في ذلك شيء كثير نورد منه ما يلي :

- **إضافة المساجد لله عز وجل :** - وهي إضافة تشريف - في قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله ﴾ [التوبة : ١٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾ [البقرة : ١١٤] .

- **أذن الله عز وجل برفعها** كما قال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ [النور : ٣٦ ، ٣٧] .

● **جعل الله عمارتها دليلًا على الإيمان** كما قال سبحانه : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [التوبة : ١٨] .

● **جعل الله عز وجل مُخرِّب المساجد أظلم الناس** ، قال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] .

● **المساجد خير بقاع الأرض** فقد ذكر ذلك النبي ﷺ[(١)] .

● **بوَّابو المساجد هم الملائكة** يكتبون الداخل أولًا بأول .

● **كافأ الله عز وجل من بنى مسجدًا ببيت في الجنة** كما قال النبي ﷺ : « من بنى لله مسجدًا (يبتغي به وجه الله) بنى الله له بيتًا في الجنة »[(٢)] .

● **جُعل للماشي إلى المسجد عظيم الأجر وجزيل الثواب** فقد قال النبي ﷺ : « من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة »[(٣)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلًا في الجنة كلما غدا أو راح »[(٤)] .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رجل لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه ، وكان لا تخطئه صلاة ، قال : فقيل له:

---

(١) وقد تقدم ذلك ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٠) ، ومسلم (حديث ٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢) ، ومسلم (حديث ٦٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أو قلت له : لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء ، قال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله »[1].

ونحوه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، قال : « يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم . دياركم تكتب آثاركم »[2] .

● **وَعَدَّ النبي ﷺ مما يمحو الله به الخطايا كثرة الخطا إلى المساجد** ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط »[3] .

● **وكان جزاء من تعلَّق قلبه بالمسجد أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**[4].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥١) .

(٤) أخرج البخاري (حديث ١٤٢٣) ، ومسلم (حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم =

• وتكريمًا للمساجد أمر النبي ﷺ من دخلها أن يركع ركعتين قبل أن يجلس [1].

• وشرع لمن دخلها أن يقول : اللهم افتح لي أبواب رحمتك [2] .

• وعُدَّ البزاق في المسجد خطيئة وكانت كفارتها دفنها [3] .

• ونزَّه رسول الله ﷺ المساجد عن خبيث الرائحة فقال : « من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزل مسجدنا » [4] ، ولما بال الرجل في المسجد قال النبي ﷺ : « إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » [5]

❋ ❋ ❋

= لا ظل إلا ظله ... ، ورجل قلبه معلق في المساجد ... » الحديث .

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٤٠) ، ومسلم (حديث ٧١٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » .

(٢) أخرج مسلم (حديث ٧١٣) من حديث أبي حميد (أو أبي أسيد) الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ... » الحديث .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٤١٥) ، ومسلم (حديث ٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » .

(٤) أخرج البخاري (حديث ٥٤٥٢) ، ومسلم (حديث ٥٦٤ ص ٣٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا » .

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

• والملائكة تصلي على المصلي ما دام في مصلاه الذي صلى فيه تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يُحْدِث[1] .

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] وسبب نزولها ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ أي : ولله ملك المشرق والمغرب ، أما قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ فللعلماء فيه أقوال :

• منها أن هذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر فيصلي الشخص النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت به كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إنما نزلت هذه الآية ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوُّعًا ، ويلتحق بالمسافر الخائف والمطلوب والمقاتل ونحو ذلك .

• ومنها أن معنى الآية الكريمة : ولله المشرق والمغرب فأينما توجهتم في سفركم فثم (هنالك) قبلة الله فاتجهوا إليها .

• ومنها أن هذه الآية الكريمة كانت قبل الأمر بالتوجه إلى القبلة فلما نزل قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] نسخها[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩) ، ومسلم (حديث ٦٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٨٣٥) قال : قوله عز وجل : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ ثم نسخ ذلك بعد ذلك فقال الله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

هذه هي أقوى الأقوال في تأويل هذه الآية الكريمة ، والله تعالى أعلم .

س : هل لهذه الآية ﴿ ولله المشرق والمغرب ... ﴾ [البقرة : ١١٥] صلة بالآية التي قبلها ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : هي لها [مواصله] ، وإنما معنى ذلك : ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ، ولله المشرق والمغرب فأينما توجِّهوا وجوهكم فاذكروه فإن وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه وبلاده ويعلم ما تعملون ولا يمنعكم تخريب من خرَّب مسجد بيت المقدس ومنعهم من مَنعوا من ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه .

❋ ❋ ❋

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

سبحانه – قانتون – بديع ؟

ج :

الكلمة	معناها
سبحانه	تنزه عن الولد
قانتون	خاضعون مطيعون[1] – مقرون بالعبودية – قائمون يوم القيامة ، والقنوت يطلق على القيام في الصلاة أيضًا كما قال النبي ﷺ : « أفضل الصلاة طول القنوت » . ويطلق على السكوت أيضًا ، فكان الصحابة يتكلمون في الصلاة حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فأمروا بالسكوت ، ويطلق على الدعاء كذلك .
بديع	هو المبدع ، وبديع السموات والأرض منشؤهما على غير مثالٍ سابق (وسُمي المبتدع مبتدعًا لإحداثه منه ما لم يسبقه إليه غيره) .

(١) فإن قيل : الكافر غير مطيع لله فالإجابة أن أقدار الله عز وجل من موت وحياه ومرض =

س : من هم الذين قالوا : اتخذ الله ولدًا ؟

ج : هم اليهود والنصارى وطوائف من أهل الشرك ، فاليهود قالوا : عُزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وطوائف من المشركين قالوا : الملائكة بنات الله .

قال الله عز وجل : ﴿ وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ [النحل : ٥٧] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى سبحانه في قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : معناها هنا - والله أعلم - : تنزه عن الولد .

❋ ❋ ❋

= ومصائب وحوادث ورزق وولد ونحو ذلك تجري عليه رغم أنفه .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى معاني القنوت في قوله تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها ، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدًا بقوله : ﴿ بل له ما في السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١١٦] ملكًا وخلقًا ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض [أنها] مُقرة بدلالتها على ربها وخالقها وأن الله تعالى بارئها وصانعها ، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك وأن المسيح أحدهم فأنى يكون لله ولدًا وهذه صفته ؟!!!

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تنفي الولد عن الله سبحانه وتعالى وتبين جرم من جعل لله عز وجل ولدًا ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [الإخلاص : ١ -٤] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًا ﴾ [مريم : ٨٨ -٩٤] .

● وقول الله عز وجل : ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾ [الأنعام : ١٠١] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا ﴾ [الكهف : ٤ ، ٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ [البقرة : ١١٦] .

● وقال الله عز وجل في الحديث القدسي : « كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا ، وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ، ولم أولد ، ولم يكن لي كفوًا أحد »[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بل له ما في السموات

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٧٣٩/٨) ، والنسائي (١١٢/٤) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل .

والأرض ﴾ [البقرة : ١١٦] عقب قوله عز وجل : ﴿وقالوا اتخذ الله ولدًا ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : وجه ذلك كما قال الطبري رحمه الله : وكيف يكون المسيح لله ولدًا وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن إما في السموات وإما في الأرض ولله ملك ما فيهما ، ولو كان المسيح ابنًا كما زعمتم لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده في ظهور آيات الصنعة فيه .

* * *

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة : ١١٧] عقب قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل بيَّن وأوضح أنه خلق السموات والأرض على غير مثال سابق ، وكذلك فهو قادر على خلق المسيح من غير أبٍ على غير مثالٍ سابق[1] .

* * *

س : قسم بعض أهل العلم البدعة إلى قسمين اذكرهما مع مثالٍ لكل منهما؟

ج : قسم بعضهم البدعة إلى قسمين[2] :

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : فمعنى الكلام : سبحان الله أنَّى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهد له جميعًا بدلالتها علية بالواحدانية وتقرُّ له بالطاعة وهو بارئها وخالقها ومُوجدها من غير أصل ولا مثالٍ احتذاها عليه ، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بُنُوَّته وإخبارٌ منه أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والدٍ بقدرته .

(٢) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ، وقال القرطبي رحمه الله : كل بدعةٍ صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أولًا فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه فهي في حيِّز المدح وإن لم يكن =

● بدعة شرعية كقول النبي ﷺ : « وكل بدعة ضلالة »[1] .

● بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على صلاة التراويح نعم البدعة هذه[2] .

= مثاله موجودًا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهذا فعله من الأفعال المحمودة وإن لم يكن الفاعل قد سُبق إليه ، ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه : نعم البدعة هذه ، لمَّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيِّز المدح وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها وجمع الناس لها وندبهم إليها بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة ، وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيِّز الذم والإنكار قال معناه الخطابي .

قلت (القائل هو القرطبي رحمه الله) : وهو معنى قوله ﷺ في خطبته : « وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[1] يريد ما لم يوافق كتابًا أو سنته أو عمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد بيَّن هذا بقوله : « من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنه سيئة كان عليه وِزْرُها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[2] وهذا إشارة إلى كل ما ابتدع من قبيح وحسن وهو أصل هذا الباب ، وبالله العصمة والتوفيق لا رب غيره .

(١) أخرجه مسلم ، (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم ومساكم ويقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٠) من طريق عبد الرحمن بن عبدٍ القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يُصلي الرجل لنفسه ويُصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا (مصحوبًا بقصة) .

س : ما معنى ﴿ قضى ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ [البقرة : ١١٧] ؟

ج : قضى هنا بمعنى أحكم وأمضى وفرغ منه ، قال الطبري رحمه الله يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ [البقرة : ١١٧] وإذا أحكم أمرًا وحتمه(١) ، وأصل كل (قضاء أمرٍ) الإحكام والفراغ منه ، ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس (القاضي بينهم) لفصله القضاء بين الخصوم وقطعه الحكم بينهم وفراغه منه به ، ومنه قيل للميت (قد قُضي) يُراد به قد فرغ من الدنيا : وفصل منها ، ومنه قيل : (ما ينقضي عجبي من فلان) يُراد ما ينقطع ومنه قيل (تقضَّى النهار) إذا انصرم ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٢٣] أي فصل الحكم بين عباده بأمره إياهم بذلك ، وكذلك قوله : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ [الإسراء : ٤] أي أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ، ففرغنا إليهم منه .

ومنه قول أبي ذؤيب :

وَعَليهما مَسْرُودتـان(٢) قَضَاهما داودُ أو صنع السوابغَ تُبَّعُ(٣)

ويروى وتعاوَرا(٣) مَسرودَتَين قَضَاهما .

---

(١) حتم الأمر أي قضاه قضاء لازمًا .

● وقال القرطبي رحمه الله : وقال الأزهري : قضى في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه .

● وقال القرطبي أيضًا : قال علماؤنا : ﴿ قضى ﴾ لفظ مشترك : يكون بمعنى الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] أي خلقهن ويكون بمعنى الإعلام ، قال الله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ [الإسراء : ٤] أي أعلمنا ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام ، ومنه سُمِّي الحاكم قاضيًا ويكون بمعنى توفية الحق قال الله تعالى : ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ [القصص : ٢٩] ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [غافر :٦٨] أي إذا أراد خلق شيء .

(٢) مسرودتان أي درعان .

(٣) تعاورنا فلانًا بالضرب ضربناه واحدٌ بعد واحد .

ويعني بقوله (قضاهما) أحكمهما ، ومنه قول الآخر في مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قضيت أمورًا ثم غادرت بعدها بوائق[1] في أكمامها لم تفتق

ويروى « بوائج »[2]

* * *

س : اذكر معاني الأمر في كتاب الله عز وجل ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهًا .

● **الأول : الدِّين** قال الله تعالى : ﴿ حتى جاء الحق وظهر أمر الله ﴾ [التوبة : ٤٨] يعني دين الله الإسلام .

● **الثاني : القول** ومنه قول الله تعالى : فإذا جاء أمرنا) [المؤمنون : ٢٧] يعني قولنا[3] ، وقوله : ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾ [طه : ٦٢] يعني قولهم .

● **الثالث : العذاب** ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لما قضي الأمر ﴾ [إبراهيم : ٢٢] يعني لما وجب العذاب بأهل النار .

● **الرابع : عيسى عليه السلام** ، قال الله تعالى : ﴿ إذا قضى أمرًا ﴾ [آل عمران : ٤٧] يعني عيسى[4] وكان في علمه أن يكون من غير أب .

---

(١) البوائق جمع بائقة وهي الداهية المنكرة التي فتحت ثغرةً لا تُسد ، والأكمام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه وقوله (لم تفتق) أصلها تتفتق، حذف أحد التاءين وتفتق الكم عن زهرته أنشق وانفطر ، قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وقال أيضًا .

(٢) بوائج جمع بائجة وهي الداهية التي تنفتق انفتاقًا منكرًا فتعم الناس وتتابع عليهم شرورها .

(٣) ولمنازع أن ينازع في هذا المعنى في هذا الموطن ، وكذلك في بعض المعاني المذكورة في غيره من الأوجه التي ذكرها القرطبي رحمه الله .

(٤) وهذا أيضًا مما يُنازع فيه .

● **الخامس : القتل ببدر** ، قال الله تعالى : ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ [غافر : ٧٨] يعني القتل ببدر ، وقوله تعالى : ﴿ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا ﴾ [الأنفال : ٤٢] يعني قتل كفار مكة .

● **السادس : فتح مكة** ، قال الله تعالى : ﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [التوبة : ٢٤] يعني فتح مكة .

● **السابع : قتل قريظة وجلاء بني النضير** ، قال الله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

● **الثامن : القيامة** ، قال الله تعالى : ﴿ أتى أمر الله ﴾ [النحل : ١] .

● **التاسع : القضاء** ، قال الله تعالى : ﴿ يُدبر الأمر ﴾ [يونس : ٣١] يعني القضاء .

● **العاشر : الوحي** ، قال الله تعالى : ﴿ يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ [السجدة :٥] يقول يُنزل الوحي من السماء إلى الأرض ، وقوله ﴿ يتنزل الأمر بينهن ﴾ [القمر : ١٢] يعني الوحي .

● **الحادي عشر : أمر الخلق** ، قال الله تعالى : ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [الشورى : ٥٣] يعني أمور الخلائق .

● **الثاني عشر : النصر** ، قال الله تعالى : ﴿ يقولون هل لنا من الأمر من شيء ﴾ [آل عمران : ١٥٤] يعنون النصر ، ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ [آل عمران : ١٥٤] يعني النصر .

● **الثالث عشر : الذنب** قال الله تعالى : ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ [الطلاق : ٩] يعني جزاء ذنبها .

● **الرابع عشر : الشأن والفعل** قال الله تعالى : ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ [هود : ٩٧] أي فعله وشأنه وقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون

عن أمره ﴾ [النور : ٦٣] أي فعله[1] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أراد الله عز وجل أمرًا فهل يتحقق هذا الأمر بدون قولٍ منه سبحانه أم أنه يتحقق بقول الله عز وجل ﴿ كن ﴾ وما في معناه ؟

ج : ذهب بعض العلماء مذهبًا ضعيفًا هنا فقالوا : إن ما يريده الله سبحانه وتعالى يتحقق بدون قول ﴿ كن ﴾ ، وقالوا إن قول الله عز وجل ﴿ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ نظير قول القائل (قال فلان برأسه) و(قال بيده) إذا حرَّك رأسه ، أو أومأ بيده و لم يَقل شيئًا ، قالوا وهو كقول عمرو بن حممة الدوسي :

فَأَصبَحتُ مثل النِّسر طارتْ فِرَاخُهُ إذا رامَ تَطْيَارًا يُقال له قَعِ

قالوا : ولا قول هناك ، وإنما معناه إذا رام طيرانًا وقع .

قلت : وهذا مذهب ضعيف والصواب من القول ما ذكر الله في كتابه حيث قال سبحانه :

● ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة : ١٠٩] وفي الحديث القدسي في قصة الرجل الذي لم يفعل خيرًا قط وحضرته الوفاة فقال : « إذا أنا مِتُّ فحرِّقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في اليم في يومٍ عاصف ... » الحديث وفيه أنهم فعلوا به ما أمرهم فقال الله

---

(١) وفي بعض ما ذكره القرطبي من المعاني نظر ، والله تعالى أعلم .

له كن رجلًا فإذا هو رجل قائم بين يدي الله عز وجل[1] .

● ومنه قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ... ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا ، وله طرق عن رسول الله ﷺ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

لولا – يوقنون – الجحيم – ملتهم – ولي – نصير – يتلونه حق تلاوته ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
لولا	هلا

الكلمــة	معناهــا
يوقنون	يُصدِّقون ويتبعون المرسلين ويذعنون لأوامر الله عز وجل
الجحيم	هي النار إذا شبت وقودها
ملتهم	دينهم
ولِيٍّ	مَن يتولاك ويقوم بأمرك
نصير	ناصر ينصرك
يتلونه حق تلاوته	يتبعونه حق اتباعه ويقومون به خير قيام ، ومن تفسير التلاوة بالاتباع قوله تعالى : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ [الشمس : ٢] ، وقيل في يتلونه حق تلاوته يرتلونه حق ترتيله ، وقيل لا يحرفونه ولا يغيرونه ولا يبدلونه ، والقول الأول عليه أكثر أهل العلم ، والله أعلم .



س : من هم الذين لا يعلمون المذكورون في قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟ ومن هم الذين من قبلهم المذكورون في نفس الآية أيضًا ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : **إن المراد بـ ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هنا هم النصارى** ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لأن سياق الآيات المتقدمة فيهم .

● **وقال آخرون هم النصارى ومعهم اليهود أيضًا** فقد تعنت اليهود وطلبوا الآيات من موسى عليه السلام فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة إلى غير ذلك من الآيات الواردة في تعنتهم .

● **وقال أكثر المفسرين إن الذين لا يعلمون هم مشركو العرب** فهم الذين تعنتوا وطلبوا الآيات من رسول الله ﷺ كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنَبٍ فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا ﴾ [الإسراء : ٩٠-٩٣] .

وقالوا : ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ [الأنبياء : ٥] وقال تعالى : ﴿ بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفًا منشرة ﴾ [المدثر : ٥٢] وقال تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

● **والصواب من القول أن يُقال إن الذين لا يعلمون هم الجهلة من هذه الفرق من النصارى واليهود وأهل الشرك** الذين سألوا أنبياءهم الآيات ، والله تعالى أعلم .

أما الذين من قبلهم فمبنية على تفسير ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١١٨] ، فإن قيل الذين لا يعلمون هم مشركو العرب فالذين من قبلهم هم أهل الكفر بصفة عامة من قوم نوح وهود وصالح و ... ومن اليهود والنصارى كذلك .

وإن قلنا إن ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم النصارى فالذين من قبلهم هم اليهود وسائر أمم الكفر ، وإن أطلقنا القول فالذين من قبلهم هم الكفار الذين تقدموا وسألوا الآيات ، والله تعالى أعلم .

***

س : كيف تجمع بين قوله تعالى ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ [البقرة : ١١٨] وبين قوله عز وجل ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] ؟

ج : وجه الجمع أن قلوبهم متشابهة في كفرهم وعنادهم وتعنتهم وزيغهم كما قال تعالى ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به ﴾ [الذاريات : ٥٢ ، ٥٣] أي كأنهم تواصوا بتكذيب الرسل ووصفهم بالسحر والجنون ، أما قوله تعالى ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] فهذا في التعاملات التي تجري بينهم .

وموقف كل منهم تجاه الآخر وتضليل كل منهم للآخر ، فهم وإن تشابهت قلوبهم في كونهم كفارًا متعنتين ، فقلوبهم كذلك مختلفة فيما بينهم في تضليل كل منهم للآخر وحسد كل منهم للآخر وعداوة كل منهم للآخر كما قال تعالى ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ [المائدة : ١٤] والله أعلم .

***

س : ما المراد بالآية في قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟

ج : المراد بالآية المعجزة كسؤالهم رؤية الله جهرة وكسؤالهم جعل الصفا

ذهبًا وكسؤالهم الرُّقيّ في السماء ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟

ج : المعنى أنكم يا من سألتم عن الآيات وجاء ذكركم في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] فهذه الآيات قد بُيِّنت لكم وفصلت لكم تفصيلًا فهذا كتاب الله كله آيات دالة على صدق نبوة أنبيائنا .

وثمَّ آيات أُخر كانشقاق القمر وحنين الجذع وتكثير الطعام وتكليم الحيوان لرسولنا وتسليم الأحجار عليه وإذعان الأشجار إليه ، و... إلى غير ذلك من الآيات التي بيناها وفصلناها للموقنين فهم الذين ينتفعون بهذه الآيات أما الذين ختم على قلوبهم وسمعهم وجُعل على أبصارهم غشاوة فالأمر فيهم كما قال تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس : ٩٦] وكما قال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالحق في قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [البقرة : ١١٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنه الصدق **الثاني** : أنه القرآن **الثالث** : الإسلام وبكل هذا أرسل رسول الله ﷺ .

س : قوله تعالى : ﴿ بشيرًا ونذيرًا ﴾ [البقرة : ١١٩] بشير بماذا ولمن ؟ ونذير لمن ومن ماذا ؟

ج : بشير لمن أطاعه وصدقه واتبعه بالجنة ونذير لمن عصاه وخالفه وكذبه بالنار ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [البقرة : ١١٩] اذكر آيات في معنى الآية الكريمة وهل صح لهذه الآية سبب نزول ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنك لست مسئولًا عن كفر من كفر وعصيان من عصى وتمردِ من تمرد ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ والتبشير والإنذار أما الآيات التي في معناها فمنها :

- قول الله تعالى : ﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ [الرعد : ٤٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] .
- قوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [قٓ : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت نذير ﴾ [هود : ١٢] .
- ولانعلم لهذه الآية سبب نزول صحيح ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : الآية هي قوله تعالى : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون

سواء ﴾ [النساء : ٨٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالعلم في قوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : المراد بالعلم هنا مايلي :

● العلم ببطلان عقائدهم وتحريفهم الكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى .

● العلم أن الإسلام هو دين الحق وما سواه من الأديان باطل .

● عموم العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ من كتاب الله وما أوحاه الله عز وجل إليه من السُّنة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الكفر ملة واحدة أو عدة ملل ؟

ج : ذكر أهل العلم قولين في هذا الباب :

●فمن العلماء من ذهب إلى أن **الكفر ملة واحدة** مستدلًا بقوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] فأفرد الملة هنا ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [الكافرون : ٦] ومن العلماء القائلين بهذا القول أبو حنيفة والشافعي وداود وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين نقله عنهم القرطبي رحمه الله .

● ومن العلماء من ذهب إلى أن **الكفر ملل** واستدل بحديث النبي

ﷺ : « لا يتوارث أهل ملتين »[1] ومن القائلين بهذا القول الإمام مالك والإمام أحمد في الرواية الأخرى رحمهما الله عز وجل .

ويشهد له قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

* * *

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .. ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : **قال القرطبي رحمه الله تعالى** : المعنى : ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا ، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك ، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم .

● **وقال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله** : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدِّين القيم ، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة ، واليهود والنصارى لاتجتمع على الرضا بك إلا أن تكون يهوديًا نصرانيًا ، وذلك مما لا يكون منك أبدًا لأنك شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادَّان في حال واحدة ، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل ، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم

---

(١) إسناده حسن فقد أخرجه أبو داود (حديث ٢٩١١) ، وأحمد (٢/١٧٨-١٩٥) وغيرهما من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا .

هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

وأما (الملة) فإنها الدِّين وجمعها الملل .

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كانَ هُودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] إن هدى الله هو الهدى يعني إن بيان الله هو البيان المقنع والقضاء الفاصل بيننا فهلموا إلى كتاب الله وبيانه الذي بيَّن فيه لعباده ما اختلفوا فيه وهو التوراة التي تقرون جميعًا بأنها من عند الله يتضح لكم فيها المحق فينا من المبطل وأيُّنا أهل الجنة وأيُّنا أهل النار وأيُّنا على الصواب وأيُّنا على الخطأ .

● وإنما أمر الله نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا : من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى وبيان أمر محمد ﷺ وأن المكذِّب به من أهل النار دون المصدِّق به .

● ثم قال الطبري رحمه الله تعالى في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٠] يعني جل ثناؤه ﴿ ولئن اتبعت ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك من تهوُّد وتنصُّرٍ فصرت من ذلك إلى إرضائهم ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جآءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبئهم في هذه السورة مالك من الله من ولي - يعني بذلك : ليس لك يا محمد من وليٍّ يلي أمرك ، وقيم يقوم به ، ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك إن أحلَّ بك ذلك ربُّك .. ثم قال رحمه الله وقد قيل : إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد ﷺ لأن اليهود والنصارى دعته إلى أديانها ، وقال كل حزب منهم إن الهدى هو

ما نحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل فوعظه الله أن يفعل ذلك وعلَّمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ... ﴾ [البقرة : ١٢١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :-

الأول أنهم علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله[1] وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ - ٥٤] .

---

(١) وقد انتصر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لهذا القول فقال : لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدَّل منهم كتاب الله وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل ، ولم يجر لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر فيكون قوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ موجَّهًا إلى الخبر عنهم ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجهًا ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله ﷺ وبعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له .

فإذ كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجَّهًا إلى أنه خبر عمن قص الله جل ثناؤه قصصهم في الآية قبلها والآية بعدها ، وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية : الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد - وهو التوراة - فقرءوه واتبعوا ما فيه فصدَّقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي أولئك يتلونه حق تلاوته ، وإنما أدخلت الألف واللام في الكتاب لأنه معرفة ، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه عرفوا أيَّ الكتب عَنَى به .

• **الثاني :** أنهم أصحاب محمد ﷺ[1] .

• **الثالث :** أورده ابن عطية في المحرر فقال : ويحتمل أن يُراد بالذين العموم في بني إسرائيل والمؤمنين من العرب .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ حق تلاوته ﴾ ؟

ج : المراد المبالغة في صفة اتباعهم للكتاب .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ [البقرة : ١٢١] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أن من أقام دينه من أهل الكتاب وآمن بما في كتابه واتبع ما فيه حق الاتباع قاده هذا الإيمان والاتباع إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به ومن كفر فأولئك هم الخاسرون[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقد ورد بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٨٧٨) .

(٢) قال الطبري رحمه الله : فأخبر جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها والعاملُ بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته دون من كان محرفًا لها مبدِّلًا تأويلها مغيِّرًا سننها تاركًا ما فرض الله فيها عليه ، وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لأن في اتباعها اتباع محمد ﷺ وتصديقه لأن التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم ، وأن في التكذيب بمحمد التكذيب لها ، فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ وهم العاملون بما فيها .

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ به ﴾ [البقرة : ١٢١] يرجع إلى من ؟

ج : قيل : إنه يرجع إلى رسول الله ﷺ وقيل إنه يرجع إلى القرآن كما قال تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] .

***

س : فيم يتمثل الخسران في قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ ؟

ج : الخسران يتمثل في ولوج هذا الخاسر النار كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ [هود : ١٧] .

● وكما قال النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار »[1] .

***

س : لماذا كُرر قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .. ﴾ الآية [البقرة : ١٢٢] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكررت ها هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم نعته واسمه وأمره وأُمته فحذرهم من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به عليهم ، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا بني عمهم[2] من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) مراده أن العرب أولاد إسماعيل ، واليهود أولاد إسحاق ، وإسماعيل وإسحاق أخوان .

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

ج : ابتلى – بكلماتٍ – أتمهن – إمامًا – لا ينال عهدي الظالمين .

الكلمة	معناها
ابتلى	امتحن – اختبر
بكلمات	شرائع وأوامر ونواهي وتكاليف .
أتمهن	قام بهن وعمل بهن وأدى جميع ما كلِّف به .
إمامًا	قدوة يُقتدى بدينك وهديك وسنتك ، والإمام هو الذي يؤتم به ، ومنه قيل للطريق : إمام كما قال تعالى : ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ .
لا ينال عهدي الظالمين	لا يكن إمامًا لي ظالم .

* * *

س : ما هو العامل في (إذ) من قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ [البقرة : ١٢٤] ؟

ج : العامل فيه هو (واذكر) فالمعنى : واذكر إذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث في الثناء على نبي الله إبراهيم عليه السلام وبيان فضله وتكريمه ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [النحل : ١٢٠ - ١٢٣] .

● وقوله تعالى لإبراهيم : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٠ - ١٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا

تقبل منا إنك أنت السميع العليم .... ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ... ﴾ الآيات [الممتحنة : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ [الأنعام : ٧٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما مُحسن وظالم لنفسه مبين ﴾ [الصافات : ١١٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٥٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٨ ، ١٠٩] .

● وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه قال تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

● وجعل الله عز وجل النبوة في ذريته كما قال سبحانه : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

● وقال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقًا نبيًّا ﴾ [مريم : ٤١] .

أما الأحاديث فمنها :

● قول المسلمين في كل صلاة يصلونها - كما علمهم نبيهم محمد

ﷺ - : « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[١] .

● وفي الصباح كان النبي ﷺ يقول : « أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ **وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** »[٢] .

● ورأى النبي ﷺ الأطفال حول إبراهيم عليه السلام في الجنة كما في حديث سمرة بن جندب[٣] رضي الله عنه .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الكلمات التي ابتلى اللّهُ عز وجل بها إبراهيمَ عليه السلام ؟

ج : هي عموم الشرائع والأوامر والنواهي والتكاليف التي كلَّف الله عز وجلَّ بها إبراهيم عليه السلام فيدخل في ذلك ما ذكره العلماء مما يلي :

● فراق إبراهيم عليه السلام قومه في الله حين أُمر بفراقهم[٤] .

● ومحاجته للنمرود كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أُحيي

---

(١) أخرجه البخاري (بهذا اللفظ) مع الفتح (٦/٤٠٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤٠٦) من حديث ابن أبزى مرفوعًا وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا وفيه « ... وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ... » الحديث .

(٤) قال تعالى : ﴿ فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [البقرة : ٢٥٨][1] .

● صبره على قذفه في النار .

● ما أمره الله به من إكرام الضيف وصبره على ذلك .

● وما ابتلي به من أمره بذبح ولده عليهما السلام وصبره على ذلك وامتثاله ما أمره الله به ويدخل في ذلك أيضًا ما ذكره العلماء وفيه :

● أن الله عز وجل ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد ، **في الرأس** قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، **وفي الجسد** تقليم الأظافر ، وحلق العانة والختان ، ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء .

● ويدخل فيها أيضًا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة .

● ويدخل فيها أيضًا ما ذكره بعض أهل العلم حيث قال : الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات[2] في براءة ﴿ التائبون العابدون... ﴾ إلى آخر الآية [التوبة : ١١٢] ، وعشر آيات[3] في أول سورة قد أفلح

---

(١) فتكلَّم إبراهيم عليه السلام بكلمة الحق عند سلطان جائر .

(٢) يقصد عشر صفات وهي : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين .. ﴾ [التوبة : ١١٢] .

(٣) يعني عشر صفات أيضًا وهي : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذي هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ [المؤمنون : ١ - ٩] .

المؤمنون ﴿ وسأل سائل بعذاب واقع ﴾ [المعارج : ١] وعشر آيات[1] في الأحزاب ﴿ إن المسلمين والمسلمات ... ﴾ [الأحزاب : ٣٥] فأتمهن كلهن فكتب له براءة قال الله : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] إلى غير ذلك من التكاليف التي كُلِّف بها إبراهيم عليه السلام .

وهذا العموم هو الذي اختاره ابن جرير وابن كثير رحمهما الله عز وجل .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل ، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل (الكلمات) وجائز أن تكون بعضه ، لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه ، وإذ كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم شيئًا من ذلك بعينه دون شيء ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ عن الرسول ﷺ أو إجماع من الحجة ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول ﷺ بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على هذه التكاليف كلمات ؟

ج : قال ابن عطية رحمه الله : لأنها اقترنت بها أوامر هي كلمات .

---

(١) يعني قوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ فأتمهن ﴾ [البقرة : ١٢٤] يرجع إلى مَنْ ؟ وما معنى ذلك ؟

ج : يرجع الضمير إلى إبراهيم ﷺ في قول أكثر المفسرين والمعنى : فقام بهن خير قيامٍ وأداهن أحسن التأدية من غير تفريطٍ ولا توانٍ وهو نحو قوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

● وذهب فريق من العلماء إلى أنه يرجع إلى الله تبارك ، والمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا .

❋ ❋ ❋

س : الآية الكريمة ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ... ﴾ [البقرة : ١٢٤] تدل على أن الأنبياء معصومون من أن يظلموا الناس وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الأنبياء عليهم السلام – كما هو معلوم ابتداءً – أئمة يُقتدى بهم كما قال الله تبارك وتعالى في شأن إبراهيم عليه السلام وذريته : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلًّا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٩٠] ، فأمرنا الله بالاقتداء بهم ، ولما كانوا أئمة يقتدى بهم عُلم أنهم ليسوا ظلمة ، لأن الله تبارك وتعالى قال :

﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● **قال الرازي رحمه الله (٤/٤٠) :** الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين :

الأول : أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد[1] الإمامة ولا شك أن كل نبي إمام ، فإن الإمام هو الذي يؤتم به ، والنبي أولى الناس ، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقًا فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقًا فاعلًا للذنب والمعصية أولى .

الثاني : قال : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين ، وإن كان هو الإمامة فكذلك ، لأن كل نبي لا بد وأن يكون إمامًا يؤتم به ، وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب أن لا تحصل النبوة لأحدٍ من الفاسقين ، والله أعلم .

* * *

س : قول الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ ومن ذريتي ﴾ [البقرة : ١٢٤] هل هو دعاء أو استفهام ؟

ج : من العلماء من قال : إنه دعاء والمعنى واجعل اللهم من ذريتي أئمة كما جعلتني إمامًا .

● ومن العلماء من قال : إنه استفهام بمعنى وهل تجعل يا رب من ذريتي أئمة كذلك ؟ والعلم عند الله تعالى .

* * *

(١) يعني العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

س : على مَن تُطلق الذُّرية ؟

ج : تطلق الذُّرية في الغالب على الأبناء ومن جاء منهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ [الإسراء : ٣] وقوله تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] وقول الخليل عليه السلام : ﴿ ومن ذريتي ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقد تطلق الذرية على الآباء أحيانًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ﴾ [يسٓ : ٤١] أي : آباءهم .

● وقد تطلق على الآباء مع الأبناء ومنه قوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [آل عمران : ٣٤] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالعهد في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ؟

ج : المراد والله أعلم الإمامة في الدين ، فلما قال الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿إني جاعلك للناس إمامًا﴾ طلب إبراهيم ﷺ أن يكون من ذريته أئمة أيضًا فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، أي : إذا كان في ذريتك ظالم فلن تناله الإمامة في الدين ، والله تعالى أعلم .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالعهد هنا : الأمن من العذاب يوم القيامة ، ومنهم من قال : إن المراد بالعهد هنا : الأمر أي : لا يجوز أن يكون الظلمة أهلًا ، لأن تُقبل منهم أوامر الله عز وجل .

وثمَّ أقوال أُخر ، والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

س : رجلان أحدهما مسرف على نفسه لكنه حامل لكتاب الله عز وجل ، والآخر صالح في نفسه لكنه مقلٌّ من القرآن أيهما يُقدم لإمامة الناس في الصلاة ؟

ج : الأدلة في هذه المسألة تشهد لكل وجهٍ .

● فمن قال : إن الذي يُقدم هو حامل القرآن دليله قول النبي ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل »[1] .

● ومن قال : إن الصالح يقدَّم دليله قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] لما قال لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة :١٢٤] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الإمامة لا تُنال إلا بالصبر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه من قول الله عز وجل : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [السجدة : ٢٤] .

● وهذا إبراهيم عليه السلام لما ابتلاه ربُّه بالكلمات فأتمهن وقام بهن خير قيام من صبر على الإلقاء في النار والامتثال للأمر بذبح الولد ، ومحاجة الجبابرة والختان وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وسائر التكاليف الأخرى قال الله سبحانه : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا .... ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ٦٧٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا .... » الحديث .

وكذلك ابن عباس وغيره من الأئمة نالوا ما نالوه من العلم بالصبر على طلبه وتحصيله[1] .

وكذلك سائر الفنون لا ينبغ فيها أهلها إلا بالصبر عليها وعلى تلقيها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرج الدارمي في سننه (١/١٤١ ، ١٤٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبًا لك يابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟! فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال : كان هذا الفتى أعقل مني . صحيح .

ومن ثمَّ فقد نبغ ابن عباس ونفع الله به وهدى الله على يديه أقوامًا ، فقد أخرج الطبراني (المعجم الكبير ١٠٥٩٨) بإسناد حسن إلى ابن عباس قال : لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حدتهم قلت لعليٍّ : يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم ، قال : فإني أتخوفهم عليك قال : قلت : كلا إن شاء الله قال : فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة ، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم ، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلبة من آثار السجود قال : فدخلت فقالوا : مرحبًا بك يابن عباس ، ما جاء بك ؟ قال : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه ، وقال بعضهم : لتحدثنه ، قال : قلت : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به ، وأصحاب رسول الله ﷺ معه ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثًا قلت : ما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حكم الرجال في دين الله ، وقد قال الله : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ [يوسف : ٤٠ ، ٦٧] قال : قلت : وماذا ؟ قالوا : وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم ، لئن كانوا كفارًا لقد حَلت له أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم قال : قلت : وماذا ؟ قالوا ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] وبين كون عددٍ من الأئمة ظلمة ؟

ج : الإمامة هنا هي الإمامة في الدين فلا يكون إمامًا في الدين يأمرنا الله عز وجل بالاقتداء به إلا وهو صالح كما قال تعالى : ﴿ واتبع سبيل من أناب إليَّ ﴾ [لقمان : ١٥] .

= أمير الكافرين قال : قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون ؟ قالوا : نعم ، قال : قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ إلى قوله : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ٩٥] وقال في المرأة وزوجها : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ﴾ [النساء : ٣٥] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم ، قال : خرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، وأما قولكم : إنه قاتل و لم يسب و لم يغنم ، أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم ؟ أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم قال : وأما قولكم : إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال : « اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال : « والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله » فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا .

● وأخرج عبد الله بن أحمد في (الزوائد على فضائل الصحابة لأبيه رقم ١٩٤٧) بإسناد صحيح إلى يزيد بن الأصم قال : خرج معاوية حاجًّا وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه .

● ومن العلماء من قال : لا ينال عهدُ الله في الآخرة ظالمًا ، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش .

قلت : وهذا مبني على تفسير العهد في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] فارجع إليه .

* * *

س : هل الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى أم الخروج عليه ؟

ج : الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى ما دام مسلمًا ، لقول النبي ﷺ لما سأله بعض الصحابة عن منازعة الأئمة قال : « لا إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان » .

قال القرطبي رحمه الله : والذي عليه الأكثر من العلماء أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه ، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض ، والأول مذهب طائفة من المعتزلة وهو مذهب الخوارج فاعلمه .

* * *

س : ذرية إبراهيم عليه السلام هل كلهم صالحون أم منهم الصالح والطالح ، وهل تحققت الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام ؟

ج : ذرية إبراهيم عليه السلام منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما مُحسن وظالم لنفسه مبين ﴾ [الصافات :١١٢ ، ١١٣] .

● وقد تحققت النبوة في الصالحين منهم ، قال الله تبارك : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧]، وقال تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

***

س : الظالم لا ينفعه نسبه عند الله عز وجل دلّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا نُفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

● قوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ [عبس : ٢٤، ٢٥] .

● قول الله عز وجل لنوحٍ ﷺ لما قال : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ [هود : ٤٥] ، ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك ﴾ [هود : ٤٦] .

● وقد أمرنا الله عز وجل بالتأسي بإبراهيم ﷺ إلا في استغفاره لأبيه كما قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ [الممتحنة : ٤] .

● ولما سأل إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته قال الله عز وجل : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقول النبي ﷺ : « من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه »[١] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا »[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ /٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

مثابة – أمنًا – عهدنا – الركع السجود ؟

ج :

الكلمة	معناها
مثابة	مرجعًا (يثوبون أي : يرجعون) – مجتمعًا – مكان يثابون عنده .
أمنًا	من الأمن أي : أمنًا من العدو فكان الرجل يلقى قاتل أبيه ولا يتعرض له بسوء في الحرم .
عهدنا	أمرنا – أوحينا .
الركع السجود	المصلون .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : المراد بالبيت هنا الكعبة ، ودليله قوله تعالى : ﴿ وليطوَّفوا بالبيت العتيق ﴾ [الحج : ٢٩] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة والبيت الحرام وكونه كان أمنًا للناس ؟

ج : من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [القصص : ٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ [النمل : ٩١] .

● وقوله تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ٣ ، ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس ﴾ [المائدة : ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ أَوَلم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئًا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ [الحج : ٢٦] .

● وقد أقسم الله عز وجل بمكة فقال سبحانه : ﴿ والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين ﴾ [التين : ١ - ٣] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يُرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج : ٢٥] .

أما الأحاديث فمنها :

قول النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة » .

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلى خلاها » فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : « إلا الإذخر »[1] .

---

(١) • أخرجه مسلم (١٣٥٣) والبخاري (١٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وقال أبو شريح العدوي رضي الله عنه لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولًا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح – سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به – إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب »[1] .

● هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

● وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفا والمروة .

* * *

س : بيِّن على وجه الإجمال هل مكة أفضل أم المدينة ؟

ج : ابتداءً ففي كلٍّ خير ، ولكن على العموم فمكة أفضل من المدينة بنص حديث رسول الله ﷺ ، فقد قال النبي ﷺ : « والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٤) ، والبخاري (حديث ١٨٣٢) .

(٢) أخرجه أحمد (المسند ٧/٤) ، والترمذي (حديث ٣٩٢٥) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، وابن ماجه (حديث ٣١٠٨) ، والحاكم في المستدرك (٧/٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين كلهم من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري (واللفظ لأحمد) أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت ».
وانظر أيضًا سنن الترمذي (حديث ٣٩٢٦) .

● ولكون الصلاة بمسجد مكة تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد[1] بينما الصلاة في مسجد المدينة تعدل ألف صلاة فقط وجمهور العلماء على أن مكة أفضل من المدينة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ مثابةً ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : في معناها أقوال :

الأول : أن معنى مثابةً مرجعًا والمعنى يثوبون إليه أي : يرجعون[2] إليه ، والمعنى أنه جعله محلًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، فلا يكادون يقضون منه وطرًا حيث إنهم يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه فلا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرًا .

قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل ١ / ٢٤٧) : (مثابة للناس) مباءة ومرجعًا للحجاج والعمّار ، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه ، ومثابة مفعلة من (الثوب) وهو الرجوع تراميًا إليه بالكلية ، وسر هذا التفضيل ظاهر في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها له فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فهو الأولى بقول القائل :

محاسنه هيولي كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال

فهم يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطرًا بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقًا .

لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقًا

---

(١) عند من رأى صحة الحديث بذلك .

(٢) من قولهم : ثاب فلان إلى رشده .

فللَّه كم لها من قتيل وسليب وجريح ، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان مقدمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطب والمشاق ، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبهُ ذكر هذه الشذرة (الإمام ابن القيم في أوائل زاد المعاد) .

الثاني : مثابة أي : مجمعًا لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة .

الثالث : من الثواب أي : أنهم يثابون عنده .

والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض الموافقات التي وافق فيها عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل ؟

ج : من هذه الموافقات ما يلي :

١ - موافقة عمر لربه عزَّ وجل في النهي عن الصلاة على المنافقين ففي الصحيحين[1] ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « لما توفي عبد الله بن أُبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال : تصلي عليه وهو منافق ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم ؟ قال : « إنما خيرني الله - أو أخبرني الله - فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ [التوبة : ٨٠] ، فقال :« سأزيدُه على سبعين ». قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢) ، ومسلم (حديث ٢٤٠٠) .

وفي رواية أخرى للبخاري من حديث عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه قال :

« لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت : يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا - أُعَدِّد عليه قوله - فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « أخر عني يا عمر » فلما أكثرت عليه قال : « إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها » قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف لم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ ولا تُصل على أحدٍ منهم مات أبدًا - إلى - وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] ، قال : فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ . والله ورسوله أعلم .

٢ - موافقة عمر ربَّه عز وجل في أُسارى بدر ففي صحيح مسلم[2] من حديث عمر رضي الله عنه قال :

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل عز وجل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٦٦) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) من طريق أبو زميل (وهو سماك الحنفي) عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه .. به .

لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] فأمده الله بالملائكة .

قال أبو زميل[1] فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر : يا نبي الله : هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطاب » قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيبًا لعمر) ، فأضرب عنقه[2] فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ، فقال رسول الله ﷺ : « أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) ، وأنزل الله عز وجل

---

(١) هو راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) في رواية أحمد (١/٣٠ ، ٣١) : وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين .

﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ [الأنفال : ٦٧] إلى قوله : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالًا طيبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] ، فأحل الله الغنيمة لهم .

٣ – موافقة عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل في الحجاب .

٤ – موافقة عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل في قوله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى يا رسول الله ... الحديث .

٥ – موافقة عمر رضي الله عنه ربه عز وجل في قوله : ﴿ عسى ربُّه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ... ﴾ الحديث [التحريم : ٥] .

وها هو الحديث الذي يجمع هذه الثلاثة :

أخرج البخاري[1] من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث[2] فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلى فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وآية الحجاب ، قلت : يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿ عسى ربُّه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ... ﴾ [التحريم : ٥] ، فنزلت هذه الآية .

* * *

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (حديث رقم ٤٠٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري) (٥٠٥/١) : وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر ، وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح ، وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر ، وهذا دال على كثرة موافقته .

س : ما هو المراد بمقام إبراهيم عليه السلام ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام هو الحرم كله .

الثاني : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام الحج كله (الطواف بالبيت والوقوف بعرفة وبمزدلفة وبمنى ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة ...) ، والمراد أن الناس أمروا أن يتخذوا الأماكن التي قام بها إبراهيم ودعا بها مواطن يصلُّون (أي : يدعون الله) فيها كما فعل إمامهم إبراهيم عليه السلام .

الثالث : وهو الصحيح : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها ، وهكذا حتى تم جدران الكعبة .

كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله واختار هذا القول[1] وقال : وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية :

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبةً   على قدميه حافيًا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه كما قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك[2] حدثهم قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

قلت : ويتأيد ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من أن المقام

---

(١) وزاد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أن هذا الحجر كان ملصقًا بالكعبة وأن الذي أخَّره إلى موطنه الذي هو فيه الآن هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأورد بعض الأسانيد بذلك وقال : فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه .

(٢) إسناده صحيح إلى أنس رضي الله عنه .

هو الحَجَر ما أخرجه البخاري[1] من حديث عمرو بن دينار قال : سألنا ابن عمر رضي الله عنهما أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ؟ قال : « قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ثم صلى خلف المقامُ ركعتين وطاف بين الصفا والمروة » .

وأخرج مسلم[2] رحمه الله تعالى من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصف حجة النبي ﷺ وفيه ... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع مسح مقام إبراهيم ؟

ج : لا يشرع مسح مقام إبراهيم عليه السلام إذ لم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا نقل – فيما علمت – بإسناد صحيح عن أحدٍ من أصحابه ، وأما ما تقدم عن أنس أنه قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

فليس فيه أن أنسًا فعل ذلك ولا أن هؤلاء الناس فعلوا ذلك بأمر من رسول الله ﷺ .

وقد قال قتادة رحمه الله كما روي عنه ذلك بسند حسن عند ابن جرير الطبري رحمه الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، وقد تكلفت هذه الأمة شيئًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٢٣) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

ما تكلفته الأمم قبلها[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : هذا أمر من الله عز وجل لعباده أن يصلوا خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة قال : أُمروا أن يصلوا عنده[2] .

● ومن العلماء من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] أي : مُدعًى يدعون عنده ، وصليت هنا بمعنى : دعوت ، قال ابن جرير الطبري رحمه الله : وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا : إن مقام إبراهيم هو الحج كله ، فكان معناه في تأويل هذه الآية : واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مداعي تدعوني عندها وتأتمون بإبراهيم خليلي عليه السلام فيها فإني قد جعلته لمن بعده من أوليائي وأهل طاعتي إمامًا يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به .

وأما تأويل قائلي القول الآخر فإنه : اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة مني لإبراهيم ، وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب[3]

---

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٠٠٠) وعنده زيادة : ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى .

(٢) أخرجه الطبري (٢٠٠٥) بإسناد حسن عن قتادة .

(٣) يعني قول عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وقد أخرجه الطبري بإسناد صحيح رقم (١٩٨٥) وهو في الصحيح كذلك .

وجابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : هل كان هناك شيء عند البيت مما أمر إبراهيم بتطهير البيت منه ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أنه كان عند البيت بقايا أصنام كان يعبدها قوم نوح ومن بعدهم فأمر إبراهيم عليه السلام أن يطهر البيت منها كما فعل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حيث طهرها من الأصنام التي كانت بها ، فقد أخرج البخاري[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] و ﴿ جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يُعيد ﴾ » [سبأ : ٤٩] ، وأخرجه مسلم[2] .

● وأخرج البخاري[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رأى الصُّور في البيت لم يدخل حتىٰ أمر بها فمحيت ، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال : « قاتلهم الله ! والله إن استقسما بالأزلام قط » .

فعلى هذا فمعنى قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين والعاكفين ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] **طهراه مما به من بقايا الأصنام والأوثان .**

● **وثَمَّ قول آخر** وهو : ابنيا بيتي مطهرًا من الشرك ، وأسساه على التوحيد كما قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم والله

---

(١) حديث (٤٧٢٠) .

(٢) مسلم حديث (١٧٨١) .

(٣) البخاري حديث (٣٣٥٢) .

لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

● **وقول ثالث** : امنعا من أراد أن يشرك بالله عند البيت أو أن يقول الزور عنده كما جاء فيما رواه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

● **وقول رابع** : طهراه مما به من أذى وقذر ودنس وأوساخ يحدثها الناس فيه ونظفاه من هذا كله .

وينتظم معنى الآية الكريمة كل ما ذُكر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بالطائفين في قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ومن المراد بالعاكفين ؟ وكذلك من هم الركع السجود ؟

ج : أما الطائفون فعلى الصحيح هم الذين يطوفون بالبيت ، ومن العلماء من قال : إن الطائفين هم الذين أتوا إلى البيت من غَرْبةٍ ، والقول الأول أولى بالصواب .

● أما العاكفون فهم المعتكفون فيه ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالعاكفين أهل البلد الحرام (وهم المجاورون للبيت الحرام) ، والقول الأول أولى بالصواب ، والله أعلم .

● أما الركع السجود[2] فهم المصلون ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥٥ ، ٤٦٥٦) ، ومسلم (حديث ١٣٤٧) .

(٢) وقد روى ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة (٢٠٢٥) أنه قال : و ﴿ الركع السجود ﴾ أهل الصلاة ، والله تعالى أعلم .

س : لماذا ذكر الركوع والسجود ولم يُذكر القيام في قوله تعالى : ﴿ والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : اكتفى بذكر الركوع والسجود ، لأنه قد عُلم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ردٌّ على اليهود والنصارى وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الآية الكريمة قُرِّر فيها أن إبراهيم عليه السلام أُمر أن يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واليهود والنصارى يزعمون أنهم يوقِّرون إبراهيم عليه السلام ، ومع ذلك لا يحجون البيت الذي طهره إبراهيم ﷺ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض النصوص التي وردت في الحث على تطهير المساجد وتنظيفها ؟

ج : ومنها قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور : ٣٦] .

● وكانت هناك امرأة سوداء تقمُّ المسجد على عهد رسول الله ﷺ(١)

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٥٨) ، ومسلم (حديث ٩٥٦) من حديث أبي هريرة =

وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن »[1] .

● وقال النبي ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها[2] دفنها » .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنُها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق ، ووجدت في مساوىء أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن »[3] .

***

س : هل من مُقدَّر محذوف في قوله تعالى : ﴿ واتخذوا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن هنا مقدرٌ محذوف وهو (وقلنا) فالمعنى على ذلك : وقلنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، والله تعالى أعلم .

***

= رضي الله عنه أن رجلًا أسود - أو امرأة سوداء - كان يقمُّ المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا : مات ، قال : « أفلا كنتم آذنتموني به دلُّوني على قبره » أو قال : « قبرها » فأتى قبره فصلى عليه .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنَّه عليه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤١٥) ، ومسلم (٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج مسلم (حديث ٥٥٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

س : لماذا خُصَّت الكعبة بالذكر في قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : خصَّت بالذكر لشرفها وعلو قدرها وارتفاع منزلتها ، ولكونها أعظم حرمة من سائر البيوت ، أو لكونها كانت الموجودة وحدها إذ لم يكن هناك شيء من المساجد غيرها ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] معطوف على ماذا ؟

ج : قيل : إنه معطوف على قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ [البقرة : ١٢٢] ، فالمعنى : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، والله أعلم .

● وقيل : عطف على قوله تعالى : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، قال الرازي : والمعنى : أنه لما ابتلاه بكلمات وأتمهن قال له جزاء لما فعله من ذلك : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] وقال : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، ويجوز أن يكون أمر بهذا ولده إلا أنه تعالى أضمر قوله وقال ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [الأعراف : ١٧١] .

● وقيل : إن هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وهو كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكأن وجهه ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا ﴾ [البقرة : ١٢٥] أنتم من مقام إبراهيم مصلى ، والتقدير أنه لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم ... ، والله أعلم .

س : ركعتا الطواف هل هما فرضٌ أم سُنَّة ؟

ج : إذا كان الطواف تطوعًا فركعتاه تطوعًا أيضًا ، وإذا كان الطواف فرضًا فللعلماء في ركعتيه قولان : **أحدهما :** أنها (أي : الركعتان) فرض لكون النبي ﷺ صلاهما ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا عني مناسككم » .

والثاني : أنهما نفلٌ كذلك ، لأن النبي ﷺ لما سأله الأعرابي عن الصلوات قال : « خمس صلوات في اليوم والليلة » ، فقال الأعرابي : هل عليَّ غيرها ، قال : « لا إلا أن تطوع » قال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال النبي ﷺ : « أفلح إن صدق » ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هناك من قُتل عند البيت الحرام ، فكيف توجِّه قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : الآية محمولة على الأمر ، والمعنى : أننا أمرنا الناس أن يؤمِّنوا من دخل الحرم ، فمنهم من وفى والتزم بهذا الأمر ومنهم من خالف وعاند ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل تجوز الصلاة داخل الكعبة ؟

ج : نعم تجوز الصلاة داخل الكعبة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٩٨) ، ومسلم (حديث ١٣٢٩) .

عليهم ، فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالًا فسألته هل صلى فيه رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم بين العمودين اليمانيين .

ولا يُعارض هذا بما أخرجه مسلم[1] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ، ولم يُصلِّ فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قُبُل البيت ركعتين ، وقال : « هذه القبلة » ، وذلك لأن بلالًا قد أثبت وأسامة بن زيد قد نفى والمثبت مقدم على النافي ، فلعل بلالًا رأى ما لم يره أسامة بن زيد رضي الله عنهم أو لعل الواقعة تعددت .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٣/٥٤٧) : وقد وقع إثبات صلاته فيها عن أُسامة من رواية ابن عمر عن أسامة عند أحمد وغيره فتعارضت الرواية في ذلك عنه ، فتترجح رواية بلال من جهة أنه مثبت وغيره نافٍ ومن جهة أنه لم يختلف عليه في الإثبات واختلف على من نفى ، وقال النووي وغيره : يجمع بين إثبات بلال ونفي أُسامة بأنهم لما دخلوا الكعبة اشتغلوا بالدعاء فرأى أُسامة النبي ﷺ يدعو فاشتغل أُسامة بالدعاء في ناحية والنبي ﷺ في ناحية ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ولم يره أُسامة لبعده واشتغاله ، ولأن بإغلاق الباب تكون الظلمة مع احتمال أن يحجبه عنه بعض الأعمدة فنفاها عملًا بظنه .

وقال المحب الطبري : يحتمل أن يكون أُسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أُسامة قال : دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة فرأى صورًا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فضرب به الصور ، فهذا الإسناد جيد[2] ، قال القرطبي :

---

(١) أخرج مسلم (جديث ١٣٣٠) .

(٢) في إسناده عبد الرحمن بن مهران لا أعلم راويًا عنه غير ابن أبي ذئب ولم أقف =

فلعله استصحب النفي لسرعة عوده انتهى ، نقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ونقل أقوالًا أخر فليرجع إليها من شاء .

قلت : ويُستدل للجواز بعموم قول النبي ﷺ : « وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فحيثما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل » ، ويُستدل أيضًا بقوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] على جواز الصلاة داخل الكعبة ، ولا ينتهض شخص للاستدلال بقوله تعالى : ﴿ فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٥٠] على المنع لكونه في حق من هم ليسوا بداخل الكعبة إنما هو في حق من هم خارجها والبعيدين عنها ، والله أعلم .

* * *

= على أحدٍ وثقه سوى ابن حبان .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

س : ما معنى : أضطره – المصير ؟

ج :

الكلمة	معناها
أضطره	أسوقه – أُلْجئه – أدفعه .
المصير	الموضع الذي يصير إليه الكافر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبلد في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] ؟ وهل تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام فيها ؟

ج : هذه البلدة هي مكة ، وقد تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام فيها ، ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ﴾ [النمل : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريشٍ * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرًا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ [الفيل : ١ - ٥] ، وقول النبي ﷺ : « لَا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أن الله عز وجل يرزق الظالم ويُملي له ثم يأخذه بعد ذلك ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

● قوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليَّ المصير ﴾ [الحج : ٤٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ [النحل : ١١٦ ، ١١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون * وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف : ٣٣ - ٣٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ [لقمان : ٢٣ ، ٢٤] ، وقول النبي ﷺ : « إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته »[1] ، ثم قال : « ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ » [هود : ١٠٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٦٨٦) ، ومسلم (حديث ٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

س : وردت أحاديث تدل على أن الله عز وجل حرم مكة قبل خلق السموات والأرض وأحاديث تدل على أن الله عز وجل حرمها لما دعا إبراهيم بذلك فكيف تجمع بين هذه وتلك ؟

ج : وجه هذا الجمع أن يُقال : إن إبراهيم بلَّغ عن الله عز وجل حكمه فيها وتحريمه إياها ، وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها .

● ويجمع أيضًا بأن يُقال : إن إبراهيم عليه السلام أراد تأكيد حرمة مكة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من القائل : ﴿ ... ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أولهما وأصحهما : أن هذا قول الله عز وجل وبيانه أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يحجر الدعوة بالرزق للمؤمنين دون الكافرين فأجابه الله عز وجل بقوله : ﴿ ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] والمعنى : ومن كفر فإني أرزقه أيضًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ، وهي كقوله تعالى : ﴿ كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] ، والآيات التي على شاكلتها .

والثاني : أن هذا هو قول إبراهيم عليه السلام ، وتكون القراءة فأمتعه قليلًا ثم أضطره ... بمعنى الطلب من الله عز وجل ، والقول الأول أصح وأولى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما الفرق بين هاتين الدعوتين :

الأولى : قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] :

والثانية : قوله عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنًا ﴾[1] [إبراهيم : ٣٥] ؟

ج : بعض أهل العلم لا يفرِّق بين هاتين الدعوتين من إبراهيم عليه السلام ويقول : إنما هو تفنن في أسلوب الخطاب ، والمعنى : رب اجعل هذا البلد بلدًا آمنا .

وبعض العلماء يُفرِّق فيقول : إن مكة كانت واديًا قبل أن تكون بلدًا

---

(١) وطرح ابن جُزي الكلبي الغرناطي سؤالًا مشابهًا في تفسيره فقال : فإن قيل : لم قال في البقرة : ﴿ بلدًا امنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] فعرَّف في إبراهيم ونكَّر في البقرة ؟ أجيب على ذلك بثلاثة أجوبة :

(الجواب الأول) : قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله : ﴿ القواعد من البيت ﴾ [البقرة : ١٢٧] وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه فلم يحتج إلى تعريف بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف .

(الجواب الثاني) : قاله السهيلي ، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم ، لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور كقولك : هذا الرجل وهو حاضر بخلاف آية البقرة فإنها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور ، وفي هذا نظر ، لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة .

(الجواب الثالث) : قاله بعض المشارقه أنه قال : هذا بلدًا آمنًا قبل أن يكون بلدًا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا ، وقال هذا البلد بعد ما صار بلدًا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين ، والله أعلم .

كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴾ [إبراهيم : ٣٧] فدعا إبراهيم عليه السلام لهذا الوادي أن يكون بلدًا بقوله : ﴿ رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] فلما استجيب دعاؤه طلب مزيدًا من الأمن لهذا البلد فقال : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنًا ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : المتاع القليل في قوله تعالى : ﴿ فأمتعه قليلًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] إلى متى ؟

ج : الصحيح من أقوال أهل العلم في ذلك أن هذا المتاع القليل أمده وغايته إلى موت الكافر ، والله تعالى أعلم .

* * *

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٢٩ ﴾

س : ما معنى هذه الكلمات

مُسلمَين – أمة – أرنا مناسكنا – الكتاب – الحكمة – يزكيهم ؟

ج :

الكلمــة	معناهـــا
مسلمين	مستسلمين – خاضعين – طائعين
أمة	جماعة
أرنا مناسكنا	بيِّن لنا أعمال حجنا – وضح لنا أماكن الذبح – علمنا طرق عبادتك وشرائع دينك
الكتاب	هو القرآن
الحكمة[1]	قيل : هي السنة ، وقيل : هي الفقه في الدين –

---

(١) الحكمة ورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿ والحكمة ﴾ هي السنة ، أخرجه الطبري (٢٠٧٨) ، وورد عن مالك بإسناد صحيح عند الطبري (٢٠٧٩) قال في الحكمة : المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له . =

الكلمة	معناها
يزكيهم	وتطلق أيضًا على الإصابة في القول والعمل وعلى وضع الشيء في موضعه يطهرهم من الشرك والأدناس وقول الزور

* * *

= وقال الطبري أيضًا أثر (٢٠٨٠) : حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ﴿ والحكمة ﴾ ، قال : « الحكمة » ، الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ ، يعلمهم إياها . قال : و « الحكمة » ، العقل في الدين وقرأ ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ، وقال لعيسى : ﴿ ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ [آل عمران : ٤٨] ، قال : وقرأ ابن زيد : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، قال : لم ينتفع بالآيات ، حيث لم تكن معها حكمة . قال : « والحكمة » شيء يجعله الله في القلب ، ينور له به .

قلت (مصطفى) : وهو إسناد صحيح إلى ابن زيد ، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا في « الحكمة » أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ ، والمعرفة بها ، وما دل عليه ذلك من نظائره . وهو عندي مأخوذ من « الحكم » الذي بمعنى الفصل بين الحق =

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ [البقرة : ١٢٧] ؟

ج : العامل هو (واذكر) فالمعنى : واذكر يا محمد لقومك ولأهل الكتاب بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة ورفعهما لقواعدها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقواعد البيت ؟

ج : هي أُسُسُ البيت التي تأسس عليها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ [البقرة : ١٢٧] ؟

ج : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقد نقل ابن عطية في تفسيره الإجماع على هذا .

❋ ❋ ❋

= والباطل ، بمنزلة « الجلسة والقعدة » من « الجلوس والقعود » ، يقال منه : « إن فلانًا لحكيم بيِّن الحكمة » ، يعني به : إنه لبين الإصابة في القول والفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو آياتك ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم وفصل قضائك وأحكامك التي تعلِّمه إياها .

س : هل هذه القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل كانت مبنية قبلهما أم هما اللذان أسساها ؟

ج : فريق من أهل العلم يقولون : كانت موجودة قبلهما بناها آدم عليه السلام .

وقيل : إنها كانت قواعد بيت أهبطه الله عز وجل مع آدم عليه السلام .

وقيل : إنها لم تكن موجودة ولكن إبراهيم عليه السلام بناها ، والله تعالى أعلم .

● هذا وننقل ها هنا قولًا للطبري رحمه الله يفيد في الإجابة على أسئلة مشابهة .

قال رحمه الله تعالى (٣/٦٤) :

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل ، رفعا القواعد من البيت الحرام . وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم ، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة . وجائز أن يكون ذلك كان القُبة التي ذكرها عطاء ، مما أنشأه الله من زبد الماء . وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء . وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم ، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل . ولا علم عندنا بأيٍّ ذلك كان من أيٍّ ، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ ، بالنقل المستفيض . ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها ، ولا هو – إذ لم يكن به خبر ، على ما وصفنا – مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس ، فيمثل بغيره ، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد . فلا قول في

ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هل رفعا القواعد من البيت معًا أم رفعها إبراهيم وحده ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن إبراهيم عليه السلام كان ينيها ويرفعها وإسماعيل عليه السلام كان يناوله الحجارة .

وقيل : إنهما بنياها معًا .

وها نحن نورد هنا ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى في قصة بناء هذا البيت ورفع قواعده ، قال رحمه الله تعالى (حديث ٣٣٦٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة – يزيد أحدهما على الآخر – عن سعيد بن جبير قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفِّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل – وهي ترضعه – حتى وضعها عند البيت عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا ، فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ ربنا إني أسكنت

من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ – حتى بلغ – يشكرون ﴾ [إبراهيم : ٣٧] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى – أو قال : يتلبط – فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا ؛ فلم تر أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس بينهما » . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت : صهٍ – تريد نفسها – ثم تسمعت أيضًا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه – أو قال بجناحه – حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم – أو قال : لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عينًا معينًا » . قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرهمٍ – أو أهل بيتٍ من جرهمٍ – مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرًا عائفًا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماءٍ ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريًا أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا – قال : وأم إسماعيل عند الماء – فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ،

ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنْفَسَهُم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأةً منهم . وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشرٍّ ، نحن في ضيقٍ وشدَّةٍ . فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له : يغير عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنَّا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك . فطلقها ، وتزوج منهم أخرى . فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بخيرٍ وسعة ، وأثنت على الله . فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء » . قال النبي ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه » ، قال : « فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه » . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومُرِيهِ يُثْبِتُ عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحدٍ ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخيرٍ . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث

عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال ، وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا - وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها - قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] » .

وقال أيضًا (حديث ٣٣٦٥) : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو قال حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل ، ومعهم شنة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله ، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه : يا إبراهيم إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله . قالت : رضيت بالله . قال فرجعت فجعلت تشرب من الشَّنَّة ويدر لبنها على صبيها ، حتى لما فنى الماء قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا . قال : فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدًا فلم تحس أحدًا . فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة ، ففعلت ذلك أشواطًا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل - تعني الصبي -

فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت ، تقرها نفسها ، فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا ، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا ، حتى أتمت سبعًا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ، فإذا هي بصوت فقالت : أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريل ، قال : فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض ، قال : فانبثق الماء ، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفز ، قال : فقال أبو القاسم : لو تركته كان الماء ظاهرًا ، قال : فجعلت تشرب من الماء ويدرُّ لبنها على صبيها . قال : فمر ناسٌ من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطيرٍ ، كأنهم أنكروا ذاك ، وقالوا : ما يكون الطير إلا على ماء ، فبعثوا رسولهم فنظر ، فإذا هم بالماء ، فأتاهم فأخبرهم ، فأتوا إليها فقالوا : يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك ، أو نسكن معك ؟ فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي . قال : فجاء فسلم فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد . قال : قولي له إذا جاء : غير عتبة بابك . فلما جاء أخبرته ، قال : أنت ذاك ، فاذهبي إلى أهلك . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي . قال : فجاء فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد ، فقالت : إلا تنزل فتطعم وتشرب ؟ فقال : وما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم وشرابنا الماء . قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم . قال : فقال أبو القاسم ﷺ : بركة بدعوة إبراهيم . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي ، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلًا له ، فقال : يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا . قال : أطع ربك . قال : إنه أمرني أن تعينني عليه ، قال : إذن أفعل أو كما قال . قال : فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

س : هل الكعبة على حالها الآن مبنية على قواعد إبراهيم عليه السلام ؟

ج : الذي من البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام الآن إنما هما ركنان فقط الركن الذي فيه الحجر الأسود ، والركن اليماني ، وكذلك كانت على عهد رسول الله ﷺ ، فلما جاء ابن الزبير رضي الله عنهما ردها على قواعد إبراهيم لما أخبرته عائشة رضي الله عنها بأن هذه كانت رغبة رسول الله ﷺ لولا حدثان عهد الناس بالجاهلية والكفر .

ثم لما جاء عبد الملك بن مروان ردها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ ، يدل على هذا كله ما يلي :

● ما أخرجه البخاري[(١)] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها : « ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم » فقلت : يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ فقال : « لولا حدثان قومك بالكفر » فقال عبد الله بن عمر : لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحِجْرَ إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم .

وقال الإمام مسلم رحمه الله ص ٩٧٠ فما بعدها :

حدثنا هناد بن السري . حدثنا ابن أبي زائدة . أخبرني ابن أبي سليمان عن عطاء . قال : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية ، حين غزاها أهل الشام ، فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير . حتى قدم الناس الموسم . يريد أن يجرئهم (أو يحربهم[(٢)]) على أهل الشام فلما صدر الناس قال :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٦٨) ، ومسلم (حديث ١٣٣٣) .

(٢) (يجرئهم أو يحربهم) من الجراءة أي : يشجعهم على قتالهم ، بإظهار قبح فعالهم . هذا هو المشهور في ضبطه . قال القاضي : ورواه العذري يجربهم ، ومعناه : يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيته . ومعنى يحربهم ، أي : يغيظهم =

يا أيها الناس ! أشيروا علي في الكعبة . أنقضها ثم أبني بناءها . أو أصلح ما وهى منها ؟ قال ابن عباس : فإني قد فرق لي رأي فيها[١] . أرى أن تصلح ما وهى منها . وتدع بيتًا أسلم الناس عليه . وأحجارًا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ . فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ، ما رضي حتى يجده[٢] . فكيف بيت ربكم ؟ إني مستخير ربي ثلاثًا . ثم عازمٌ على أمري . فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها . فتحاماه الناس أن ينزل ، بأول الناس يصعد فيه ، أمر من السماء . حتى صعده رجلٌ فألقى منه حجارة . فلما لم يره الناس أصابه شيءٌ تتابعوا[٣] . فنقضوه حتى بلغوا به الأرض . فجعل ابن الزبير أعمدة . فستر عليها الستور[٤] . حتى ارتفع بناؤه .

وقال ابن الزبير : إني سمعت عائشة تقول : إن النبي ﷺ قال : « لولا

= بما يزونه قد فعل بالبيت . من قولهم : حربت الأسد ، إذا أغضبته . قال القاضي : وقد يكون معناه : يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك . قال : ورواه آخرون : يحزبهم أي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبًا له وناصرين له على مخالفيه . وحزب الرجل من مال إليه . وتحازب القوم تمالئوا .

(١) (قد فرق لي رأي فيها) أي : كشف وبيِّن . قال الله تعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه ﴾ ، أي : فصَّلناه وبيناه . هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها . وهكذا ضبطها القاضي والمحققون .

(٢) (يجدِّه) أي : يجعله جديدًا .

(٣) (تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا ، وكذا ذكره القاضي عن رواية الأكثرين . وعن أبي بحر : تتابعوا . وهو بمعناه . إلا أن أكثر ما يستعمل ، تتابعوا ، في الشر خاصة . وليس هذا موضعه .

(٤) (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة . ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهدًا للناس فأزالها . لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة . (من التعليق على مسلم) .

أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر ، وليس عندي من النفقة ما يقوي على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحِجْرِ خمس أذرع ، ولجعلت لها بابًا يدخل الناس منه ، وبابًا يخرجون منه » .

قال : فأنا اليوم أجد ما أنفق . ولست أخاف الناس . قال : فزاد فيه خمس أذرع من الحجر . حتى أبدى أُسًّا[1] نظر الناس إليه . فبنى عليه البناء . وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعًا . فلما زاد فيه استقصره . فزاد في طوله عشر أذرع . وجعل له بابين : أحدهما يدخل منه ، والآخر يخرج منه . فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك . ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة . فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير[2] في شيء . أما ما زاد في طوله فأقره . وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه . وسد الباب الذي فتحه . فنقضه وأعاده إلى بنائه .

حدثني محمد بن حاتم . حدثنا محمد بن بكر . أخبرنا ابن جريج . قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال عبد الله بن عبيد : وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته . فقال عبد الملك : ما أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها . قال الحارث : بلى ! أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن قومك استقصروا من بنيان البيت . ولولا حداثة عهدهم

---

(١) (حتى أبدى أسًّا) أي : حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام حتى أري الناس أساسه . فنظروا إليه فبنى البناء عليه .

(٢) (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك سبه وعيب فعله . يقال : لطخته ، أي : رميته بأمر قبيح . يعني : إنَّا برءاء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة .

بالشرك أعدت ما تركوا منه . فإن بدا لقومك[1] ، من بعدي ، أن ينوه فهلمي[2] لأريك ما تركوا منه » . فأراها قريبًا من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد . وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي ﷺ : « وجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيًّا وغربيًّا . وهل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها ؟ » قالت : قلت : لا . قال : « تعززًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا . فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي . حتى إذا كاد أن يدخل[3] دفعوه فسقط » .

قال عبد الملك للحارث : أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم . قال : فنكت ساعة بعصاه[4] ثم قال : وددت أني تركته وما تحمل .

وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة . حدثنا أبو عاصم . ح وحدثنا عبد بن حميد . أخبرنا عبد الرزاق . كلاهما عن ابن جريج ، بهذا الإسناد ، مثل حديث ابن بكر .

---

(١) (فإن بدا لقومك) يقال : بدا له في الأمر بداء ، بالمد ، أي : حدث له فيه رأي لم يكن . وهو ذو بدوات ، أي : يتغير رأيه . والبداء محال على الله تعالى ، بخلاف النسخ . قاله النووي .

(٢) (فهلمي) هذا جار على إحدى اللغتين في هلم . قال الجوهري : تقول : هلمَّ يا رجل ، بفتح الميم بمعنى : تعال . قال الخليل : أصله لُمَّ . من قولك : لم الله شعثه ، أي : جمعه . كأنه أراد لم نفسك إلينا ، أي : أقرب . وها للتنبيه . وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسمًا واحدًا يستوي في الواحد والاثنان والجمع والمؤنث . فيقال ، في الجماعة : هلم . هذه لغة أهل الحجاز . قال الله تعالى : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ [الأحزاب : ١٨]. وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما. وللمرأة: هلمي . وللنساء : هلممن . والأولى أفصح . هذا كلام الجوهري .

(٣) (كاد أن يدخل) هكذا هو في النسخ كلها : كاد أن يدخل . وفيه حجة لجواز دخول أن بعد كاد . وقد كثر ذلك . وهي لغة فصيحة . لكن الأشهر عدمه .

(٤) (فنكت ساعة بعصاه) أي : بحث بطرفها في الأرض . وهذه عادة من تفكر في أمر مهم . قاله النووي .

وحدثني محمد بن حاتم . حدثنا عبد الله بن بكر السهمي . حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة ؛ أن عبد الملك بن مروان ، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال : قاتل الله ابن الزبير ! حيث يكذب على أم المؤمنين . يقول : سمعتها تقول : قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ! لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر . فإن قومك قصروا في البناء » فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة : لا تقل هذا . يا أمير المؤمنين ! فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا .

قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه ، لتركته على ما بنى ابن الزبير .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر هذه الآثار :

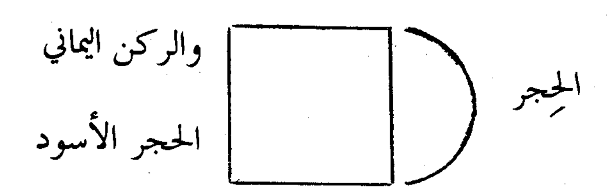
فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة ، لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير ، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيدًا ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد ، نقله عياض والنووي ، ولا تزال - والله أعلم - هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ٣/٥٥٤) :

(فائدة) : في البيت أربعة أركان : الأول له فضيلتان : كون الحجر

الأسود فيه وكونه على قواعد إبراهيم ، وللثاني الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما ، فلذلك يُقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يُقبل الآخر ولا يستلمان هذا على رأي الجمهور ، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضًا[1] .

● قلت : فعلى هذا صورة الكعبة الآن كالتالي :



الركن الذي به الحجر الأسود ، والركن اليماني كلاهما على قواعد إبراهيم عليه السلام أما الآخران فلا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أهل الصلاح يعملون أعمالًا صالحة ويرجون من ربهم عز وجل القبول ، وأهل الفساد يعملون أعمالًا فاسدة ويظنون أنهم إلى خير وضح ذلك ؟

ج : نعم أهل الصلاح يعملون الصالحات ويسألون الله عز وجل القبول لها .

● ألا ترى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم !!! ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ويقولون : ﴿ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا !!! ﴾ [الفرقان : ٦٥] .

---

(١) قلت : لم يرد أن النبي ﷺ قبّل الركن اليماني .

● وها هم أهل الإيمان : ﴿ يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون !!! ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

● وها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يصدِّق برسول الله ﷺ ويجاهد معه ويصحبه في هجرته ويتصدق بكل ماله في سبيل الله ويُعلِّمه النبي ﷺ أن يقول في صلاته : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »[١] .

● وها هو المحدث الملهم الفاروق أمير المؤمنين عمر يجاهد مع رسول الله ﷺ وينفق نصف ماله في سبيل الله عز وجل ويقول عند موته : وددت أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي[٢] .

وهؤلاء الأنصار يحفرون الخندق ويقولون :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا .

● أما أهل الفساد والريب فكما قال الله سبحانه : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

❋ ❋ ❋

س : إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا مُسلمَين فلماذا قالا : ﴿ واجعلنا مُسلمَين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : المراد أنهما طلبا الثبات على الإسلام والزيادة من الطاعات وحسن

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣١٧/٢) ، ومسلم (٢٨/١٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) أخرج ذلك البخاري رحمه الله (٣٧٠٠) في قصة مقتل عمر وفيه وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقَدَمٍ في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة ، قال : وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي .

الامتثال لأمر الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ما يدل على أن الهداية للإسلام والتوفيق للطاعة إنما هما من عند الله عز وجل ، اذكر مزيدًا من الأدلة على ذلك ؟

ج : نعم الهداية للإسلام والتوفيق للطاعات من عند الله عز وجل ، وها هي بعض الأدلة على ذلك .

● قال أهل الإيمان الذين أورثوا الجنان : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

● وقال الله تعالى : ﴿ وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [يونس : ١٠٠] .

● وقال تعالى : ﴿ فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

● وقال تعالى : ﴿ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [يونس : ٢٥] .

● وقال تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ﴾ [الأعراف : ١٧٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ٧] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها ﴾ [السجدة : ١٣] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خص إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذريتهما بالدعاء ؟

ج : خصا ذريتهما بالدعوة ، لأنهما أحق بالشفقة ، وقد قال الله تعالى :

﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ﴾ [التحريم : ٦] ، ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا كانوا أئمة في الخير يُقتدى بهم ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بالمناسك في قوله تعالى : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨]؟

ج : قيل في المناسك هنا : إنها أعمال الحج[1] ، وقيل : هو مواطن الذبح[2] وقيل : هي عموم العبادة .

قال الطبري رحمه الله : وأما « المناسك » فإنها جمع « مَنْسِك » ، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه ، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح : إمَّا بذبْح ذبيحة له ، وإما بصَلاةٍ أو طواف أو سعي ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة . ولذلك قيل لمشاعر الحج : « مناسكه » ، لأنها أمارات وعلاماتٌ يعتادها الناس ويتردَّدون إليها .

وأصل « المَنْسِك » في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي يَعتاده الرجل ويألفه ، يقال : « لفلان مَنْسك » ، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر . ولذلك سميت « المناسكُ » « مناسكَ » ، لأنها تُعتاد ، ويُتردد إليها بالحج والعمرة ، وبالأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله .

وقد قيل : إن معنى « النُّسكِ » : عبادة الله . وأن « الناسك » إنما سمي « ناسكًا » بعبادة ربه .

فتأوَّل قائلو هذه المقالة . قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ،

---

(١) روى الطبري (٢٠٦٣) بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات والإفاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين ، أو دينه .

(٢) أخرج الطبري (٢٠٦٦) بإسناد صحيح عن عطاء قال : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] قال : ذبحنا .

وعلمنا عبادتك ، كيف نعبُدُك ؟ وأين نَعبدك ؟ وما يرضيك عنا فنفعله ؟

وهذا القول ، وإن كان مذهبًا يحتمله الكلام ، فإن الغالب على معنى « المناسك » ما وصفنا قبل ، من أنها « مناسك الحج » التي ذكرنا معناها .

وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسماعيل على وجه المسألة منهما ربَّهما لأنفسهما . وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسهما وذريتهما المسلمين . فلما ضمَّا ذريتهما المسلمين إلى أنفسهما ، صارا كالمخبرين عن أنفسهما بذلك . وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبلُ في أول الآية ، وتأخره بعدُ في الآية الأخرى . فأما الذي في أول الآية فقولهما : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذُريتنا أمةً مسلمةً لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، ثم جمعا أنفسهما والأمة المسلمةَ من ذُريتهما ، في مسألتهما ربَّهما أن يُريهم مَناسكهم فقالا : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وأما التي في الآية التي بعدها : ﴿ ربَّنا وابعث فيهمْ رَسولًا منهم ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فجعلا المسألة لذريتهما خاصة ، وقد ذكر في قراءة ابن مسعود : (وأرهم مناسكهم) يعني بذلك : وأرِ ذريتنا المسلمة مناسكهم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذنوب حتى يقولا : ﴿ وتب علينا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن كل شخص له ذنوب فيما بينه وبين الله عز وجل، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم »[1] ، وفي رواية : « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم »[1] .

(١) كلا الروايتين عند مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٢٧٤٨) .

وقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »[1] .

● وكما قال النبي ﷺ : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه »[2] .

وكما قال تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [فاطر : ٤٥] .

● ومن العلماء من قال : إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعوا بهذا الدعاء ليكون بمثابة التشريع لمن بعدهما أن يقتدوا بهما ويدعون ربهم في هذا الموطن كما دعاه فيه إبراهيم وإسماعيل .

● ومنهم من قال : إن هذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لذريتهما .

● ومن العلماء من قال : إنما أراد إبراهيم وإسماعيل الثبات على الدين ، والله أعلم.

وهنا نورد قول الطبري رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى : فإن قال لنا قائل : وهل كان لهما ذُنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة ؟

قيل : إنه ليس أحدٌ من خلق الله ، إلَّا وله من العمل – فيما بينه وبين ربه – ما يجب عليه الإنابةُ منه والتوبةُ ، فجائزٌ أن يكون ما كان من قِيلهما ما قالا من ذلك، إنما خَصًّا به الحال التي كانا عليها ، من رفع قواعد البيت،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٢٧٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٦١٢) ، ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي لفظ لمسلم : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » .

لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دُعاءهما ، وليجعلا مَا فَعلا من ذلك سُنة يُقتدى بها بعدهما ، وتتخذ الناسُ تلك البقعة بعدهما موضع تَنصُّل من الذنوب إلى الله ، وجائز أن يكونا عَنيَا بقولهما : ﴿ وتُبْ عَلينا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، وتُبْ على الظلمة من أولادنا وذريتنا - الذين أعلمتنا أمرهم - من ظُلمهم وشركهم ، حتى يُنيبوا إلى طاعتك ، فيكون ظاهرُ الكلام على الدعاء لأنفسهما ، والمعنيُّ به ذريتهما ، كما يُقال : « أكرمني فلان في ولدي وأهلي وبرَّني فلان » إذا برَّ ولده .

* * *

س : ما معنى ﴿ التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله : ﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] فإنه يعني به إنك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران - الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك .

* * *

س : هل تحققت دعوة إبراهيم حيث دعا : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٩] ؟ ومن هذا الرسول ؟

ج : نعم تحققت ، قال الله تعالى : ﴿ لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوامن قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته

ويزكيهم ﴾ [الجمعة : ٢] ، وهذا الرسول هو محمد ﷺ .

***

س : في هذه الآيات مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنى وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام توسلا إلى الله عز وجل بهذه الأسماء .

﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وقد قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، والله أعلم .

***

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

يرغب عن – ملة – سفه نفسه – اصطفيناه – الصالحين – أسلم – وصى ؟

ج :

الكلمة	معناها
يرغب عن	رغب في الشيء أحبَّه ، ورغب عن الشيء كرهه وأعرض عنه ، ويرغب عن : يترك – يزهد في .
ملة	دين .
سفه نفسه	فيها أقوال منها : سفه في نفسه – أهلك نفسه – جلب لنفسه السفه – جهل نفسه (وانظر معناها باستفاضة فيما يأتي إن شاء الله) .
اصطفيناه	اخترناه – اجتبيناه .

الكلمـــة	معناهـــا
الصالحين	قال الطبري رحمه الله : الصالح : هو المؤدي حقوق الله عليه ، وقال القرطبي : والصالح في الآخرة هو الفائز .
أسلم	أخلص العبادة – أخضع بالطاعة – امتثل الأمر .
وصى	أمر .



س : ما المراد بـ ﴿ مَن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٠] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن المراد بها الاستفهام الذي يحمل التقريع والتوبيخ ، والله أعلم .

***

س : ما هي ملة إبراهيم عليه السلام ؟

ج : ملة إبراهيم عليه السلام هي الحنيفية السمحة ، وهي الإسلام ، دليل ذلك ما يلي :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [الأنعام : ١٦١] .
- وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمةً قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [النحل : ١٢٣] .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان مسلمًا ومن ثَمَّ فإبراهيم عليه السلام كان مسلمًا وقد تقدم صريحًا ، إلى غير ذلك من الآيات ، والله أعلم .

***

س : من هم الذين رغبوا عن ملة إبراهيم ؟

ج : هم اليهود والنصارى وكل من حاد عن الإسلام ، وقد روى الطبري

بإسناد حسنٍ عن قتادة[1] قال : قوله : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] رغب عن ملته اليهود والنصارى ، واتخذوا اليهودية والنصرانية ، بدعة ليست من الله ، وتركوا ملة إبراهيم – يعني : الإسلام – حنيفًا ، كذلك بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بملة إبراهيم .

***

س : وضح معنى ﴿ سَفِهَ نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال نورد منها ما يلي :

١ – سفه نفسه أي : سفُه في نفسه ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ [البقرة : ٢٣٥] أي : لا تعزموا على عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ؛ ومعنى سفه نفسه أي : جهل في نفسه .

٢ – سفه نفسه أي : أهلك نفسه .

٣ – سفه نفسه أي : ظلم نفسه .

٤ – سفه نفسه أي : جهل ، والسفه هنا صفة للنفس أي : نفسه سفيهة أو سفهت نفسه ، قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] : إلا من سفهت نفسه ، وقد بينا فيما مضى أن معنى (السفه) : الجهل .

فمعنى الكلام : وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية إلا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرها في معادها كما :

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] قال : إلا من أخطأ حظه[2] .

---

(١) الطبري (أثر ٢٠٨٣) .

(٢) إسناده حسن إلى ابن زيد .

قال الطبري رحمه الله : وإنما نصب (النفس) على معنى المفسر وذلك أن (السفه) في الأصل للنفس فلما نقل إلى (من) نصبت (النفس) بمعنى التفسير كما يقال : (هو أوسعكم دارًا) فتدخل الدار في الكلام على أن السعة فيها لا في الرجل ، فكذلك (النفس) أدخلت لأن السفه للنفس لا لـ (من) ، ولذلك لم يجز أن يقال : (سفه أخوك) وإنما جاز أن يفسر بالنفس وهي مضافة إلى معرفة لأنها في تأويل نكرة .

٥ - ومن العلماء من حمل سفه نفسه على ظاهرها ففسر سفه بمعنى جهل ، وسفه نفسه أي : جهل نفسه ، والمعنى جهل نفسه وما فيها من الآيات والدلالات والعبر على توحيد الخالق سبحانه وعلى أن الفطرة هي الإسلام .

قال الزَّجَّاج في تفسيره : (معاني القرآن وإعرابه ٢١١/١) : والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل ، فالمعنى - والله أعلم - إلا من جهل نفسه أي : لم يفكر في نفسه كقوله عز وجل : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] .

● **وأشار القرطبي رحمه الله تعالى :** إلى قول الزجاج وقال : فيفكر في نفسه من يدين يبطش بهما ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها وأذن يسمع بها ، ولسان ينطق به وأضراس تنبت له عند غناه عن الرضاع وحاجته إلى الغذاء ليطحن بها الطعام ، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء ، وكبد يصعد إليه صفوه ، وعروق ومعابر ينفذ فيها إلى الأطراف ، وأمعاء يرسب إليها ثفل الغذاء ويبرز من أسفل البدن فيستدل بهذا على أن له خالقًا قادرًا حكيمًا ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] أشار إلى هذا الخطابي رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب اصطفاء إبراهيم ﷺ في الدنيا وعلو منزلته في الآخرة ؟

ج : لذلك أسباب ، وقبل هذه الأسباب إرادة الله عز وجل .

● ثم سرعة امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١٣٠ ، ١٣١] .

صبره ﷺ ، فلما ابتلاه ربه بالكلمات[1] أتمهن ﷺ ووفى بهن كما أخبر الله سبحانه وتعالى .

● شكره لنعم الله عز وجل عليه كما قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢٠ ، ١٢١] .

إلى غير ذلك .

***

س : ما هو وجه الربط بين قوله تعالى : ﴿ إذ قال له ربه أسلم ﴾ [البقرة : ١٣١]، وقوله تعالى : ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا ..﴾[البقرة : ١٣٠]؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل لما قال لإبراهيم عليه السلام أسلم فقال إبراهيم : أسلمت لرب العالمين فحينئذ اصطفاه الله في الدنيا وجعله في الآخرة من الصالحين ، والله أعلم .

***

س : هل إبراهيم عليه السلام لم يكن مسلمًا حتى قال الله له أسلم ؟

ج : بل كان إبراهيم عليه السلام مسلمًا ، وإنما المراد والله أعلم أن الله

---

(١) وقد تقدم تفسير هذه الكلمات ، ومنها أن الله ابتلاه في بدنه بالختان وهو ابن ثمانين سنة فاختتن بالقدوم ، وابتلاه الله بالإلقاء في النار فصبر على ذلك ، وابتلاه الله في ولده بأن أمره بذبحه فوفى بذلك إلى أن فداه الله بذِبح عظيم ، وابتلاه الله بلقاء الجبابرة فالتقى بهم وقال كلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم فقال : ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ [البقرة : ٢٥٨] إلى غير ذلك مما تقدم .

عز وجل أمره بزيادة الانقياد والخضوع والإخلاص والامتثال لله عز وجل ، ونظير ذلك قوله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] .

* * *

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ووصى بها ﴾ [البقرة: ١٣٢] يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

الأول : أن الضمير يرجع إلى الملة وهي الإسلام .

الثاني : أن الضمير يرجع إلى قوله : ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١٣١] والمؤدي واحد ، والله أعلم .

* * *

س : الوفاة على الإسلام مطلب لأهل الصلاح اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

- قول يوسف ﷺ : ﴿ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ﴾ [يوسف : ١٠١] .
- قول المؤمنين بموسى عليه السلام : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنًا مسلمين ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

قول إبراهيم ﷺ ويعقوب لأبنائهما : ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

- قول النبي ﷺ : « فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة

فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر »[1] .

❋ ❋ ❋

س : من هم بنو إبراهيم الذين أوصاهم إبراهيم بقوله : ﴿ لا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] ومن هم بنو يعقوب ؟

ج : أما بنو إبراهيم عليهم السلام ، فالمذكوران في كتاب الله عز وجل إسماعيل وإسحاق عليهما السلام .

أما بنو يعقوب فهم : يوسف وإخوته الأحد عشر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ [البقرة : ١٣٢] ؟

ج : المراد الإسلام ، ودليله قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقول الخليل عليه السلام : ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما معنى قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله اختار لكم هذا الدين ، وهو الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما معنى قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : الزموا هذا الدين ولا تفارقوه ، فإن الموت يأتي بغتة فحافظوا على دينكم حتى تأتيكم منيتكم وأنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وتدينون الإسلام .

ومن العلماء من قال : إن المعنى أحسنوا ظنكم بالله عز وجل لقول النبي ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل »[1] ، والأول أولى ، والله أعلم .

* * *

س : هل وُلِدَ يعقوب عليه السلام في حياة إبراهيم ﷺ ؟

ج : لم أقف على دليل صريح يفيد ذلك ، لكن رأى بعض أهل العلم أنه كان حيًّا في حياة إبراهيم ﷺ ، واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [هود : ٧١] قالوا : فلو لم يوجد يعقوب في حياة الخليل وسارة عليهما السلام لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة .

● واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

● وبقوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ [الأنبياء : ٧٢] .

---

(١) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث ٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وقوله تعالى : ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا﴾ [الأنعام : ٨٤]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قرأ بعض أهل العلم (يعقوبَ) بالفتح في قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ [البقرة : ١٣٢] فما وجه تأويل هذه القراءة ؟

ج : تأويله أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه ووصى معهم يعقوب أيضًا إذ كان حاضرًا معهم .

ولكن القراءة الأُولَى (أعني قراءة من قرأ يعقوب بالرفع) أَوْلَى وأشهر ثم إنها متواترة كذلك ، فالتأويل على أنها مرفوعة أولى ، وحينئذ يكون المعنى أن يعقوب كذلك أوصى بنيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] من قائله ؟

ج : الذي يظهر لي أن قائله هو إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
أم كنتم – شهداء – خلت – كسبت ؟

ج :

الكلمة	معناها
أم كنتم	أكنتم[1] ؟ – بل كنتم
شهداء	شهود ، أي : حضور
خلت	مضت
كسبت	عملت

(١) قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿أم كنتم شهداء﴾ [البقرة : ١٣٣] أكنتم ؟ ولكنه استفهم بـ (أم) إذ كان استفهامًا مستأنفًا على كلام قد سبقه كما قيل : ﴿ألم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه﴾ [السجدة : ١ – ٣] ، وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه تستفهم فيه بـ (أم) .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي .. ﴾ [البقرة : ١٣٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● **الأول :** أكنتم حضور مرض موت يعقوب عليه السلام حتى تفتروا عليه وتنسبوا إليه أنه يهودي أو نصراني ؟!!! .

كلا بل لم تكونوا حاضرين ، وإنما هي افتراءات تفترونها ، وقد سأل يعقوب عليه السلام بنيه عند موته ما تعبدون من بعدي فأقروا بأنهم يدينون من بعده لله عز وجل إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا وهم له مسلمون .

● **الثاني :** أن معنى ﴿ أم كنتم ﴾ [البقرة : ١٣٣] بل كنتم ، وعليه فالمعنى : بل كنتم يا أهل الكتاب حاضرين موت يعقوب عليه السلام (والمراد أسلافكم كانوا حضور موت يعقوب عليه السلام) وعلموا أنه سأل أولاده عن دينهم وأقروا بأنهم اختاروا دينه ودين آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، وهو دين الإسلام ، ولكنكم يا أهل الكتاب جحدتم ذلك ونسبتم إليه اليهودية والنصرانية ونسبتموه إليها وهو منها بريء ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : وتأويل الكلام : أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد ﷺ الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت أي : أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية ، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وَصَّوا بنيهم ، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم ، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم ، وهذه آيات نزلت

تكذيبًا من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم فقال لهم في هذه الآية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده ؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له .

● **وقال ابن عطية رحمه الله في المحرر :** هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية فرد الله تعالى عليهم وكذبهم وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية والإسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فَتَدَّعُون عن علم ؟ أي : لم تشهدوا بل أنتم تفترون ، و.(أم) تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية ، **ثم قال :** وقال قوم : أم بمعنى بل ، والتقدير : بل شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به ولكنكم كفرتم جحدًا ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عنادًا . والأظهر أنها بمعنى بل وألف الاستفهام معًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شهداء .. ﴾ [البقرة : ١٣٣] لمن ؟

ج : أكثر أهل العلم على أن الخطاب لأهل الكتاب ، ومن العلماء من قال : إنه خطاب للمؤمنين ، والأول أظهر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالأمة في قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ [البقرة : ١٣٤] ؟

ج : المراد بالأمة هم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[1] ، والله أعلم .

---

(١) والأسباط : هنا هم أولاد يعقوب عليه السلام .

س : لماذا قدّم إسماعيل في الذِّكر على إسحاق ؟

ج : قال بعض العلماء : لأنه أكبر منه سنًّا[1] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : العرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمنزلة الآباء هل من دليل ؟

ج : الدليل في قوله تعالى : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] فأُطلق على إسماعيل أب[2] وهو عم يعقوب عليهما السلام .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يجعل الجد أبًا يحجب الإخوة عن الميراث هل من دليل لهم على ذلك ؟ ومَن مِن الصحابة قال بذلك ؟

ج : أما الدليل على ذلك فهو قول أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] فجعلوا إبراهيم أبًا ليعقوب عليه السلام مع أنه جده .

وكذلك قول يوسف ﷺ : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ [يوسف : ٣٨] ، وإبراهيم جد يوسف ﷺ .

● أما الصحابة القائلون بذلك فمنهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه[3] ومنهم أيضًا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[4] .

---

(١) وقد روى ذلك الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (أثر رقم ٢٠٨٩) .

(٢) بيد أن بعض العلماء ذكروا أن ذلك على سبيل التغليب في هذا الموطن ، والله أعلم .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (حديث ٣٦٥٨) بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال : كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد فقال : أما الذي قال رسول الله ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذته » أنزله أبًا يعني : أبا بكر .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم (التفسير ١٢٩١) بإسناد صحيح إلى ابن عطاء قال : سمعت =

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ حضر يعقوب الموت ﴾ [البقرة : ١٣٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : حضرته مقدمات الموت وعلاماته .

***

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٣٤] واذكر بعض الآيات والأحاديث التي تؤدي معناها ؟

ج : أما بالنسبة لمعناها فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : أي أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرًا يعود نفعه عليكم ، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

● وقال الطبري رحمه الله : يقول لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم ، فإنهم أمة – ويعني بـ (الأمة) في هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس ، قد خلت : مضت لسبيلها .

وقال أيضًا : ويعني بقوله : ﴿ لها ما كسبت ﴾ [البقرة : ١٣٤] أي : ما عملت من خير ، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل فتسألوا عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير وشرٍّ لأن

= ابن عباس يقول : الجد أب ويتلو ابن عباس : ﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم ، فإن الدعاوي غير مغنيتكم عند الله ، وإنما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم إن كنتم عملتموها وقدمتموها .

قلت : أما الآيات والأحاديث في معنى الآية الكريمة فمنها ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ [فاطر : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ [النجم : ٣٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ﴾ [النور : ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

● وقول النبي ﷺ : « من بَطَّأَ به عمله لم يسرع به نسبه »[١] .

● وحديث أبي هريرة رضي الله عنه[٢] قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال : « يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري حديث (٤٧٧١) ، ومسلم حديث (٢٠٦) .

عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا صفية عمة رسول ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا ، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا » .

❋ ❋ ❋

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

س : مَا معنى هُودًا – حنيفًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
هودًا	يهودًا
حنيفًا	مستقيمًا- مخلصًا- مائلًا (أي : عن الشرك إلى التوحيد)

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] إجمال ، فصِّل هذا الإجمال ؟

ج : تفصيله – والله أعلم – أن اليهود قالوا للمسلمين : كونوا يهودًا تهتدوا .

والنصارى قالوا للمسلمين : كونوا نصارى تهتدوا .

* * *

س : ما المراد بقولهم : ﴿ تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : المراد – والله أعلم – تهتدون للحق وتدخلون الجنة ، كما قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] .

* * *

س : على أي أساس نصبت ملة في قوله تعالى : ﴿ بل ملة إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : نصبت على أن هناك مقدر محذوف وهو (نتبع) والمعنى : بل نتبع ملةَ إبراهيم حنيفًا .

* * *

س : لماذا قيل : ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : لأن اليهود والنصارى مقرون بنبوته عليه السلام ، فالإجابة عليهم من الجانب الذي أقروا به فكأنه قيل لهم : بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي أجمعنا نحن وأنتم على الشهادة لها بأنها دين الله عز وجل الذي ارتضاه واجتباه وأمر به . قال الطبري رحمه الله : احتج الله لنبيه محمد ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدًا نبيه ﷺ فقال : يا محمد قل للقائلين لك من اليهود

والنصارى ولأصحابك : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] : بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يُجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به فإن دينه كان الحنيفية المسلمة ، وندع سائر الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقرُّ بها بعضنا فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر مزيدًا من أقوال أهل العلم في تفسير الحنيف ؟

ج : ذكر عدد من العلماء أن **الحنيف** هو **المستقيم** ، وقال آخرون : هو **الحاج** وقال آخرون : هو **المخلص** ، وقيل : هو **المائل** (١) (أي : مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام) كما قال الشاعر :

ولكنا خُلقنا إذ خُلقنا حنيفًا ديننا عن كل دين

● وبعض العلماء يقولون : إنما سمي دين إبراهيم الحنيفية ؛ لأنه أول من سنَّ **الاختتان** .

قال الطبري رحمه الله : (الحنَف) عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته ، وذلك أن (الحنيفية) لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء ، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفًا بقوله : ﴿ ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

---

(١) من قولهم رجل حنيف ، وتحنَّف الرجل إذا مال ، والأحنف هو الذي تميل قدماه كل واحدةٍ منهما إلى أختها بأصابعها ، قالت أم الأحنف تُرقصه :

والله لولا حَنَفٌ في رِجْلِهِ ودِقةٌ في ساقِهِ من هُزْلِهِ
ما كان في فتيانكم مِنْ مِثْلِهِ

فكذلك القول في الختان لأن (الحنيفية) لو كانت هي الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء ، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

فقد صح إذًا أن (الحنيفية) ليست الختان وحده ولا حجَّ البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة إبراهيم واتباعه عليها والائتمام به فيها . انتهى ما قاله الطبري رحمه الله تعالى .

● وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى **قتادة** قال : الحنيفية شهادة ألا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرَّم الله عز وجل والختان ، وكانت حنيفة في الشرك ، كانوا أهل الشرك وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات ، وكانوا يحجون البيت وينسكون المناسك[1] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نسبت الحنيفية إلى إبراهيم عليه السلام ولم تنسب إلى من قبله من الأنبياء ألم يكونوا حنفاء هم وأتباعهم ؟!

ج : بل كانوا حنفاء – عليهم السلام – هم وأتباعهم ، أما سؤال الباب فقد أجاب عليه الطبري رحمه الله بقوله : إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبعًا طاعة الله ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة كالذي فعل من ذلك بإبراهيم فجعله إمامًا فيما بيَّنه من مناسكِ الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصي فسمي الحنيف من الناس حنيفًا باتباعه

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٠٧) .

ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمي الضآل عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل : (يهودي - نصراني - مجوسي) وغير ذلك من صنوف الملل .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على معوج الرجلين أحنف (مع أن الأحنف معناه المستقيم كما ذكرتم عن بعض العلماء) ؟

ج : أطلق عليه ذلك تفاؤلًا بالشفاء والسلامة ، كما قيل للديغ : سليم تفاؤلًا بالشفاء ، وللأعمى بصير تفاؤلًا كذلك ، وكما قيل للمُهْلِكَةِ من الأرض : مفازة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] في الرد على اليهود والنصارى ؟

ج : وجهه أن الله عز وجل نفى عن إبراهيم عليه السلام الشرك ، ولكن اليهود والنصارى قد أشركوا فادعت اليهود أن عزيرًا ابن الله ، وادعت النصارى أن المسيح ابن الله ، فخالفوا بذلك ملة إبراهيم عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] فبين الله عز وجل شرك اليهود والنصارى في هذه الآيات ، وبيَّن في آية البقرة ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [البقرة: ١٣٥]، براءة إبراهيم عليه السلام من هذه الأديان التي يزعم أهلها أن اتباعها فيه الهداية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

آمنَّا – الأسباط – تولوا – شقاق – فسيكفيكهم – صبغة الله

ج :

الكلمة	معناها
آمنا	صدقنا
الأسباط[1]	الأسباط هم أبناء يعقوب الاثنا عشر ، وقيل : هم بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] ، وقيل الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب
تولوا	أعرضوا
شقاق	فراق الحق[2]– المجادلة والمخالفة والتعادي – عصيان .
فسيكفيكهم	سيكفيك شرهم وينصرك عليهم ويمكنك منهم
صبغة الله	دين الله – فطرة الله

(١) أخرج الطبري (٢١٠٤) بإسناد حسن عن قتادة قال : الأسباط يوسف وإخوته ، بنو يعقوب ولد اثني عشر رجلًا فولد كل رجل منهم أمة من الناس ، فسموا (أسباطًا) .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ [النساء : ٣٥] .

س : الخطاب لمن في قوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا ﴾ [البقرة : ١٣٦] **ولمن أُمروا أن يقولوه ؟**

ج : الخطاب للمؤمنين ، وأُمروا أن يقولوا هذا القول لليهود والنصارى القائلين : كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا .

ويقول المؤمنون هذا القول أيضًا لكل أحد كما قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة : ٤] .

* * *

س : ما هو الذي أُنزل على إبراهيم وما هو الذي أوتاه موسى وعيسى عليهم السلام ؟

ج : الذي أنزل على إبراهيم عليه السلام هو الصحف المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى : ١٨ ، ١٩] ، والذي أنزل على موسى ﷺ هو التوراة والذي أنزل على عيسى عليه السلام هو الإنجيل ، قال تعالى : ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ﴾ [الحديد : ٢٧] .

* * *

س : قال الله عز وجل للمؤمنين : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا .... ﴾ [البقرة : ١٣٦] **فهل قال المسلمون ذلك ؟ وما جزاء من امتثل ذلك ؟ وما جزاء من خالفه ؟**

ج : نعم قال المؤمنون ذلك قال الله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل

إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وجزاء من امتثل ذلك ما ذكره الله تعالى حيث قال : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله و لم يفرقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١٥٢] .

● وجزاء من خالفه ما ذكره الله في كتابه : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

* * *

س : إذا أخبرنا أهل الكتاب بخبر فماذا يجب علينا تجاه هذا الخبر ؟

ج : إذا كان هذا الخبر موافقًا لكتاب الله عز وجل الذي بين أيدينا قبلناه وإذا كان هذا الخبر يُكذبه كتاب ربنا رددناه .

وإذا لم يوافق ولم يخالف توقفنا فيه لما رواه البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿ وقولوا آمنا بالله وما أنزل ... ﴾ الآية [البقرة : ١٣٦] » والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٥) ، والنسائي في السنن الكبرى في التفسير (١١٣٨٧) .

س : وضح المعنى الإجمالي لهذه الآية الكريمة : ﴿ قولوا آمنا بالله ... ﴾ [البقرة : ١٣٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بذلك ﴿ قولوا ﴾ ، أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ، ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ ، ﴿ آمنا ﴾ أي : صدقنا ﴿ بالله ﴾ .

قال : وقد دللنا فيما مضى أن معنى (الإيمان) التصديق بما أغنى عن إعادته وقال أيضًا : ﴿ وما أنزل إلينا ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، يقول أيضًا : صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد ﷺ فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به فكان - وإن كان تنزيلًا إلى رسول الله ﷺ بمعنى التنزيل إليهم للذي لهم فيه من المعاني التي وصفت ويعني بقوله : ﴿ وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، صدَّقنا أيضًا وآمنا بما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وهم الأنبياء من ولد يعقوب .

وقوله : ﴿ وما أوتي موسى وعيسى ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، يعني وآمنا أيضًا بالتوراة التي آتاها الله موسى وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى والكتب التي آتى النبيين كلهم وأقررنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدِّق بعضهم بعضًا على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته ﴿ لا نفرق بين أحد منهم ﴾ [البقرة : ٢٨٥] يقول : لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضًا كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرَّت بغيرهما من الأنبياء ، وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ وأقرَّت بغيره من الأنبياء بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله

وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى(١) .

* * *

س : كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ... ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، في بعض الصلوات فما هي الصلاة التي كان النبي ﷺ يقرؤها فيها ؟

ج : كان النبي ﷺ يقرؤها في ركعة من الركعتين اللتين قبل الفجر فقد ثبت في صحيح مسلم(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ... ﴾ ، الآية التي في البقرة [البقرة : ١٣٦] ، وفي الآخرة منهما : ﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾(٣) [آل عمران : ٥٢] .

وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث ابن عباس : كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر : ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ...﴾ [البقرة: ١٣٦] ، والتي في آل عمران : ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ [آل عمران: ٦٤] .

* * *

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢١٠٣) قال : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، إلى قوله : ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولا يفرِّقوا بين أحدٍ منهم .

(٢) حديث (٧٢٧) .

(٣) وكان يقرأ أيضًا في ركعتي الفجر في الركعة الأولى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفي الثانية بـ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقد أخرج مسلم (حديث ٧٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

س : وضح معنى الشقاق بشيء من التفصيل ؟

ج : معنى الشقاق في الأصل الفراق ، والمراد أن هؤلاء المعاندين أصبحوا في شق ، والحق والحنيفية السمحة في شق آخر ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

● روى الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قال : ﴿ وإنما هم في شقاق ﴾ أي : في فراق .

● وروى كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد[2] قال : ﴿ وإن تولوا فإنما هم في شقاق ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، قال الشقاق : الفراق والمحاربة إذا شاقَّ فقد حارب وإذا حارب فقد شاقَّ وهما واحد في كلام العرب ، وقرأ : ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ [النساء : ١١٥] .

● وقال الطبري رحمه الله : وأصل (الشقاق) عندنا – والله أعلم – مأخوذ من قول القائل : (شقَّ عليه هذا الأمر) إذا كربه وآذاه ، ثم قيل : (شاقَّ فلانٌ فلانًا) بمعنى نال كل واحد منهما من صاحبه ما كربه وآذاه وأثقلته مساءتهُ ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ [النساء : ٣٥] ، بمعنى فراق بينهما .

وقال القرطبي رحمه الله : ... وقيل الشقاق : المجادلة والمخالفة والتعادي ، وأصله من الشِّق وهو الجانب ، فكأن كل واحدٍ من الفريقين في شق غير شق صاحبه ، قال الشاعر :

إلى كم تقتل العلماء قسرًا   وتفجر بالشقاق وبالنفاق

وقال آخر :

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم   بُغاة ما بقينا في شقاق

---

(١) الطبري (٢١١٠) .

(٢) الطبري (أثر ٢١١٢) .

وقيل : إن الشقاق مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب ، فكأن كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٧] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله** : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ ، فإن صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم فقد وفِّقوا ورشدوا ولزموا طريق الحق واهتدوا وهم حينئذ منكم وأنتم منهم بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك .

***

س : هل أتم الله عز وجل لنبيه ﷺ الوعد الذي وعده إياه وأنجزه له في قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ [البقرة : ١٣٧] ؟

ج : نعم أتم الله لنبيه ﷺ هذا الوعد الذي وعده إياه فسلطه على بعضهم بالقتل والإجلاء من الديار وسبي بعضهم وضرب الجزية على آخرين منهم ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى ﴿ صبغة الله ﴾ [البقرة : ١٣٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن ملة إبراهيم عليه السلام – وهي الحنيفية السمحة – هي الصبغة التي يصبغ الله عز وجل بها أهل الإيمان ونعم الصبغة

هي ، وليست هي كصبغة اليهود والنصارى إذا أرادوا أن يهوِّدوا أبناءهم أوِ ينصِّروهم عمدوا إلى ماء فجعلوهم فيه زعموا أن ذلك تقديس . وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

فقد روي بإسناد حسن عن قتادة [1] رحمه الله أنه قال : قوله : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ [البقرة : ١٣٨] ، إن اليهود تصبغ أبناءها يهود ، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى ، وأن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر ، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده .

وقال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بـ (الصبغة) صبغة الإسلام ، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تُنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام ، وأنه صبغة لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره – إذ قالوا لنبيه محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين به : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، قل لهم يا محمد : أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصِّبغ فإنها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجَّة هداه .

❋ ❋ ❋

س : على أي أساس نُصب قوله تعالى : ﴿ صبغة الله ﴾ [البقرة : ١٣٨] ؟

ج : الذي يظهر أنه نُصب على الإغراء ، والمعنى الزموا صبغة الله .

وقيل : إنها بدل من قوله تعالى : ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أي : بدل من ملة . والله أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٢١١٣) .

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

س : ما معنى أتحاجوننا ؟

ج :

الكلمة	معناها
أتحاجوننا	أتخاصموننا[1]- أتجادلوننا

✵ ✵ ✵

(١) روى الطبري (٢١٣٠) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ [البقرة : ١٣٩] أتخاصموننا ؟

س : قوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ [البقرة : ١٣٩] ، خطاب لمن ؟

ج : هو أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ أن يقول لليهود والنصارى الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه والقائلين : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أتحاجوننا ...

* * *

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتحاجوننا في الله ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : المراد الإنكار والتوبيخ ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ .. في الله ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : قيل : إن المراد (دين الله) ، ولقائل أن يقول : إنه على ظاهره والمعنى أن المسلمين يقرون لله عز وجل بصفات الكمال والجلال التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ ، وينفون عنه الولد بينما اليهود والنصارى على غير ذلك فهم ينسبون لله الولد فاليهود يقولون : عزير ابن الله ، والنصارى يقولون : المسيح ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا في الله .... ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، ماذا

تريدون أن تحاجونا فيه ؟!!! فهل توحيد الله عز وجل والإخلاص إليه والانقياد له واتباع أوامره وترك زواجره يحتاج إلى مناظرة ؟!!

أتحاجوننا في الله وتزعمون أنكم أولى بالله منا لكون نبيكم قبل نبينا وكتابكم نزل قبل كتابنا ، فإن كان هذا هو احتجاجكم فليست الأسبقية بمجدية هنا لأن ربنا وربكم واحد ونحن لم نغير ولم نبدل ولم نشرك بالله شيئًا كما أشركتم يا يهود فجعلتم عزيرًا ابن الله وكما أشركتم يا نصارى فزعمتم أن المسيح ابن الله ، فليست أسبقيتكم بنافعتكم شيئًا مع شرككم بالله عز وجل .

● أتخاصموننا يا يهود أن الله اصطفى منا - نحن العرب - نبيًّا ولم يصطفه منكم ، فالله ربنا وربكم وهو سبحانه يصطفي من خلقه ما يشاء ويختار من يريد !

● وقوله تعالى : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى .. ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، فحواه : أم تحاجوننا يا معشر اليهود والنصارى بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كان هودًا أو نصارى ، فإن زعمتم ذلك فأنتم مفترون في دعواكم ، والله يعلم أنكم تكتمون الشهادة لهؤلاء - إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط - بالإسلام وما الله بغافل عما تعملون ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الإخلاص ؟

ج : لأهل العلم في معنى الإخلاص أقوال منها ما يلي :

١ - أن الإخلاص هو العمل ابتغاء وجه الله وترك الرياء والبعد عنه .

٢ - قال قوم : الإخلاص من العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضًا في الدارين ولا حظًّا من الملكين .

٣ - قال بعض العلماء : الإخلاص سر بين العبد وبين ربه لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هو فيميله .

***

س : اذكر آية كريمة تدحض دعوى اليهود والنصارى في ادعائهم أن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ؟

ج : الآية هي قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٥ - ٦٧] .

***

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، وما هي الشهادة التي كتموها ؟

ج : قيل : إن المعنيين هم اليهود والنصارى ، والشهادة التي كتموها هي كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين[1] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى : فإن زعمت يا محمد اليهودُ والنصارى - الذين قالوا لك ولأصحابك : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى فمن أظلم منهم ، يقول : وأي امرىء أظلم منهم ؟ وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين .

• والقول الثاني أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، هم اليهود ، والشهادة التي كتموها هي صفة محمد ﷺ المثبتة في كتبهم(١) .

والقول الأول أظهر لأن سياق الكتاب العزيز في هذا الموطن يؤيده والله تعالى أعلم(٢) .

***

س : ما هو وجه تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : وجه هذا التذييل أنه يحمل التهديد لليهود والنصارى الذين قد تسوِّل لهم أنفسهم شهادة الزور ويدَّعون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى ، والله أعلم .

***

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢١٣٦) : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية ، وكتموا محمدًا ﷺ وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل .

وروى الطبري بإسناد صحيح (٢١٣٩) عن ابن زيد في قوله : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، قال : هم يهود يُسألون عن النبي ﷺ وعن صفته في كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك لأن قوله تعالى ذكره : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، في إثر قصة من سمَّى الله من أنبيائه وأمام قصته لهم ، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره .

س : اذكر آية كريمة في ذم كتمان الشهادة ؟

ج : الآية الكريمة هي قوله تعالى : ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لا أحد أشد ظلمًا ممن كتم شهادة الله التي عنده وأخفاها ، وقد كتم اليهود والنصارى شهادة الله التي عندهم مما يخص إبراهيم ومما يخص محمدًا صلى الله عليهما وسلم ، وكذلك كتموا ما يتعلق بالشرائع والفروع ، فمن ذلك أن في كتبهم أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين ، وما كانوا يهودًا ولا نصارى فقد جاءوا قبل اليهودية والنصرانية ، وكانوا قبلها خاضعين لله مستسلمين له مقرين بالعبودية له والوحدانية .

وكتموا صفة محمد ﷺ فقد كانت صفته عندهم كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وكما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وكتموا أيضًا أحكام الله في الزنا كما قد تقدم من وضعهم أصابعهم على آية الرجم أمام رسول الله ﷺ[١] ، والله أعلم .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٥٤٣) ، ومسلم (حديث ١٦٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : أُتي النبي ﷺ برجلٍ وامرأةٍ من اليهود قد زنيا فقال =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] ، وبين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : لأهل العلم في طريقة الجمع وجوه نذكر منها وجهين :

أحدهما : إنهما في الظلم سواء (في الدرجة العليا من الظلم) أعني أن مانع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه ، الساعي في خرابها على درجة من الظلم تساوي من كتم شهادة عنده من الله .

الثاني : إن ذلك على الاختصاص بمعنى أنه ليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وليس من كاتمي الشهادة أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، والله أعلم .

***

س : لماذا كُرِّر قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٤١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ - أنه كرر للتهديد والتخويف ، والمعنى أنه إذا كان أولئك الأنبياء على طاعتهم لله وفضلهم يُجازون يوم القيامة بكسبهم فأنتم أحرى أن تجازون بكسبكم كذلك .

= لليهود ما تصنعون بهما ؟ قالوا : نسخِّم وجوههما ونخزيهما قال : فأْتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا فقالوا لرجل ممَّن يرضون : يا أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضعٍ منها فوضع يده عليه قال : ارفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تَلُوح فقال : يا محمد إن عليهما الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرُجما فرأيته يُجانئ عليها الحجارة .

٢ - أنه كرر لقطع التعلق بالمخلوقين وتنبيهًا لليهود ولمن يتكل على فضل آبائه وأجداده وشرفهم كي لا يتكلوا على فضل الآباء فكلٌّ يؤاخذ بعمله والمعول عليه هو ما اتصف به الإنسان لا عمل أسلافه وآبائه ، فالنفع الحقيقي بالأعمال لا بالانتساب إلى الرجال .

٣ - كرر لشدة حاجة الناس إلى معرفته[1] .

٤ - كرر لأنه إذا اختلفت مواطن الحِجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٤١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك في الله من اليهود والنصارى إن كتموا ما عندهم من الشهادة في أمر إبراهيم ومن سمَّينا معه وأنهم كانوا مسلمين وزعموا أنهم كانوا هودًا أو نصارى فكذبوا :

---

(١) قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل ٢٧٨/٢) : قال الراغب : إعادة هذه الآية من أجل أن العادة مستحكمة في الناس صالحهم وطالحهم أن يفتخروا بآبائهم ويقتدوا بهم في متحرياتهم لا سيما في أمور دينهم ، ولهذا حكي عن الكفار قولهم : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ [الزخرف : ٢٢] ، فأكد الله تعالى القول في إنزالهم عن هذه الطريقة ، وذكر في إثر ما حكي من وصية إبراهيم ويعقوب بنيه بذلك تنبيهًا أن الأمر سواء على ما قلت أو لم يكن فليس لكم ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه ، وفي الثاني لما ذكر ادعاءهم اليهودية والنصرانية لآبائهم أعاد أيضًا تأكيدًا عليهم تنبيهًا على نحو ما قال : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [الإسراء : ١٣]، وقوله : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وقوله : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، ولما جرت به عادتهم وتفردت به معرفتهم كل شاة تناط برجليها .

إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط أمة قد خلت – أي : مضت لسبيلها فصارت إلى ربها وخلت بأعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير في أيام حياتها وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها إلا سيئها ، فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك فإنكم إن كان هؤلاء ، وهم الذين بهم تفتخرون وتزعمون أن بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدَّموا من صالح الأعمال ولا يضرهم غير سيئها فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال ولا يضركم غيرُ سيئها فاحذروا على أنفسكم وبادروا خروجها بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفِرية على الله وعلى أنبيائه ورسله ، ودَعوا الاتكال على فضائل الآباء والأجداد فإنما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط يعملون من الأعمال ؛ لأن كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فإنما تسأل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها ، والله أعلم .



﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

السفهاء - ما ولاهم - أمة - وسطًا - ينقلب على عقبيه - كبيرة - إيمانكم - رءوف ؟

ج :

الكلمة	معناها
السفهاء	الجهال (والمراد بهم هنا : اليهود وأهل الشرك والنفاق)
ما ولاهم	أي شيء صرفهم وحولهم
أمة	القرن من الناس والصنف من الناس (المراد هنا - والله أعلم - أتباع محمد ﷺ)

الكلمـــة	معناهـــا
وسطًا	عدلًا - خيارًا
ينقلب على عقبيه	يرتد عن دينه (والعقب : مؤخر القدم)
كبيرة	مشقة ثقيلة
إيمانكم	صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس
رءوف	الرأفة أشد الرحمة وأكثر الرحمة[1] .



(١) قال الطبري رحمه الله : و (الرأفة) أعلى معاني الرحمة ، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة ، وقال القرطبي رحمه الله : والرأفة أشد من الرحمة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : الرأفة أكثر من الرحمة والمعنى متقارب .

س : ما معنى السفهاء ؟ ومن هم السفهاء من الناس ؟ ولماذا أطلق عليهم سفهاء ؟

ج : السفهاء هم الجهال ، والسفهاء من الناس هم اليهود ، وقد قال بذلك البراء بن عازب رضي الله عنهما[1] ، وقيل : إنهم المنافقون ، وقيل : هم مشركو العرب ، وكل هؤلاء : (اليهود ، وأهل النفاق ، ومشركو العرب) سفهاء ، فلا مانع من أن يكونوا كلهم قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .

أما لماذا أطلق عليهم سفهاء فاليهود أطلق عليهم سفهاء لأنهم سَفِهُوا الحق وأنكروه ، وأهل النفاق جهلوا أن الله على كل شيء قدير ، وأنه سبحانه قادر على أن يحول المسلمين من قبلة إلى أخرى ، وجهلوا حكمة الله في ذلك ، أما أهل الشرك فهم سفهاء أصلًا لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٢] دليل من دلائل النبوة وضحه ؟

ج : إيضاحه أن الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ بشيء لم يك قد وقع

(١) أخرجه الطبري (٢١٤٥) بإسناد رجاله ثقات عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ قال : اليهود .
وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا وإلى ابن إسحاق ، وفي بعض الروايات (أهل الكتاب) بدلًا من اليهود ، وهي محمولة على الأولى بمعنى أن أهل الكتاب يُراد بهم هنا اليهود .
والإسناد لا تشوبه إلا عنعنة أبي إسحاق ولا أراها تضر في مثل هذا الموطن ، فالأثر عن البراء بأنهم اليهود صحيح .
ولكن هذا لا ينفي أن يكون المنافقون قالوا كذلك أيضًا : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وأهل الشرك كذلك قالوا نحوه ، ومن ثَمَّ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : (والآية عامة في كل هؤلاء) والله أعلم .

وأخبر النبي أمته بذلك فوقع الأمر كما أخبر سبحانه وتعالى نبيه وكما أخبر نبيُّه الناس ، والله أعلم .

* * *

س : بماذا يُردُّ على السفهاء القائلين : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] ؟

ج : يُردُّ عليهم بـ : ﴿ لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] أي : أن الاتجاهات كلها لله ومِلْك المشرق والمغرب وما بينهما لله سبحانه ، وليست العبرة بالاتجاه إلى المشرق والمغرب إنما العبرة بطاعة الله عز وجل وامتثال أمره كما قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وهكذا يُردُّ على كل ملحد حاجج المؤمنين في عبادتهم ، فإن قال لنا قائل : لماذا تطوفوا بالكعبة وتسعون بين الصفا والمروة وترمون الجمار وتقفون بعرفات ... فالإجابة على كل هذا أن هذا أمر الله ونحن لربنا مسلمون طائعون ، والله أعلم .

* * *

س : ما فائدة الإخبار بقول السفهاء قبل وقوعه ؟

ج : فائدته توطين النفس وتأهيلها لاستقبال ما سيقوله هؤلاء السفهاء ، وتهوين صدمة القول وتخفيف روعته ، والإشارة إلى سفاهة القائل وجهله قبل أن يتكلم بالكلام .

وقد تقدم أن في الآية الكريمة نوع إعجاز للإخبار بالغيب ، والله أعلم .

* * *

س : بعض العلماء يرى أن في الآية الكريمة : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] نسخٌ للسنة بالقرآن وضح ذلك ؟ واذكر دليلًا آخر يدل على نسخ السنة بالقرآن ؟

ج : وجه الدلالة من الآية الكريمة على نسخ السنة بالقرآن أن النبي ﷺ كان يُصلي إلى بيت المقدس وليس هناك نص ظاهر في كتاب الله بالأمر بذلك ، ثم جاء الأمر بالتوجه إلى الكعبة فنسخ ما كان من توجهٍ إلى بيت المقدس ، ودليل آخر في هذا الباب وهو ما أخرجه البخاري[1] من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه في قصة صلح الحديبية ... وفيه أن سهيل ابن عمرو قال لرسول الله ﷺ في بنود الصلح : .. وعلى أنه لا يأتيك منا رجل – وإن كان على دينك – إلا رددته إلينا ... الحديث ، وفيه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن .. – حتى بلغ – بعصم الكوافر ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

والشاهد من الحديث – على قول لبعض العلماء[2] – : إن الاتفاقية بين رسول الله ﷺ وبين المشركين كان من بنودها أنه لا يأتيه مسلم منهم إلا ورده إليهم ، فنسخ الله سبحانه ذلك في شأن المؤمنات بقوله تعالى : ﴿ .. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .. ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

* * *

---

(١) حديث (٢٧٣١) ، (٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كل منهما حديث صاحبه .

(٢) وإن كان بعض العلماء يرى أن الاتفاقية كانت تنص على الرجال فقط كما هو وارد في الحديث ، وبعضهم يقول : إن النساء كن داخلات في الاتفاقية بالمعنى ، والله تعالى أعلم.

س : في قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] دليل على النسخ وضحه ؟

ج : إيضاحه أن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس فأمرهم الله بالتحول إلى الكعبة فكان ذلك التوجه نسخ لتوجههم إلى الكعبة .

قال القرطبي رحمه الله : في هذه الآية دليل واضح على أن في أحكام الله تعالى وكتابه ناسخًا ومنسوخًا ، وأجمعت عليه الأمة إلا من شذ ، كما تقدم ، وأجمع العلماء على أن القبلة أول ما نُسخ من القرآن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٤٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : قل لله ملك المشرق والمغرب وما بينهما ، وله الحكم والتصرف والأمر فيهما ، والمراد أن العبرة بامتثال أوامر الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي الشأن كله في امتثال أوامر الله ، فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا ، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن ، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل كان توجه رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس باجتهاد منه أم بوحي من الله إليه ؟

ج : للعلماء في ذلك قولان :

أحدهما : أنه كان باجتهاد منه ﷺ .

الثاني : أنه بوحي .

وعلى أية حال فرب العزة سبحانه وتعالى قد أقرَّه على ذلك فقد قال الله سبحانه :: ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فالله هو الذي جعل القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ ، وهو الذي وجهه إليها .

❋ ❋ ❋

س : لماذا وُجِّه المسلمون أولًا إلى بيت المقدس ثم حُوِّلوا إلى الكعبة ؟

ج : في هذا فتنة من الله عز وجل وامتحان ليظهر المنافق المرتاب من المؤمن الموقن كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فقال أهل النفاق لما حُوِّلت القبلة : ما بال محمد يحولنا مرة إلى ها هنا ومرة إلى ها هنا ، وقال بعض المسلمين : كيف بإخواننا الذين ماتوا وقتلوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس ، وقال أهل الشرك : كما رجع محمدٌ إلى قبلتنا فسيرجع إلى ديننا ، أما أهل الإيمان الكامل واليقين الصادق فعلموا أن كل ذلك حق وأنه من عند الله سبحانه وسمعوا له وأطاعوا ورضوا به وقرت أعينهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا .. ﴾ [البقرة : ١٤٣] معطوف على ماذا ؟

ج : معطوف على الهداية ، فالمعنى : وكما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله ووفقناكم لاتباع ملة إبراهيم والاتجاه لقبلته وفضلناكم بذلك على سائر الملل فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

- وقيل : راجع إلى إبراهيم عليه السلام ، فالمعنى : وكما اصطفيناه في الدنيا فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

- وقال بعض العلماء : وكما هديناكم إلى الكعبة التي هي وسط الأرض فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

والقول الأول أولى ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ وسطًا ﴾ ، ولماذا وُصفت أمة محمد ﷺ بأنها أمة وسط ؟

ج : **الوسط : العدل** ، وقد تقدم ذلك كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ... والوسط العدل »[1] .

والوسط أيضًا يطلق على الخيار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ؛ وذلك لكونها أشرف الصلوات وينشغل الناس عنها .

ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ [القلم : ٢٨] وكما قال الشاعر (وهو زهير بن أبي سلمى) :

هُمُ وَسَطٌ يرضى الأَنام بِحُكْمِهم ... إذا نَزَلَتْ إحدى الليالي بِمُعْظَمِ

---

(١) أخرجه البخاري مع قصة كما تقدم ، وأخرجه مختصرًا الطبري في تفسيره (٢١٦٥) ، وإسناده صحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : عُدولًا .

● **أما لماذا وصفت أمة محمد ﷺ بأنها وسط** ، فكما ذكر الطبري رحمه الله حيث قال : وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلوٍّ فيه غلوَّ النصارى الذي غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به ، ولكنهم أهل توسطٍ واعتدالٍ فيه ، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوسطها .

ونقل القاسمي في محاسن التأويل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله : وهذه الفرقة الناجية أهل السنة ، وهم وسط في النِّحَل ، كما أن ملةِ الإسلام وسط في الملل . فالمسلمون وسط في أنبياء الله ، ورسله ، وعباده الصالحين ، لم يغْلوا فيهم كما غلت النصارى فـ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللّهِ والمسيح ابن مريم ، وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا ، لا إله إلا هو ، سبحانه عمَّا يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] ولا جفوا عنهم ، كما جفت اليهود ، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقًا ، وقتلوا فريقًا . بل المؤمنون آمنوا برسل الله ، وعزروهم ، ونصروهم ، ووقروهم ، وأحبوهم ، وأطاعوهم ، ولم يعبدوهم ، ولم يتخذوهم أربابًا . كما قال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون اللّهِ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح ، فلم يقولوا : هو الله ، ولا

ابن الله ، ولا ثالث ثلاثة . كما تقوله النصارى . ولا كفروا به ، وقالوا على مريم بهتانًا عظيمًا ، حتى جعلوه ، ولد غية ، كما زعمت اليهود . بل قالوا : هذا عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، وروح منه . وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله ، فلم يحرِّموا على الله أن ينسخ ما شاء ، ويمحو ما شاء ويثبت . كما قالته اليهود . كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وبقوله : ﴿ وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحقُّ مصدِّقًا لما معهم ﴾ [البقرة : ٩١] ولا جوَّزوا لأكابر علمائهم وعبَّادهم أن يغيروا دين الله ، فيأمروا بما شاءوا وينهَوا عما شاءوا . كما يفعله النصارى . كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله : ﴿ اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴾ [التوبة: ٣١] .

قال عديُّ بن حاتم رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله ما عبدوهم ؟ قال : « ما عبدوهم ، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم »(١) . والمؤمنون قالوا : لله الخلق والأمر ، فكما لا يخلق غيره ، لا يأمر غيره . وقالوا : سمعنا وأطعنا ، فأطاعوا كل ما أمر الله به . وقالوا : إن الله يحكم ما يريد . وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ، ولو كان عظيمًا . وكذلك في صفات الله تعالى ، فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة ، فقالوا : هو فقير ونحن أغنياء . وقالوا : يد الله مغلولة . وقالوا : إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت . إلى غير ذلك . والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به . فقالوا : إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ، ويثيب ويعاقب . والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى . ليس له سميٌّ ولا ندٌّ . ﴿ ولم يكن

---

(١) في إسناده ضعف .

له كفوًا أحدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، و ﴿ ليس كمثلـه شيء ﴾ [الشورى : ١١] فإنه رب العالمين ، وخالق كل شيء . وكل ما سواه عباد له ، فقراء إليه .

﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلُّهم ءاتيه يوم القيامة فردًا ﴾ [مريم : ٩٣ - ٩٥] ومن ذلك : أمر الحلال والحرام . فإن اليهود كما قال الله تعالى : ﴿ فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أُحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط . ولا شحم الثَّرب (الثَّرب : شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء . وجمعه ثروب) والكليتين . ولا الجدي في لبن أمه . إلى غير ذلك ، مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما . حتى قيل : إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعًا والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمرًا . وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يواكلوا الحائض ، ولا يجامعوها في البيوت . وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات ، وباشروا جميع النجلسات ، وإنما قال لهم المسيح : ﴿ ولأُحلَّ لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] . ولهذا قال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] . وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النَّبي الأُمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأَغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧] .

وهذا باب يطول وصفه . وهكذا أهل السنة والجماعة في الفِرَق . فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته ، وسط بين أهل التعطيل ، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ، ويعطلون حقائق ما نَعَت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات . وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات . فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه ، وما وصفه رسوله ﷺ . من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف وتمثيل . وهم في باب خلْقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله ، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء . وبين المفسدين لدين الله . الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطِّلون الأمر والنهي والثواب والعقاب . فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا حرمنا من شيء ﴾ [الأنعام : ١٤٨] فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير . فيقدر أن يهدي العباد ويقلِّب قلوبهم . وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . فلا يكون في ملكه ما لا يريد . ولا يعجز عن إنفاذ مراده . وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات . ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل . وأنه مختار . ولا يسمونه مجبورًا . إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره . والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله . فهو مختار مريد . والله خالقه وخالق اختياره . وهذا ليس له نظير . فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد ، وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية . ويكذبون بشفاعة النبيِّ ﷺ . وبين المرجئة الذين يقولون : إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء . والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان . ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية . فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فسَّاق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله . وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي

يستوجبون به الجنة . وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، أو مثقال خردلة من إيمان . وأن النبي ﷺ ادَّخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته . وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ، وسط بين الغالية الذين يغالون في عليٍّ رضي الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما ، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا ، وكفَّروا الأمة بعدهم كذلك ، وربما جعلوه نبيًّا أو إلهًا . وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما . ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما . ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته . وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط ، لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . انتهى .

* * *

س : اذكر بعض الآيات في فضل أمة محمد ﷺ ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ [الحج : ٧٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود – إلى قوله : – وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا[١] ﴾ [فاطر : ٣٢] ، وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

***

س : قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] متى تكون هذه الشهادة ؟

ج : هذه الشهادة تكون في الآخرة وتكون كذلك في الدنيا .

● أما كونها في الآخرة فلقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا * يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوَّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ﴾ [النساء : ٤١ ، ٤٢] .

---

(١) وهم أمة محمد ﷺ على رأي فريق كبير من أهل العلم .

● أما كونها في الدنيا فلما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ: «.وجبت » ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال : « وجبت » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجبت ؟ قال : « هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض » ، وفي رواية مسلم :« أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض » .

❋ ❋ ❋

س : في ماذا تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم يوم القيامة ؟

ج : تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالات الله عز وجل ، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُدعى[2] نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلَّغ ويكون الرسول عليكم شهيدًا ، فذلك قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . والوسط العدل .

❋ ❋ ❋

س : استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس .. ﴾ [البقرة :١٤٣] على حجية الإجماع ، وضح وجه هذا الاستدلال ، وهل من دليل آخر أصرح في الاستدلال من هذا الدليل ؟

---

(١) البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٢٨) ، ومسلم (مع النووي ٧/ ١٨) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٧) .

ج : حاصل قولهم أن الله عزَّ وجل وصف هذه الأمة بالعدالة في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] فلما وصفها بالعدالة كان من مقتضيات وصفها بالعدالة أنها إذا اتفقت على أمر كان هذا الأمر صوابًا لأنه إذا كان باطلًا اختلت عدالتها ، والله أعلم .

● وأصرح من ذلك في الاستدلال على حجية الإجماع قوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

● وقول النبي ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة »[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أمة محمد ﷺ من هو مسرف على نفسه ، ومنهم من هو فاسق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [فاطر : ٣١] ؟

ج : الإجابة أنّه حتى الفاسق من أمة محمد ﷺ الذي يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يقر بنبوة الأنبياء عليهم السلام وأنهم قد بلغوا أمر الله عز وجل ، ومن ثمَّ استقام أن يكون شهيدًا على الناس في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) لهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ في كل منها ضعف ظاهر اللهم إلا حديث ابن عباس المرفوع الذي أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١١٦) ، والبيهقي في الصفات (٢/ ١٣٦) فإسناده ظاهره الصحة إلا أنني في ريب من تصحيحه وخاصة مع توقف الحاكم – رغم تساهله المعروف – في تصحيح هذا الحديث حيث قال : لا أدعي صحته ولا أحكم بتوهينه . وكذلك فقد أخرج الترمذي بإسناد مشابه لإسناده حديثًا ووصفه بحسن غريب .

س : رأى كثير من أهل العلم أن العدالة شرط للشهادة اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾ [الطلاق : ٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة :٢٨٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ اثنان ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ١٠٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

قال ابن العربي في أحكام القرآن عند تفسير هذا الآية : وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول ولا ينفذ على الغير قول الغير إلا أن يكون عدلًا .

***

س : بماذا يشهد الرسول ﷺ على أمته يوم القيامة ؟

ج : يشهد الرسول على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمروا بفعله إذا هم فعلوه ، وبعض أهل العلم يقول : ﴿ عليكم ﴾ هنا بمعنى : لكم ، أي : يشهد لكم بالإيمان ، والله أعلم .

***

س : ما هي القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ قبل أن يتحول إلى الكعبة ؟

ج : هي بيت المقدس ، وذلك كما ورد في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا[1] ... الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦) ، ومسلم (حديث ٥٢٥) .

س : ما هي الكبيرة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : هي مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام .

وقال بعض العلماء : إنها صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس قبل أن يتحولوا إلى الكعبة فقد كان يشق عليهم الاتجاه إلى بيت المقدس وترك الكعبة[1] .

لكن قد صحح الطبري القول الأول بقوله : وهذا التأويل[2] أولى التأويلات عندي بالصواب لأن القوم إنما كَبُر عليهم تحويل النبي ﷺ وجهه عن القبله الأولى إلى الأخرى لا عين القبلة ولا الصلاة ، لأن القبلة الأولى والصلاة قد كانت وهي غير كبيرة عليهم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه كون تحويل القبلة كبيرة ؟

ج : وجه ذلك ما ذكره الطبري بإسناد صحيح[3] إلى ابن زيد قال : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال: كبيرة في صدور الناس فيما يدخل الشيطانُ به ابن آدم قال : ما لهم صلوا إلى ههنا ستة عشر شهرًا ثم انحرفوا ، فكبر ذلك في صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين ، فقالوا : أي شيء هذا الدِّين ؟ وأما الذين آمنوا

---

(١) أخرج الطبري (٢٢١٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : صلاتكم حتى يهديكم الله عزَّ وجل القبلة .
وفي رواية أخرى بنفس السند : قال : صلاتك ها هنا يعني إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا وانحرافك ها هنا .

(٢) نص التأويل الذي عناه وذكره : وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنت عليها وتوليتناك عنها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت تحويلتنا إياك عنها وتوليتناك ﴿ لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

(٣) الطبري أثر (٢٢١٧) .

فثبَّت الله جل ثناؤه ذلك في قلوبهم ، وقرأ قول الله : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : صلاتكم حتى يهديكم إلى القبلة ، والله أعلم .

***

س : الله عز وجل يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما كان وما سيكون ، وهو سبحانه يعلم من سيتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكيف يوجَّه قوله تعالى في الآية الكريمة : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله تعالى نحو هذا السؤال في تفسيره ثم أجاب عليه فقال رحمه الله تعالى في سؤاله والجواب عليه ما نصه :

قال : فإن قال لنا قائل : أو ما كان الله عالمًا بمن يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، إلَّا بعد اتباع المتَّبع ، وانقلاب المنقلب على عقبيه ، حتى قال : ما فعلنا الذي فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتَّبعَ رسول الله ﷺ من المنقلب على عقبيه ؟

قيل : إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها ، وليس قوله : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتِّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ ، بخبر (عن) أنه لم يعلم ذلك إلَّا بعد وجوده .

فإن قال : فما معنى ذلك ؟

قيل له : أما معناه عندنا ، فإنه : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلَّا ليعلم رسولي وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، ومعناه ليعلم رسولي وأوليائي . إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه ، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع

الرئيس ، إلى الرئيس وما فعل بهم إليه ، نحو قولهم : (فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبى خراجها) ، وإنما فعل ذلك أصحابه ، عن سببٍ كان منه في ذلك ، وكالذي روي في نظيره عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله جل ثناؤه : مرضت فلم يعدني عبدي ، واستقرضته فلم يقرضني ، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني »[1] .

حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : استقرضت عبدي فلم يقرضني ، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني ! يقول : وا دهراه ! وأنا الدهر ، أنا الدهر »[2] .

حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه .

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه ، وقد كان ذلك بغيره ، إذا كان ذلك عن سببه .

وقد حكي عن العرب سماعًا : (أجوع في غير بطني ، وأعرى في غير ظهري) ، بمعنى : جوع أهله وعياله وعُرْيَ ظهورهم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال : يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي » .

(٢) إسناده حسن .

فكذلك قوله : ﴿ إلَّا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، بمعنى : يعلم أوليائي وحزبي .

وأورد الطبري رحمه الله أوجهًا أخر فقال :

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك ، من أجل أن العرب تضع (العلم) مكان (الرؤية) و(الرؤية) مكان (العلم) ، كما قال جل ذكره : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ [الفيل : ١] ، فزعم أن معنى ﴿ ألم تر ﴾ : ألم تعلم ؟ وزعم أن معنى قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، بمعنى : إلا لنرى من يتبع الرسول . وزعم أن قول القائل : (رأيت ، وعلمت ، وشهدت) ، حروف تتعاقب ، فيوضع بعضها موضع بعض ، كما قال جرير بن عطية :

كأنك لم تشهد لقيطًا وحاجبًا   وعمرو بن عمرو إذ دعا يالدارم

بمعنى : كأنك لم تعلم لقيطًا ، لأن بين هلك لقيط وحاجب وزمان جرير ، ما لا يخفى بعده من المدة . وذلك أن الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية ، وجرير كان بعد برهة مضت من مجيء الإسلام .

قال أبو جعفر : وهذا تأويل بعيد . من أجل أن (الرؤية) ، وإن استعملت في موضع (العلم) ، من أجل أنه مستحيل أن يرى أحدٌ شيئًا فلا توجب رؤيته إياه علمًا بأنه قد رآه ، إذا كان صحيح الفطرة . فجاز من الوجه الذي أثبته رؤيةً ، أن يضاف إليه إثباته إياه علمًا ، وصح أن يدل بذكر (الرؤية) على معنى (العلم) من أجل ذلك فليس ذلك ، وإن كان (جائزًا) في الرؤية – لما وصفنا – بجائز في العلم ، فيدل بذكر الخبر عن (العلم) على (الرؤية) . لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ، ويستحيل أن يرى شيئًا إلا علمه ، كما قد قدمنا البيان (عنه) مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال : (علمت كذا) ، بمعنى رأيته .

وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ من الكلام ، إلى ما كان موجودًا مثله في كلام العرب ، دون ما لم يكن موجودًا في كلامها . فموجود في كلامها (رأيت) بمعنى : علمت ، وغير موجود في كلامها (علمت) بمعنى : رأيت ، فيجوز توجيه : ﴿ إلا لنعلم ﴾ إلى معنى : إلا لنرى .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إلَّا لنعلم ﴾ ، من أجل أن المنافقين واليهود وأهل الكفر بالله ، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه . وقالوا - إذ قيل لهم : إن قومًا من أهل القبلة سيرتدون على أعقابهم ، إذا حولت قبلة محمد ﷺ إلى الكعبة - : ذلك غير كائن ! أو قالوا : ذلك باطل ! فلما فعل الله ذلك ، وحول القبلة ، وكفر من أجل ذلك من كفر ، قال الله جل ثناؤه : ما فعلت إلا لنعلم ما علمه غيركم - أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من الأشياء قبل كونه - : أني عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد .

فكأن معنى قائلي هذا القول في تأويل قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ : إلا لنبين لكم أنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وهذا وإن كان وجهًا له مخرج ، فبعيدٌ من المفهوم .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال ، على وجه الترفق بعباده واستمالتهم إلى طاعته ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] ، وقد عُلم أنه على هدى ، وأنهم على ضلال مبين . ولكنه رفق بهم في الخطاب ، فلم يقل : إنا على هدى وأنتم على ضلال . فكذلك قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، معناه عندهم : إلَّا لتعلموا أنتم ، إذ كنتم جهالًا به قبل أن يكون . فأضاف العلم إلى نفسه ، رفقًا بخطابهم .

وقد بيَّنا القول الذي هو أولى في ذلك بالحق .

وقال الزجاج في معاني القرآن :

وقوله عز وجل : ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] إن قال قائل : ما معنى ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن على عقبيه ﴾ ، والله عز وجل – قد علم ما يكون قبل كونه ، فالجواب في ذلك أن الله يعلم من يتبع الرسول مِمَّن لا يتبعه من قبل وقوعه ، وذلك العلم لا تجب به مجازاة في ثواب ولا عقاب ولكن المعنى ليعلم ذلك منهم شهادة فيقع عليهم بذلك العلم اسم مطيعين واسم عاصين ، فيجب ثوابهم على قدر عملهم ، ويكون معلوم ما في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة – كما قال عز وجل : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ [التغابن : ١٨] فعلمه به قبل وقوعه علم غيب ، وعلمه به في حال وقوعه شهادة وكل ما علمه الله شهادة فقد كان معلومًا عنده غيبًا ، لأنه يعلمه قبل كونه ، وهذا يبين كل ما في القرآن مثله نحو قوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان :

قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] الآية . ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون . وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا : ﴿ وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، فقوله : ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ بعد قوله :

﴿ ليبتلي ﴾ [آل عمران : ١٥٤] دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار ، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التى يذكر الله فيها اختباره لخلقه . ومعنى ﴿ إلا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك ، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس . أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى .

***

س : ترد بعض أوامر الله عز وجل لاختبار المؤمنين وتمييز المؤمن من المنافق كهذه الآية : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] اذكر آيات أخرى مشابهة لها يتميز بها المؤمن عن المنافق ؟

ج : من هذه الآيات ما ذكره الله عز وجل عن شجرة الزَّقوم التي تطلع في أصل الجحيم ، كما قال تعالى : ﴿ أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجـرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ [الصافات : ٦٢ - ٦٤] ، فهذه الشجرة فتنة للظالمين ، إذ قالوا : كيف تنبت شجرة في أصل الجحيم ومن المعلوم أن النار تأكل الخشب؟ ! ، فجهلوا أن الله على كل شيء قدير .

● وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [الإسراء : ٦٠] وذلك في شأن الإسراء .

● وقوله تعالى في عدد أصحاب النار : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا - إلى قوله تعالى - : وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء .. ﴾ [المدثر : ٣١] .

فقال أهل الكفر والنفاق : إذا كان عدد خزنة جهنم تسعة عشر فنحن قادرون على سحقهم وإخماد النار واحتلال الجنة بالقوة .

● وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

* * *

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : أخرج البخاري[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت ، وأنه صلى - أو صلاها - صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] إشارة إلى أن الأعمال من الإيمان وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن جمهور المفسرين فسروا الإيمان في قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أي : صلاتكم ، والصلاة عمل ، فعلى ذلك فالإيمان

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٦) .

يدخل فيه العمل أيضًا ، وهذا هو قول جمهور أهل السنة والجماعة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ذكرتم أن سبب نزول الآية الكريمة هو إشفاق المؤمنين على إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس قبل أن تحوَّل القبلة إلى الكعبة فلماذا عبر بقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ولم يعبر بقوله : (إيمانهم) ؟

ج : ذلك لأن المؤمنين كالجسد الواحد كما قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] ولم يقل بإخوانهم .

وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ولم يقل ولا تلمزوا إخوانكم ، وكما قال سبحانه : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] .

● وأورد الطبري رحمه الله تعالى جوابًا آخر فقال : (وقد طرح سؤالًا مشابهًا)[1] :

قيل : إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك فإنهم أيضًا قد كانوا مشفقين من حبوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة وظنوا أن عملهم ذلك قد بطل وذهب ضياعًا ، فأنزل الله جل ثناؤه حينئذٍ فوجه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم ، لأن من شأن العرب

---

(١) قال الطبري في هذا السؤال : فإن قال قائل : وكيف قال الله جل ثناؤه : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين ، والقوم المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس ، وفي ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية .

إذا اجتمع في الخبر المخاطبُ والغائب أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب في الخطاب فيقولوا لرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر (فعلنا بكما وصنعنا بكما) كهيئة خطابهما لهما وهما حاضران ، ولا يستجيزون أن يقولوا : (فعلنا بهما) وهم يخاطبون أحدهما فيردوا المخاطب إلى عداد الغيب[1] .

❋ ❋ ❋

س : في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] دليل على العمل بخبر الآحاد وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن المسلمين لما أُخبروا وهم في صلاتهم بتحويل القبلة استداروا وهم في صلاتهم والذي أخبرهم كان واحدًا فخبره خبر آحاد بلا شك .

قال القرطبي رحمه الله : وفيه دليل على قبول خبر الواحد ، وهو مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عادة النبي ﷺ في توجيهه ولاته ورسله آحادًا للآفاق ليعلِّموا الناس دينهم فيبلِّغوهم سنة رسولهم ﷺ من الأوامر والنواهي .

❋ ❋ ❋

س : هل ثبت أن أحدًا من الصحابة ارتد بعد تحويل القبلة ؟

ج : قال بذلك بعض أهل العلم ، ولكني لم أقف على سند صحيح يفيد ذلك ، والله تعالى أعلم[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) الغيب جمع غائب ، مثل خادم وخدم .

(٢) وقد ورد ذلك بإسناد معضل عن ابن جريج عند الطبري (٢٢٠٥) .

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : وإنما أراد جلَّ ثناؤه بذلك أن الله عز وجل أرحمُ بعباده من أن يضيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها ، وأرأف بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم ، أي : ولا تأسوا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصَلون إلى بيت المقدس فإني لهم على طاعتهم إياي بصلاتهم التي صلوها كذلك مثيبٌ لأني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملًا عملوه لي ، ولا تحزنوا عليهم فإني غير مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة لأني لم أكن فرضت ذلك عليهم ، وأنا أرأف بخلقي من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم بعمله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في سعة رحمة الله عز وجلَّ ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ على النبي ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ » قلنا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها »(١) .

● ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة في مائة جزء

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٩) ، ومسلم (٢٧٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٠٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٢) .

فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

● ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي »[1] .

● ومنها ما في الصحيح كذلك من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« ليصيبن أقوامًا سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يُقال لهم الجهنميون »[2] .

● ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[3] عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي . وأنا معه حيث يذكرني . والله ! لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة . ومن تقرب إلي شبرًا ، تقربت إليه ذراعًا . ومن تقرب إلي ذراعًا ، تقربت إليه باعًا . وإذا أقبل إلي يمشي ، أقبلت إليه أهرول » .

وفي رواية عنده[4] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها » .

وأخرج مسلم[5] من طريق الحارث بن سويد قال :
دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض . فحدثنا بحديثين : حديثًا عن

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم حديث (٢٧٥١) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٥٠) .
(٣) مسلم حديث (٢٦٧٥) .
(٤) هي عند مسلم أيضًا (ص٢١٠٢) .
(٥) مسلم حديث (٢٧٤٤) .

نفسه وحديثًا عن رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن ، من رجل في أرض دويةٍ[1] مهلكة[2] معه راحلته . عليها طعامه وشرابه . فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش . ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه . فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت . فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه . فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » .

● وأخرج مسلم[3] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته . تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعامٌ ولا شرابٌ . وعليها له طعام وشراب . فطلبها حتى شق عليه ، ثم مرت بجذل شجرةٍ[4] فتعلق زمامها . فوجدها متعلقة به ؟ » قلنا : شديدًا[5] . يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : « أَما ، والله ! لله أشد فرحًا بتوبة عبده ، من الرجل براحلته » .

● ومن هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك[6]

---

(١) قال النووي رحمه الله : (دوية) اتفق العلماء على أنها بفتح الدال وتشديد الواو والياء جميعًا . وذكر مسلم ، في الرواية التي بعد هذه ، رواية أبي بكر بن أبي شيبة : أرض داوية ، بزيادة ألف ، وهي بتشديد الياء أيضًا . وكلاهما صحيح . قال أهل اللغة : الدوِّية الأرض القفر والفلاة الخالية . قال الخليل : هي المفازة . قالوا : ويقال دوِّية وداوية . فأما الدوِّية فمنسوبة إلى الدوِّ ، بتشديد الواو ، وهي البرية التي لا نبات بها . وأما الداوية فهي على إبدال إحدى الواوين ألفًا . كما قيل في النسب إلى طيء طائيٌّ .

(٢) (مهلكة) موضع خوف الهلاك ، بفتح اللام وكسرها ، ويقال لها مفازة . قيل : إنه من قولهم فوَّز الرجل ، إذا هلك ، وقيل : هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها ، كما يقال للديغ : سليم .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٦) .

(٤) جذل شجرة أي : أصل شجرة .

(٥) أي : نراه يفرح فرحًا شديدًا .

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) .

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده ، حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه . وعليها طعامه وشرابه . فأَيس منها فأتى شجرة . فاضطجع في ظلها . قد أَيس من راحلته . فبينا هو كذلك إذا هو بها ، قائمة عنده . فأخذ بخطامها . ثمَّ قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح » .

● وأخرج مسلم من حديث أبي أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة : كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم » .

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا ثم خرج يسأَل فأَتى راهبًا فسأله فقال له : هل من توبةٍ ؟ قال : لا ، فقتله فجعل يسأل فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فَنَاءَ[2] بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي ، وقال : قيسوا ، فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٦) .

(٢) ناء بمعنى : بَعُدَ .

(٣) وله لفظ أطول عند مسلم وهو أن نبي الله ﷺ قال : « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلِق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى =

وأخرج البخاري[1] من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله : إذا أنا مت فخذوني فذرُّوني في البحر في يومٍ صائفٍ[2] ففعلوا فجمعَه الله ثم قال : ما حملكَ على الذي صنَعت ؟ قال : ما حملني عليه إلا مخافتُك فغَفَر له » .

ونحوه في الصحيحين[3] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ :

أنه ذكر رجلًا فيمن سلف – أو فيمن كان قبلكم – قال كلمةً يعني أعطاه الله مالًا وولدًا فلما حضرت الوفاةُ قال لبنيه : أيَّ أبٍ كنُت لكم ؟ قالوا : خيرَ أب قال فإنه لم يَبْتَئِر[4] – أو لم يبتئز – عند الله خيرًا ، وإن يقدر الله عليه يعذِّبُهُ فانظُروا إذا متُّ فأَحْرِقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقُوني – أو قال : فاسحكوني – فإذا كان يومُ ريح عاصفٍ فأَذْروني فيها فقال نبيُّ الله ﷺ : « فأخذ مواثيقَهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل : كن فإذا هو رجل قائم قال الله : أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك – أو فرق منك – قال : فما تلافاه[5] أن رحمه عندها » .

= إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة » .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٨٠) ، والنسائي (١١٣/٤) .

(٢) في بعض الروايات : « في يوم حار » ، وفي بعضها : « في يوم رائح » (أي : شديد الريح) وفي بعضها :« في يومٍ عاصف » .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٧) .

(٤) أي : لم يدخر (كما هو مفسر في بعض الروايات) .

(٥) أي : فما تداركه غيرها .

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

سمعت النبي ﷺ قال : « إن عبدًا أصاب ذنبًا - وربما قال : أذنب ذنبًا - فقال : ربِّ أذنبتُ ذنبًا - وربما قال : أصبت - فاغفر فقال ربُّه : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذنب ويأخذ به[2]؟ غفرت لعبدي . ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا - فقال : رب أذنبتُ - أو أصبتُ - آخر فاغفره فقال : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذَّنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا - وربما قال : أصاب ذنبًا - فقال : رب أصبت - أو أذنبت - آخر فاغفره لي فقال : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي - ثلاثًا - فليعمل ما شاء »[3] .

✵ ✵ ✵

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٧) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٨) .

(٢) يأخذ به أي : يُعاقب به .

(٣) قلت : وليس هذا فيمن يجاهر ربَّه بالمعاصي ويقول سيغفر لي ، بل هذا في حق التائب الوَجِل الخائف من ربه عزَّ وجل ، والله أعلم .

قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تقلُّب - في السماء - فلنولينك - ترضاها - فولِّ وجهك - شطر - حيثما كنتم

ج :

الكلمة	معناها
تقلُّب	تحوُّل
في السماء	نحو السماء - اتجاه السماء
فلنولينك	فلنصرفنك - فلنوجِّهنك
ترضاها	تحبها - تهواها[1]

(١) أخرج الطبري (٢٢٣١) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ [البقرة : ١٤٤] فكان نبي الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس يهوى ويشتهي القبلة نحو البيت فوجَّهه الله جل ثناؤه لقبلة كان يهواها ويحبها .

الكلمـــة	معناهـــا
فولِّ وجهك	اتجه بوجهك – اصرف بصرك وحوِّله .
شطر	ناحية[1] – تلقاء
حيثما كنتم	أينما كنتم

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٤٦) أنه قال : (شطره) ناحيته ، جانبه قال : وجوانبه (شُطوره) .

قلت : والشطر يطلق على النصف ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « الطهور شطر الإيمان » لكنه ليس المراد هنا .

قال القرطبي رحمه الله : ويكون من الأضداد يُقال : شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه ، وشطر عن كذا إذا أُبعد منه وأعرض عنه ، فأمَّا الشاطر من الرجال فلأنه قد أخذ في نحوٍ غير الاستواء، ، وهو الذي أعيى أهله خُبثًا .

س : ماذا يُراد بـ ﴿ قد ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن قد هنا تفيد التحقيق ، وبعضهم يرى أنها بمعنى : ربما لكنها هنا للتكثير ، وبعض النحاة يقول : إن (قد) تدخل على المضارع فتجعله بمعنى الماضي كقوله تعالى : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ [النور : ٦٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ [الحجر : ٩٧] ، وكقوله تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ [الأحزاب : ١٨] ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا كان رسول الله ﷺ يرجو تحويل القبلة ؟ ولماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء ؟

ج : التمس بعض العلماء لرغبة رسول الله ﷺ في التحول إلى الكعبة أسبابًا منها :

- مخالفة أهل الكتاب[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٢٢٣٥) إلى ابن زيد قال : قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] قال : فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتًا من بيوت الله - لبيت المقدس - لو أنا استقبلناه فاستقبله النبي ﷺ ستة عشر شهرًا فبلغه أن يهود تقول ، والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ، فكره ذلك النبي ﷺ ورفع وجهه إلى السماء فقال الله جل ثناؤه : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] . =

• ومنها كون الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام .

• أمَّا لماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء فلأن رسول الله ﷺ كان يرغب في نزول الوحي بالتحويل من بيت المقدس إلى الكعبة ، وقال بعض العلماء : إن تقليبه وجهه – عليه السلام – بمعنى الدعاء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلُّب وجهك في السماء ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري[1] في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا

= قلت : وهذا صحيح إلى ابن زيد ، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولم يدرك رسول الله ﷺ قطعًا ، ونحن ما أتينا بهذا الخبر من ناحية أنه مسند إلى رسول الله ﷺ أو من ناحية أنه سبب نزول ولكن أتيت به من ناحية أنه تفسيرٌ لابن زيد للآية الكريمة ، وهذا وجه قد يتداخل على بعض إخواننا فيرى أن الأثر مرسلًا أو معضلًا فيُضرب عنه الذكر صفحًا قولًا واحدًا، ولكن الأمر في هذا المقام – نراه والله أعلم – على غير ما ظن أخونا إنما الأمر حاصله أن ابن زيد رحمه الله تعالى مفسرٌ فسر الآية بما أفاده به ظاهرها وبما تراءى له من معانيها ، كما يُفسر الطبريُّ آيةً مثلًا ، وكما يفسر القرطبي أو ابن كثير أو غيرهما آية مثلًا وينسب شيئًا في تأويله لها إلى زمن رسول الله ﷺ ، فهذا قد يقبل منه في بعض الأحيان إذا كان ظاهر الآية الكريمة يفيده أو عموم سنة رسول الله ﷺ يؤيده مع عدم القطع بصحة نسبة ما ذكره إلى رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦) .

أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى – أو صلاها – صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَلَ البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قِبَل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة ؟

ج : لا يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة ؛ والنصوص الواردة في المنع تدل على التحريم ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال[1] : قال رسول الله ﷺ : « لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم » .

● وأخرج مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم »[2] .

❋ ❋ ❋

س : إلى أين ينظر المصلي في صلاته ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن المصلي ينظر إلى الأمام لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٨) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ولأن النبي ﷺ كان يصلي صلاةً ثم قال :« عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم في الخير والشر ... » الحديث[1] قالوا : فدل ذلك على أن النبي ﷺ كان ينظر إلى الأمام في الصلاة .

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى النظر إلى موضع السجود؛ لورود بعض الآثار في ذلك ، والله أعلم .

***

س : ما المراد بالوجه في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : المراد بوجهك هنا : عينيك .

وبعض أهل العلم يقولون : إنما قال الله عز وجل : ﴿ وجهك ﴾ ولم يقل عينيك أو بصرك لزيادة اهتمامه ، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر ، والله أعلم .

***

س : ما هي القبلة المرادة في قوله تعالى : ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : هذه القبلة هي المسجد الحرام لقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، وتقدم في حديث البراء أيضًا ما يفيد ذلك ، وفيه أن الرجل قال : ... أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٤٠) ، ومسلم (حديث ٢٣٥٩ ص١٨٣٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

س : هل المراد من قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] استقبال عين الكعبة أم المراد المواجهة فقط ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم في هذا الباب إلى الآتي :

أولًا : إذا كان المصلي يرى الكعبة ففرض عليه استقبال عين الكعبة .

ثانيًا : إذا كان المصلي لا يرى الكعبة ، فالذي عليه الأكثرون أن الغرض والمطلوب هو المواجهة ، والله تعالى أعلم .

ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الباب :

● قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندي ما قال الله جل ثناؤه : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] فالمولي وجهه شطر المسجد الحرام هو المصيب للقبلة ، وإنما على من توجِّه إليه النيةُ بقلبه أنه إليه متوجِّه كما أن على من ائتم بإمام فإنما عليه الائتمام به ، وإن لم يكن محاذيًا بدنُه بدنَه وإن كان في طَرف الصف والإمام في طرف آخر عن يمينه أو عن يساره بعد أن يكون من خلفه مؤتمًا به مصليًا إلى الوجه الذي يُصلِّي إليه الإمام فكذلك حكم القبلة وإن لم يكن يحاذيها كل مصلٍّ ومتوجه إليها ببدنه غير أنه متوجِّه إليه فإن كان عن يمينها أو عن يسارها مقابلها فهو مستقبلها بَعُدَ ما بينه وبينها أو قَرُب من عن يمينها أو عن يسارها بعد أن يكون غير مستدبرها ولا منحرف عنها ببدنه ووجهه .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة في كل أفق ، وأجمعوا على أن من شاهدها وعاينها فُرِض عليه استقبالها ، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كلِّ ما صلى ذكره أبو عمر ، وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها ، فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك

مما يمكن أن يُستدل به على ناحيتها .

● وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : وقد اختلف العلماء هل فَرْضُ الغائب عن الكعبة استقبال العين ، أو استقبال الجهة ؟ فمنهم من قال : فرضه استقبال العين ، وهذا ضعيف لأنه تكليف لما لا يصلُ إليه ، ومنهم من قال الجهة ، وهو الصحيح لثلاثة أمور :

أحدها : أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف .

الثاني : أنه المأمور به في القرآن إذ قال : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] فلا يلتفت إلى غير ذلك .

الثالث : أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يُعلم قطعًا أنه أضعاف عرض البيت : ويجب أن يعوَّل على ما تقدم ، فإن الصف الطويل إذا بَعُد عن البيت أو طال وعرض أضعافًا مضاعفة لكان ممكنًا أن يقابل جميع البيت .

● أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فنقل عن بعض أهل العلم قولهم : إن الغرض إصابة عين الكعبة ، قال : والقول الآخر وعليه الأكثرون أن المراد المواجهة .

● وقال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل) : والتعبير عن الكعبة بالمسجد الحرام إشارة إلى أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز في وقت من الأوقات الصلاة إلى غير القبلة ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع

جهات الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فإنه يصليها حيث توجَّه قالبه وقلبه نحو الكعبة ، وكذا في حال المسايفة في القتال يصلي على كل حال ، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده وإن كان مخطئًا في نفس الأمر لأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها .

***

س : كيف علم اليهود والنصارى أن التوجه إلى الكعبة حق ؟

ج : قد يكون ذلك في كتبهم وجحدوه عن علم .

لكنهم يقينًا يعلمون من كتبهم أن محمدًا نبي الله حقًّا ، وأنه لا يقول إلا صدقًا ولا يفعل إلا ما أُمر به فما قاله وفعله حق ، فلما تحوَّل النبي ﷺ إلى الكعبة وهم يعلمون إجمالًا أن أفعاله حق ، كانوا يعلمون إذن أن تحوُّلَه حق .

● ويعلمون أيضًا من دينهم جواز النسخ وإن كانوا يُكابرون في ذلك ، والله أعلم .

***

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ إنه الحق من ربهم ﴾ [البقرة : ١٤٤] يرجع إلى ماذا ؟

ج : رأى كثير من أهل العلم أنه يرجع إلى التوجه والتحول إلى المسجد الحرام ، فأهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام هو الحق الذي فرض الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عباده من بعده .

● وقيل : إنه يرجع إلى القرآن ، فالقرآن بما فيه من أمر المسلمين بالتحول إلى المسجد الحرام يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم .

• وقيل : يرجع إلى محمد ﷺ ، فأهل الكتاب يعلمون أن محمدًا ﷺ نبي الله حقًّا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الآيات لا تنفع إلا من هداه الله اذكر عددًا من الأدلة يؤيد هذا المعنى ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

• قول الله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

• وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] .

• وقوله تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٩٧] .

• وقوله تعالى : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قومٍ لا يؤمنون ﴾ [يونس : ١٠١] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالآية في قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : المراد – والله أعلم – المعجزة أو العلامة الدالة على صدق حديثك .

❋ ❋ ❋

س : ما هي قبلة أهل الكتاب المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : قبلة اليهود هي الصخرة الموجودة ببيت المقدس ، وقبلة النصارى هي المشرق .

قال ابن القيم رحمه الله : (بدائع الفوائد)(١) : قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله بل بمشورة واجتهاد منهم ، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال المشرق ، وهم يُقرون بأن قبلة المسيح قبلة بني إسرائيل وهي الصخرة ، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة ، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا ، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر ، وأما اليهود فليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة ، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا ، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا عليه ، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة .

❋ ❋ ❋

س : ماذا يُفيد قوله تعالى : ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : يفيد أمورًا منها :

١ – بيان شدة اتباع رسول الله ﷺ لأمر الله عز وجل .

٢ – يقطع أطماع اليهود والنصارى في رجوع رسول الله ﷺ إلى قبلتهم .

٣ – فيه إشارة إلى أن الأمر بالاتجاه إلى الكعبة لن ينسخ ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ونقلته للسرعة من فتح البيان .

س : ما المراد بالعلم في قوله تعالى : ﴿من بعد ما جاءك من العلم ..﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أن المراد بالعلم هنا : العلم بأن ما أنت عليه في أمر القبلة حق ، وأن أهل الكتاب كَذَبَةٌ مفترون في هذا الباب .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : ويعني بقوله : ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ [البقرة : ١٤٥] من بعد ما وصل إليك من العلم بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل وعلى عناد منهم للحق ومعرفة منهم أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة التي فرضت على أبيك إبراهيم عليه السلام وسائر ولده من بعده من الرسل التوجُّه نحوها ﴿إنك إذا لمن الظالمين﴾ [البقرة :١٤٥] يعني : إنك إذا فعلت ذلك من عبادي الظلمة أنفسهم المخالفين أمري والتاركين طاعتي وأحدُهم وفي عدادهم . والله أعلم .

* * *

س : ما فائدة إخبار الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية مّا تبعوا قبلتك ...﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟ وضح أيضًا معنى هذه الآية ؟

ج : فائدة ذلك ، والله أعلم إراحة قلب النبي ﷺ وإبعاد الشغل والفكر في هؤلاء عنه أي : لا تشتغل بهم ولا تفكر فيهم .

أما معنى الآية الكريمة فقال الطبري رحمه الله :

وإنما يعني جل ثناؤه بذلك : أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يا محمد لا تُشعر نفسك رضا هؤلاء اليهود والنصارى فإنه أمر لا سبيل إليه لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم من أجل أنك إن

اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود ، فدع ما لا سبيل إليه وادعهم إلى ما لهم السبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة ، وقبلتك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أهل الكتاب من آمن واتبع قبلة رسول الله ﷺ ، فكيف توجِّه قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : توجيهه أن يقال : إن المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] أنهم الذين كُتب عليهم عند الله سبحانه وتعالى أنهم سيموتون على الكفر .

وقد قدمنا نظيره في أوائل سورة البقرة ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : أفادت الآية الكريمة : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ... ﴾ [البقرة : ١٤٥] أن توجه الوعيد للعلماء أشد من غيرهم ، وضح ذلك ، واذكر أدلة أخرى في هذا الباب ؟

ج : إيضاحه من قول الله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

أما الأدلة على ذلك فكثيرة ، منها :

● قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

• وقوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ... ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

• وحديث رسول الله ﷺ الذي فيه : « يؤتى بالرجل فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه .. » الحديث ، وفيه أنه يقول : « كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه »[١] .

وحديث أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة[٢] ، ومنهم عالم تعلَّم العلم ليقال : هو عالم .

---

(١) أخرج البخاري (حديث رقم ٣٢٦٧) ، ومسلم (حديث ٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت . ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت . ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالمٌ . وقرأْت القرآن ليقال : هو قارىء . فقد قيل . ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال كله . فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال : هو جواد . فقد قيل . ثمَّ أمر به فسحب على وجهه . ثم أُلقي في النار .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

الممترين – وجهة – موليها – استبقوا الخيرات .

ج :

الكلمـة	معناهـا
الممترين	الشاكّين[1]
وجهة	قبلة – ناحية
مُوليها	مُول وجهه إليها ومستقبلها
استبقوا الخيرات	بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الأعمال الصالحة .

❋ ❋ ❋

(١) أي : الشاكّين في أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة الحق ، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٢٢٧٣) : ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ [آل عمران : ٦٠] قال : من الشاكين قال : لا تشكن في ذلك .

س : من هم الذين آتاهم الله الكتاب المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : أنهم أحبار اليهود وعلماء النصارى ، والعلم عند الله .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ يعرفونه ﴾ [البقرة : ١٤٦] يرجع إلى من ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إنه يرجع إلى النبي ﷺ ، والمعنى : أن الذين آتاهم الله الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم وفي هذا يقول الله سبحانه : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقال سبحانه : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من ربهم ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .. ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● **وقال فريق آخر من العلماء : إنه يرجع إلى البيت (أو القبلة)** والمعنى : أن الأحبار من اليهود والعلماء من النصارى يعلمون أن البيت الحرام هو قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبله[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٢٥٩) قال : قوله : ﴿ الذين آتيناهم =

س : ما المراد في قوله تعالى : ﴿ ليكتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالحق هو صفة محمد ﷺ[1] .

وقال آخرون : إن المراد بالحق الحق في أمر القبلة[2] .

وقال غيرهم : المراد أنهم يكتمون الحق بصفة عامة ، فقد كتموا الحق في شأن محمد ﷺ وكتموا الحق في أمر القبلة ، وكتموا الحق في حكم الزاني ، إلى غير ذلك من أنواع الحق الذي كتموه .

❋ ❋ ❋

س : هل كان النبي ﷺ شاكًّا في أمر القبلة حتى قيل له : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ ؟

= الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] يقول : يعرفون أن البيت الحرام هو القبلة .

● وأخرج الطبري أيضًا (٢٢٦٤) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] قال : اليهود يعرفون أنها هي القبلة مكة .

(١) أخرج الطبري (٢٢٦٩) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] فكتموا محمدًا ﷺ .

(٢) قال الطبري رحمه الله : قوله : ﴿ ليكتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] وذلك الحق هو القبلة التي وجه الله عز وجل إليها نبيه محمدًا ﷺ ، يقول فول وجهك شطر المسجد الحرام التي كانت الأنبياء من قبل محمد ﷺ يتوجهون إليها فكتمها اليهود والنصارى ، فوجه بعضهم شرقًا ، وبعضهم بيت المقدس ورفضوا ما أمرهم الله به وكتموا مع ذلك أمر محمد ﷺ وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل فأطلع الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ وأمته على خيانتهم الله تبارك وتعالى وخيانتهم عباده وكتمانهم ذلك ، وأخبر أنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علمٍ منهم بأن الحق غيره ، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافه فقال : ﴿ ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] أن ليس لهم كتمانه فيتعمدون معصية الله تبارك وتعالى .

ج : لم يكن النبي ﷺ شاكًا في أمر القبلة ، ولكن المخاطب هو رسول الله ﷺ والمراد أمته ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله : فإن قال لنا قائل : أو كان النبي ﷺ شاكًا في أن الحق من ربه أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره حتى نهي عن الشك في ذلك ، فقيل له : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ [البقرة : ١٤٧] ؟

قيل : ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به ، والمراد به غيره ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ [الأحزاب : ١] ثم قال : ﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢] فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي ﷺ والنهي له ، والمراد به أصحابه المؤمنون به ، وقد بينا نظير ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

* * *

س : التنوين في قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ ... ﴾ [البقرة : ١٤٨] يشير إلى محذوف فما هو هذا المحذوف ؟

ج : هذا المحذوف هو (أهل ملة أو أهل دين) فمعنى قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : لكل أهل دين ولكل أهل ملة قبلة يتجهون إليها ، فلليهودي قبلة يتجه إليها وللنصراني قبلة يتجه إليها[1] وقبلتكم أنتم أيها المؤمنون هي القبلة الحق ، والله أعلم .

● وقال بعض العلماء : إن المعنى : ولكلٍّ وجهةٍ من الوجهات التي

---

(١) وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٧٧) أنه قال : لليهود قبلة وللنصارى قبلة ، ولكم قبلة – يريد المسلمين .

وجهك إليها ربك الله عز وجل موليها عبادة ، وقال بعضهم : ولكل قبلة من القبلتين اللتين توجهت إليهما وجهة ، والأول عليه الأكثر ، والله تعالى أعلم .

***

س : من المعني بـ (هو) في قوله تعالى : ﴿ هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يرجع إلى صاحب الملة أو الدين ، والمعنى : ولكل صاحب دينٍ أو ملة قبلة هو متجه إليها .

والثاني : أنه يرجع إلى الله تعالى ، والمعنى : ولكلٍّ وجهةٌ الله عز وجل موليه إياها .

والثالث : أنه يرجع إلى البيت (أي : الكعبة) والمراد أن كل قوم أُمروا أن يتجهوا إلى الكعبة وهذا ضعيف ؛ لأن النبي صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا على ما تقدم . والله أعلم .

***

س : عقب قوله تعالى : ﴿ هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] محذوف (على رأي بعض أهل العلم) ما هو هذا المحذوف ؟

ج : هذا المحذوف هو (وجهة) فالمعنى ولكلٍّ وجهة هو موليها وجهة ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : من الآيات في معناها قوله تعالى : ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكًا هم ناسكوه ﴾ [الحج : ٦٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكلته ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

* * *

س : على المسلم إذا اتضح له الحق أن يبادر إليه ويحرص عليه ويسرع في الامتثال له والتمسك به ، دلل على ذلك من الآية الكريمة ؟

ج : بيان ذلك أن الله عز وجل لما بين للمؤمنين الصواب من أمر القبلة وأكد لهم على أنها القبلة الحق حثهم على المسارعة إلى الاتباع بقوله : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : بادروا وسارعوا إلى فعل الطاعات ، كما قال الطبري رحمه الله : وإنما يعني بقوله : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : قد بينت لكم أيها المؤمنون الحق وهديتكم للقبلة التي ضلت عنها اليهود والنصارى وسائر أهل الملل غيركم فبادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم وتزودوا في دنياكم لآخرتكم فإني قد بينت لكم سبل النجاة فلا عذر لكم في التفريط وحافظوا على قبلتكم فلا تضيعوها كما ضيعتها الأمم قبلكم فتضلوا كما ضلت .

* * *

س : اذكر حديثًا في معنى قوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : أخرج البخاري[1] ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٥٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٧) .

عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر رجلًا فيمن سلف – أو فيمن كان قبلكم – قال كلمة – يعني أعطاه : الله مالًا وولدًا – فلما حضرت الوفاة قال لبنيه : أي أبٍ كنت لكم ؟ قالوا : خير أبٍ قال : فإنه لم يبتئر – أو لم يبتئز – عند الله خيرًا وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني ، أو قال : فاسحكوني – فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها فقال نبي الله ﷺ : « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّي ، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل : كن فإذا هو رجل قائم قال الله : أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فَرَقٌ منك » قال : « فما تلافاه أن رحمه عندها ».

● ونحوه في الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر ، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه به أحدًا قال : ففعلوا ذلك به فقال للأرض : أدِّي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك يا رب – أو قال : مخافتك – فغفر له بذلك[1] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٨١) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٦ ص٢١١٠) .

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

س : ما معنى : ومن حيث خرجت – حيثما ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
ومن حيث خرجت	من أي مكان خرجت إلى أي مكان توجهت ، والمعنى أيضًا : في أي مكان كنت
حيثمـا	أينمـا

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : أن التوجه شطر المسجد الحرام هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك في أنه من عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وأما قوله : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] فإنه يقول : فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم ، ولا بغافلٍ عنها ولكنه محصيها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة .

● **وقال الرازي رحمه الله :** أما قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] يعني ما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وبأنه قد اشتاق إلى مولده ودين آبائه فإن الله عالم بهذا فأنزل ما أبطله وكشف عن وهنه وضعفه .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : المراد بالناس في هذا الموطن – على رأي جمهور أهل العلم – أهل الكتاب ، وقد أخرج الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قوله : ﴿ لئلا يكون

---

(١) الطبري (٢٢٩٢) .

للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني : بذلك أهل الكتاب قالوا حين صرف نبي الله ﷺ إلى الكعبة البيت الحرام : اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه .

قلت : ومن الممكن أن يدخل فيها المشركون كذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى المسجد الحرام حتى لا يكون للناس حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه ، فما هي الحجة التي أُريد دفعها في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة .. ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : هذه الحجة هي مجادلة أهل الكتاب ومجادلة المشركين في شأن القبلة ، أما أهل الكتاب فوجه جدالهم يتمثل في قولهم : إن كنت يا محمد تزعم أننا على باطل فلماذا تتجه إلى قبلتنا في صلاتك[1] ، أليس اتجاهك إلى قبلتنا في صلاتك يؤكد أننا على الحق وأن قبلتنا هي الصواب ؟! فوجه الله نبيه

---

(١) قال الطبري رحمه الله : فإن قال قائل : فأية حجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس ، على رسول الله ﷺ وأصحابه ؟
قيل : قد ذكرنا فيما مضى ما روي في ذلك قيل : إنهم كانوا يقولون : ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ، وقولهم : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا ، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله ﷺ وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين .
وقد بينا فيما مضى أن معنى حجاج القوم إياه الذي ذكره الله تعالى في كتابه إنما هي الخصومات والجدال ، فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم وحسمه بتحويل قبلة نبيه ﷺ والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم عليه السلام ، وذلك وهو معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني بـ (الناس) : الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت .

ﷺ إلى الاتجاه إلى البيت الحرام لقطع هذه الحجة .

وتتمثل مجادلة أهل الكتاب أيضًا في أنهم يجدون في كتبهم أن هذا النبي ﷺ سيكون من أمره أن يصلي إلى الكعبة ، فلما لم يتجه رسول الله في صلاته إلى الكعبة يبقى في نفوسهم شك في صفته وصفة أفعاله فقطعًا لهذا الاحتجاج أمر الله نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام ، أما مجادلة أهل الشرك فتتمثل في قولهم : إن كنت يا محمد تزعم أنك أولى الناس بإبراهيم لكونك من ولده عليه السلام فلماذا تنحرف عن قبلته وتتجه إلى بيت المقدس ، فقطع الله عز وجل حجة المشركين هذه بأن أمر نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام ، لكن بقي لطوائف من الذين ظلموا نوع احتجاج سيرد في محله قريبًا إن شاء الله .

* * *

س : من المراد بالذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ مشركو قريش أو مشركو العرب بصفة عامة .

● فقد صح عن مجاهد[١] من وجوه أنه قال : هم مشركو قريش : (وفي رواية : مشركو العرب) .

● وروى الطبري ذلك بإسناد حسن[٢] عن قتادة أيضًا قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] والذين ظلموا مشركو قريش .

والذي يظهر أن المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] أعم من

---

(١) الطبري (٢٢٩٧) ، (٢٢٩٩) .

(٢) الطبري (٢٢٩٨) .

كونهم مشركي قريش ، فاليهود أيضًا كان لهم بعض الجدل بعد تحويل القبلة فقالوا : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] كما تقدم ، والله أعلم .

* * *

س : قطع الله حجة أهل الكتاب لما أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى الكعبة ، أما حجة المشركين فهل بقي منها شيء لم يقطع ؟ وما هو هذا الشيء في حالة كونه ما زال موجودًا ؟

ج : لأهل العلم في هذه المسألة قولان : فمنهم من قال : إن الحجج كلها قطعت لكن بقي الذين ظلموا ليس لهم حجة ولكنهم يجادلون بالباطل .

ومنهم من قال : إن الذين ظلموا : (وهم مشركو قريش) بقيت لهم حجة (إن استجيز أن يطلق على الباطل وعلى الشبهات حجة)[1] وهي متعلقهم بتوجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقالوا : ها هو قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا[2] ، فمن ثم قال تعالى للمؤمنين : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] فيما يلقون من شبهٍ على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

* * *

س : إذا أمر الله عز وجل الناس بأمرٍ ووجههم وجهةً فإن هذا الأمر

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ [الشورى : ١٦] .

(٢) أخرج الطبري (٢٣٠٣) بإسناد حسن إلى قتادة قال : قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، والذين ظلموا مشركو قريش يقول : إنهم سيحتجون عليكم بذلك ، فكانت حجتهم على نبي الله ﷺ - انصرافه إلى البيت الحرام - أنهم قالوا : سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك كله .

في حد ذاته حجة فكيف يكون للمشركين - بعد أمر الله عز وجل للمؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام - حجة على أهل الإيمان ؟

ج : هذا السؤال طرح نحوه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى فقال :

فإن قال قائل : وأية حجة كانت لمشركي قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه في توجههم في صلاتهم إلى الكعبة ، وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه حجة ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمتَ وذهبتَ إليه ، وإنما (الحجة) في هذا الموضع الخصومة والجدال ، ومعنى الكلام : لئلا يكون لأحدٍ من الناس عليكم خصومة ودعوى باطل غير مشركي قريش فإن لهم عليكم دعوى باطلًا وخصومة بغير حق بقيلهم لكم : (رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا) فذلك من قولهم وأمانيهم الباطلة هي (الحجة) التي كانت لقريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره : ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] من قريش من سائر الناس غيرهم إذ نفى أن يكون لأحدٍ منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة . ثم ذكر رحمه الله جملة آثار ثم قال : فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله : ﴿ إلَّا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، عن صحة ما قلنا في تأويله ، وأنه استثناءٌ على معنى الاستثناء المعروف ، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيًّا عما قبله . كما [هو] قول القائل : (ما سار من الناس أحدٌ إلا أخوك) ، إثبات للأخ من السير ما هو منفيٌّ عن كل أحد من الناس . فكذلك قوله : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ﴾ ، نفي عن أن يكون لأحد خصومةٌ وجدلٌ قِبَل رسول الله ﷺ ودعوى باطل ، عليه وعلى أصحابه ، بسبب توجههم في صلاتهم قِبَل الكعبة - إلَّا الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قِبَلهم

خصومةً ودعوى باطلًا بأن يقولوا : إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا لأنا كنا أهدى منكم سبيلًا وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل .

وإذا كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل ، فبينٌ خطأُ قول من زعم أن معنى قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] : ولا الذين ظلموا منهم ، وأن « إلا » بمعنى « الواو » . لأن ذلك لو كان معناه ، لكان النفي الأول عن جميع الناس - أن يكون لهم حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه في تحولهم نحو الكعبة بوجوههم - مبينًا عن المعنى المراد ، ولم يكن في ذكر قوله بعد ذلك : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ إلا التلبيس الذي يتعالى عن أن يضاف إليه أو يوصف به .

هذا مع خروج معنى الكلام - إذا وجهت « إلا » إلى معنى « الواو » ، ومعنى العطف - من كلام العرب . وذلك أنه غير موجودة « إلا » في شيء من كلامها بمعنى « الواو » ، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها . كقول القائل : (سار القوم إلا عمرًا إلا أخاك) ، بمعنى : إلا عمرًا وأخاك ، فتكون (إلَّا) حينئذ مؤدية عما تؤدي عنه « الواو » ، لتعلق « إلا » الثانية بـ « إلا » الأولى . ويجمع فيها أيضًا بين « إلا » و « الواو » فيقال : « سار القوم إلَّا عمرًا وإلَّا أخاك » ، فتحذف إحداهما ، فتنوب الأخرى عنها ، فيقال : « سار القوم إلا عمرًا وأخاك - أو إلَّا عمرًا إلَّا أخاك » ، لما وصفنا قبل .

وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لمدَّعٍ من الناس أن يدَّعي أن « إلَّا » في هذا الموضع بمعنى « الواو » التي تأتي بمعنى العطف .

وواضحٌ فساد قول من زعم أن معنى ذلك : إلا الذين ظلموا منهم ، فإنهم لا حجة لهم ، فلا تخشوهم . كقول القائل في الكلام : « الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم [لك] المعتدي عليك » ، فإن ذلك لا يعتد بعدوانه ولا بتركه الحمد ، لموضع العداوة . وكذلك الظالم لا حجة له ، وقد سمي

ظالمًا لإجماع أهل التأويل على تخطئة ما ادعى من التأويل في ذلك . وكفى شاهدًا على خطإ مقالته إجماعهم على تخطئتها .

وظاهر بُطُول قول من زعم أن : ﴿ الذين ظلموا ﴾ ههنا ، ناسٌ من العرب كانوا يهودًا ونصارى ، فكانوا يحتجون على النبي ﷺ ، فأما سائر العرب ، فلم تكن لهم حجة ، وكانت حجة من يحتج منكسرة . لأنك تقول لمن تريد أن تكسر عليه حجته : (إن لك عليَّ حجة ولكنها منكسرة ، وإنك لتحتج بلا حجة ، وحجتك ضعيفة) . ووجه معنى ﴿ إلَّا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] إلى معنى : إلا الذين ظلموا منهم ، من أهل الكتاب ، فإن لهم عليكم حجة واهية أو حجة ضعيفة .

ووَهْيُ قول من قال : « إلا » في هذا الموضع بمعنى « لكن » .

وضعف قول من زعم أنه ابتداء بمعنى : إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم .

لأن تأويل أهل التأويل جاء في ذلك بأن ذلك من الله عز وجل خبرٌ عن الذين ظلموا منهم : أنهم يحتجون على النبي ﷺ وأصحابه بما قد ذكرنا ، ولم يقصد في ذلك إلى الخبر عن صفة حجتهم بالضعف ولا بالقوة – وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة – وإنما قصد فيه الإثبات للذين ظلموا ، ما قد نفى عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة .

* * *

س : ما هو الشيء المتوقع أن يخشى من : ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] في قوله تعالى : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : هو جدل الذين ظلموا ومحاجتهم بالباطل في قولهم : إن محمدًا رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا .

وقال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ﴾

في حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون في أن محمدًا ﷺ قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا - أو أن يقدروا لكم على ضر في دينكم أو صدكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق ، ولكن اخشوني فخافوا عقابي في خلافكم أمري إن خالفتموه .

وذلك من الله جل ثناؤه تقدمٌ إلى عباده المؤمنين بالحض على لزوم قبلتهم والصلاة إليها وبالنهي عن التوجه إلى غيره ، يقول جل ثناؤه واخشوني أيها المؤمنين في ترك طاعتي فيما أمرتكم به من الصلاة شطر المسجد الحرام .

***

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ومن حيث خرجت من البلاد والأرض ، وإلى أي بقعةٍ شَخِصْتَ فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث كنتْ يا محمد والمؤمنون فولوا وجوهكم في صلاتكم شطره ، واتخذوه قبلة لكم كيلا يكون لأحدٍ من الناس - سوى مشركي قريش - حجة ، ولأتم بذلك - من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم عليه السلام الذي جعلته إمامًا للناس - نعمتي فأكمل لكم به فضلي عليكم وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيت بها نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم ، وذلك هو نعمته التي أخبر جل ثناؤه أنه متمها على رسوله ﷺ والمؤمنين به من أصحابه .

وقوله : ﴿ ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني : وكي ترشدوا للصواب من القبلة ، و ﴿ لعلكم ﴾ عطف على قوله : ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ ، ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ عطف على قوله ﴿ لئلا يكون ﴾ [البقرة : ١٥٠] . والله تعالى أعلم .

س : ما هو تمام النعمة المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج :.تمام النعمة هنا بالأمر بالتوجه إلى قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهي الكعبة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة تكرار قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٥٠] ثلاث مرات :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

والثانية : في قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ... ﴾ [البقرة : ١٤٩] .

والثالثة : في قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .. ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال نورد منها ما يلي :

• **القول الأول** : أن هذا للتأكيد لأن الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه للمسجد الأقصى هو أول ناسخ في الإسلام فمن ثمَّ أُكِّد عليه بالتكرير ثلاث مرات ، وليحسم هذا التأكيد طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين إلى قبلتهم .

• **القول الثاني** : أن الأمر الأول لمن هم في مكة ، والثاني لمن هم في بقية الأمصار ، والثالث لمن خرج في الأسفار[١].

---

(١) ويستثنى منه على ما تقدم المسافر الذي يصلي النافلة على الراحلة ، فله أن يصلي على الراحلة حيثما توجهت به .

والقول الثالث [1] : أن ذلك ذُكر لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق ، فقال أولًا : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [البقرة : ١٤٤] إلى قوله : ﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافلٍ عما يعملون ﴾ [البقرة :.١٤٤] ، فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وقال في الأمر الثاني : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، فذكر أنه الحق من الله ، وارتقاءه المقام الأول حيث كانٍ موافقًا لرضا رسول الله ﷺ فبين أنه الحق أيضًا من الله يحبه ويرتضيه ، وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم عليه السلام إلى الكعبة ، وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صُرِفَ الرسول ﷺ عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم عليه السلام التي هي أشرف، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول ﷺ إليها ، وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار ، هذا وقد قال الرازي رحمه الله : (٤/١٢٤) :

اعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ومالله بغافلٍ عما يعملون ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، وذكر ههنا ثانيًا قوله تعالى :

﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق

---

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ثم ذكر ثالثًا قوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] فهل في هذا التكرار فائدة أم لا ؟ وللعلماء فيه أقوال : **أحدها** : أن الأحوال ثلاثة : أولها : أن يكون الإنسان في المسجد الحرام .وثانيها : أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد . وثالثها : أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض ، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى ، والثانية على الثانية ، والثالثة على الثالثة ، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للبعد ، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات .

والجواب الثاني : أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل مرة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حق ، لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل ، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق ، وشهادة الله بكونه حقًّا مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقًّا ، وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة ، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] .

والجواب الثالث : أنه تعالى قال في الآية الأولى : ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلبًا لرضا محمد ﷺ لأنه قال : ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ [البقرة : ١٤٤]

فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] أي : نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك ، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا مَحِيدَ عنه ، فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل ، ثم إنه تعالى قال ثالثًا : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات ، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سببًا للطعن في دينكم ، والحاصل : أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة ، والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة ، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة ، وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخًا البتة .

والجواب الرابع : أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، والثاني مقرون بقوله تعالى : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله أنها حق ، وذلك هو قوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة ، فكانت هذه عللًا ثلاثًا قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة ، نظيره أن يقال : الزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها ، ثم يقال : الزم هذه القبلة فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى ، وهو قوله : ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ ثم يقال : الزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك ، وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما

تكذبان ﴾ [الرحمن : ٣٠] ، وكذلك ما كرر في قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ [الشعراء : ١٢١] .

والجواب الخامس : أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا ؛ فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات .

* * *

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

س : ما معنى يزكيكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
يزكيكم	يطهركم من رذائل الأخلاق ، ومن الشرك وسائر الأدناس وأفعال الجاهلية ، وقد تقدم معناها كذلك

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ... ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولًا منكم ، ويحتمل المعنى أيضًا : كما أتممت عليكم نعمتي فكذلك أرسلت فيكم رسولًا منكم .

● أو بتعبير آخر : أي : كما أنعمت عليكم بإجابة دعوة خليلي إبراهيم لكم إذ دعا فقال : ﴿ ربنا واجعلنا مُسْلِمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، وقال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم .. ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فأرسلت فيكم رسولًا منكم ، فكما أرسلت فيكم رسولًا منكم فكذلك أتممت عليكم هدايتي بأن وجهتكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام .

● وهناك قول آخر ، حاصله : أن المعنى كما أني أرسلت فيكم رسولًا منكم مشهورًا بالصدق ، فاذكروني بالتوحيد والتصديق به اذكركم .

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا ﴾ ، ولأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية ، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام ، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها فقال : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها ، ومسألته التي سألنيها فقال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فابتعثت منكم رسولي الذي سألني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل ، أن أبعثه

من ذريتهما .

فـ﴿ كما ﴾ - إذ كان ذلك معنى الكلام - صلة لقول الله عز وجل : « ولأتم نعمتي عليكم » [البقرة : ١٥٠] . ولا يكون قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ﴾ [البقرة : ١٥١] ، متعلقًا بقوله : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقد قال قوم : إن معنى ذلك : فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم أذكركم . وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير ، فأغرقوا النزع ، وبعدوا من الإصابة ، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف ، وسوى وجهه المفهوم .

وذلك أن الجاري من الكلام على ألسن العرب ، المفهوم في خطابهم بينهم - إذا قال بعضهم لبعض : (كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن) -أن لا يشترطوا للآخر ، لأن (الكاف) في (كما) شرط ، معناه : افعل كما فعلت . ففي مجيء جواب ﴿ اذكروني ﴾ بعده ، وهو قوله : ﴿ أذكركم ﴾ ، أوضح دليل على أن قوله : ﴿ كما أرسلنا ﴾ من صلة الفعل الذي قبله ، وأن قوله : ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ خبر مبتدإ منقطع عن الأول ، وأنه من سبب قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ بمعزل .

وقد زعم بعض النحويين أن قوله : ﴿ فاذكروني ﴾ -إذا جعل قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ جوابًا له ، مع قوله : ﴿ أذكركم ﴾ - نظير الجزاء الذي يجاب بجوابين ، كقول القائل : « إذا أتاك فلان فأته ترضه » ، فيصير قوله : « فأته » و « ترضه » جوابين لقوله : « إذا أتاك » ، وكقوله : « إن تأتني أحسن إليك أكرمك » .

وهذا القول وإن كان مذهبًا من المذاهب ، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب . والذي هو أولى بكتاب الله عز وجل أن يوجه إليه من اللغات ، الأفصح الأعرف من كلام العرب ، دون الأنكر الأجهل من

منطقها . هذا ، مع بعد وجهه من المفهوم في التأويل .

● **وقال الزمخشري رحمه الله**[1] : ﴿ كما أرسلنا ﴾ [البقرة : ١٥١] إما أن يتعلق بما قبله أي : ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول ، أو بما بعده أي : كما ذكرتكم بإرسال الرسول ﴿ فاذكروني ﴾ بالطاعة ﴿ أذكركم ﴾ بالثواب .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله** : يقول تعالى : إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتتامة ليس ذلك ببدع من إحساننا ولا بأوله ، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها ، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكماله ونصحه .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ... ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟ ومن هو هذا الرسول ؟

ج : المخاطبون بذلك هم العرب ، وهذا الرسول هو محمد ﷺ .

● **قال الطبري رحمه الله** : وقوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ﴾ [البقرة : ١٥١] فإنه يعني بذلك العرب ، قال لهم جل ثناؤه : الزموا أيها العرب طاعتي وتوجهوا إلى القبلة التي أمرتكم بالتوجه إليها لتقطع حجة اليهود عنكم فلا تكون لهم عليكم حجة ، ولأتم نعمتي عليكم وتهتدوا كما ابتدأتكم بنعمتي فأرسلت فيكم رسولًا منكم ، وذلك الرسول الذي أرسله إليه منهم محمد ﷺ .

❋ ❋ ❋

---

(١) والزمخشري معروف بالاعتزال فَلْيُتَّقَ منه ما كان في هذا الباب .

س : في قوله تعالى : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] وجه إعجاز وضحه ؟

ج : إيضاحه أن هذا النبي ﷺ رغم كونه أميًّا فإنه علم العرب ما لم يكونوا يعلمون .

❋ ❋ ❋

س : وضِّح شيئًا مما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى في معناها :

وأما قوله : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] ، فإنه يعني : ويعلمكم من أخبار الأنبياء وقصص الأمم الخالية ، والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التي لم تكن العرب تعلمها ، فعلموها من رسول الله ﷺ . فأخبرهم جل ثناؤه أن ذلك كله إنما يدركونه برسوله ﷺ .

● وقال الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقوله عز وجل : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] هذه صفة زائدة على الصفات السابقة وفيها إشارة إلى معجزة كبرى من معجزات رسول الله ﷺ حيث علم أمته ﷺ أصدق أخبار الأمم الماضية وعرفهم ما كان من الحوادث السابقة وما يكون من الحوادث اللاحقة ، ووضع لهم أحسن الأنظمة التي أرشده الله إليها ، الصالحة لكل زمان ومكان وجيل وقبيل ، والتي لم تعرفها الإنسانية في تاريخها الطويل ، مما يعترف بفضله الأصدقاء والأعداء حتى بدأت أوروبا في وقت نهضتها الحديثة تأخذ ببعض التعاليم الإسلامية التي ما كانت تعرفها ، وقد رأت أن شريعة الإسلام أوفى من سائر الأنظمة بها حتى شملت الشفعة وغيرها ، ونحن نعلم علم اليقين أن

رسول الله ﷺ علمنا كل شيء نحتاجه في معاشنا أو معادنا حيث علمنا ﷺ ماذا نقول إذا استيقظنا من نومنا وماذا نقول عند منامنا ، وماذا نفعل أو نقول عند دخول منازلنا أو تناول طعامنا أو شرابنا وسائر حاجاتنا ، وماذا نقول عند ركوب مراكبنا أو في سفرنا أو حضرنا ، حتى قال بعض المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه : لقد علمكم نبيكم كل شيء ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قيل له : قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة فقال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم . وفي لفظ لمسلم عن سلمان رضي الله عنه قال : قال لنا المشركون : إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة فقال : أجل ، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه ، أو يستقبل القبلة ، ونهى عن الروث والعظام وقال : « لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار » اهـ . وقد صار أصحاب رسول الله ﷺ أئمة الدنيا في العلم ، وورثوا ذلك للدنيا حتى كان عظماء أوروبا يفتخر أحدهم بالذهاب إلى الأندلس ليشهد بعض حلقات العلم على علمائها ، وبعد أن كان العرب أشد الناس جهلًا وأبعدهم ضلالة صاروا أعمق الناس علمًا وأبرهم قلوبًا وأقلهم تكلفًا وأصدقهم لهجة .

* * *

س : ما هو المراد بذكر العباد لربهم وذكر ربهم لهم في قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بذكر العباد لربهم في هذا الموطن طاعتهم لله عز وجل ، والمراد بذكر الله لهم رحمته إياهم ومغفرته لهم ، والذي

يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن المراد بالذكر هنا أعم من ذلك ، فيدخل فيه الذكر باللسان أيضًا، فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم ... »[1] .

● هذا وقد أورد الرازي رحمه الله تعالى أوجهًا للعلماء في هذا الموطن ، فقال رحمه الله : ثم للناس في هذه الآية عبارات : **الأولى** : اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي . **الثانية** : اذكروني بالإجابة والإحسان، وهو بمنزلة قوله ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] ، وهو قول أبي مسلم قال : أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين وراجين خائفين ، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء ، فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة . **الثالثة** : اذكروني بالثناء والطاعة أذكركم بالثناء والنعمة . **الرابعة** : اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة . **الخامسة** : اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات . **السادسة** : اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء . **السابعة** : اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي . **الثامنة** : اذكروني بمجاهدتي أذكركم بهدايتي . **التاسعة** : اذكروني بالصدق والإخلاص أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص . **العاشرة** : اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالشكر في قوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/٣٨٤) ، ومسلم (مع النووي ١٧/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : .... » فذكر الحديث .

تكفـرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟ وكذلـك مـا المراد بالكفر هنـا ؟ ثـم مـا هـو المعنـى الإجمالـي لقولـه تعالـى : ﴿ واشكـروا لـي ولا تكفـرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟

ج : أما المراد بالشكر فهو صرف النعمة في طاعة الله عز وجل وحمد الله عز وجل عليها ، والكفر هنا - الذي يظهر أن - المراد به جحد النعمة وصرفها في معصية الله عز وجل ؛ وذلك لاقترانه بالشكر في قوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ﴾ .

● **أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾** [البقرة : ١٥٢] فيقول الطبري رحمه الله تعالى :

القـول في تأويـل قولـه تعالـى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفـرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

يعني تعالى ذكره بذلك : اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام ، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي ، ﴿ ولا تكفرون ﴾ ، يقول : ولا تجحدوا إحساني إليكم ، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم ، ولكن اشكروا لي عليها ، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم ، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي ، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته ، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته .

والعرب تقول : (نصحت لك ، وشكرت لك) ، ولا تكاد تقول : (نصحتك) ، وربما قالت : (شكرتك ونصحتك) ، من ذلك قول الشاعر :

هُمُ جَمَعُوا بُؤسَى ونُعمَى عليكُمُ   فهلا شكرتَ القومَ إذ لم تُقاتِلِ

وقال النابغة في (نصحتك) :

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي

وقد دللنا على أن معنى (الشكر) : الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة ، وأن معنى « الكفر » : تغطية الشيء ، فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .

* * *

س : مزيد النعم يستلزم مزيدًا من الشكر دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● لما اصطفى الله عز وجل مريم عليها السلام اصطفاءين وطهرها تطهيرًا أمرها بالقنوت والسجود والركوع مع الراكعين كما قال سبحانه : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ [آل عمران : ٤٢ ، ٤٣] .

● ولما أنعم الله على نبينا محمد ﷺ بالرسالة قال له : ﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا ﴾ [المزمل : ١ - ٤]، وكان عليه السلام يقوم من الليل حتى تَرِمَ قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

● ولما منَّ الله سبحانه على موسى بتكليمه واصطفائه على الناس بالرسالة والتكليم قال له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● ولما منَّ الله على يحيى عليه السلام بالنبوة قال له : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم : ١٢] .

● ولما أنعم الله عز وجل على نساء نبيه ﷺ بالزواج من رسول الله ﷺ قال لهن : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن

بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ [الأحزاب : ٣٢] وقبلها قال تعالى : ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠ ، ٣١] .

● ولما أنعم الله عز وجل على نبيه وبشره بالكوثر كلفه بالصلاة والنحر ، فقال تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ١ ، ٢] .

● وأنعم الله على نبيه بالغنى بعد الفقر والهدى بعد الضلال وإيوائه وهو يتيم ، ثم كلفه بأن لا يقهر اليتيم ولا ينهر السائل وأن يحدث بنعمة ربِّه عليه ، كما هو وارد في سورة الضحى : ﴿ ألم يجدك يتيمًا فآوى * ووجدك ضالًّا فهدى * ووجدك عائلًا فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ٦ - ١١] .

● ومنَّ الله عز وجل على ساكني قريش بالأمن فكلفهم بعبادته فقال : ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا (الله) ؟

ج : لا يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا ، إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أنواع الذكر وثمرتها ؟

ج : قال ابن جزي الكلبي رحمه الله في تفسيره :

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعني التوحيد الخاص ، فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال ، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهي الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لا محالة ، وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله ، وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة .

وقال ابن القيم(١) رحمه الله : كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرًا منه لله ، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرًا منه له ، وثناؤه عليه بآلائه ، وتمجيده وتسبيحه ذكرًا منه له ، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرًا منه له ، وسكوته وصمته ذكرًا منه له بقلبه فكان ذكر الله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله ، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه دائمًا وقاعدًا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته .

---

(١) زاد المعاد (٣٦٥/٢) فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الذكر .

س : بم يتوصل الشخص إلى نعمة الله عليه ؟

ج : يتوصل إلى ذلك بأمور منها :

- **دعاء الله عز وجل بذلك** كما قال النبي ﷺ لمعاذ : « لا تدعن دبر كل صلاةٍ أن تقول : رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ».
- **ويتوصل بالإكثار من الصلوات والسجود** ، فقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تَرِم قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .
- وقال في سجدة (ص) : « سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا » .
- **ويتوصل أيضًا بالرضا بقضاء الله عز وجل** ، قال الله عز وجل لموسى : ﴿ فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .
- **حمد الله وشكره والعمل بطاعته بعد حلول النعم** ، كما قال الله سبحانه لقوم سبإ : ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ : ١٥] .



يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾
وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ
﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

س : ما معنى هذه الكلمات : استعينوا – ولنبلونكم – صلوات من ربهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
استعينوا ولنبلونكم صلوات من ربهم	اطلبوا العون ولنختبرنكم قيل : المراد مغفرة من ربهم ، وقيل : المراد الثناء والمدح ، وقيل : إعلاء المنزلة .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن على ما تقدم هذه الآية وما تأخر عنها ، فتكون الاستعانة على طاعة الله سبحانه وتعالى وإمتثال أوامره واتباع ناسخ أحكامه والصبر على منسوخها .

وتكون الاستعانة بالصبر والصلاة كذلك على ما يصيبكم من قتلٍ وجراح عند جهادكم أعداء الله ، والصبر على أقدار الله عز وجل في ذلك ، والاستعانة على ما تصابون به من خوف وجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وهذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته ، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] على القيام بطاعتي ، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي ، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي ، وأنقلكم إليه من أحكامي ، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه ، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه - وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل ، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به ، أو نقصٌ في أموالكم - وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي ، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومشقته عليكم ، واحتمال عنائه وثقله ، ثم بالفزع منكم فيما ينوبكم من مفظعات الأمور إلى الصلاة لي . فإنكم بالصبر على المكاره تدركون مرضاتي ، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قِبَلي ، وتدركون حاجاتكم عندي ، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيَّ ، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم ، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلي .

***

س : ما هو وجه الاستعانة بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : قيل : إن المراد الاستعانة بثوابها ، وقيل : المراد الاستعانة بذكر الله عز وجل فيها ، وقيل : الاستعانة بما يتلى فيها من قرآن ، والله أعلم .

***

س : كثيرًا ما يقرن الله سبحانه وتعالى بين الصبر والصلاة في موطن واحد ، اذكر بعض المواطن التي ورد فيها ذكر الصبر مقرونًا بالصلاة ؟

ج : من هذه المواضع قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [هود : ١١٤ ، ١١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ [ق : ٣٩ ، ٤٠] .

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية) : وأعظم عون لولي الأمر خاصةً ، ولغيره عامةً ثلاثة أمور : أحدها : الإخلاص لله ، والتوكل عليه بالدعاء وغيره . وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن . والثاني : الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة . والثالث : الصبر على الأذى من الخلق وغيره من النوائب . ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرًا ، كقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [هود : ١١٤ ، ١١٥] ، وقوله : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [طه : ١٣٠] ، وأما قرانه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جدًّا . فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية . إذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة ، يدخل في الصلاة من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، وفي الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع : من نصر المظلوم وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج . وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الشر والبطر . انتهى ، نقله القاسمي.

* * *

س : ما هو نوع المعية في قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : المعية هنا معية نصر وتأييد .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] فإن تأويله : فإن الله ناصره وظهيره وراضٍ بفعله ، كقول القائل : (افعل يا فلان كذا وأنا معك ، يعني : إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه .

وقال القاسمي رحمه الله : (محاسن التأويل ص ٣١٧ ..) .

﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] قال الإمام ابن تيمية (في شرح حديث النزول) : لفظ المعية في كتاب الله جاء عامًّا كما في قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [الحديد : ٤] وفي قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلَّا هو رابعهم ﴾ إلى قوله : ﴿ إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ [المجادلة : ٧] وجاء خاصًّا كما في قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] وقوله : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه : ٤٦] ، وقوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، فلو كان المراد بذاته مع

كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص . فإنه قد علم أن قوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] خصهم بذلك دون الظالمين والفجار . وأيضًا ، فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى . كما في قوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ [الفتح : ٢٩] وقوله : ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ [النساء : ١٤٦] ، وقوله : ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٩] ، وقوله : ﴿ وجاهدوا معكم ﴾ [الأنفال : ٧٥] ومثل هذا كثير . فامتنع أن يكون قوله : ﴿ وهو معكم ﴾ [الحديد : ٤] يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق . وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر ، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة ، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه . ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه . فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان . ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد . انتهى مختصرًا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : سيأتي ذلك إن شاء الله بتفصيل في سورة آل عمران عند قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

وقد قال **الطبري رحمه الله** عند تأويل قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ [البقرة : ١٥٤] :

يعني تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على طاعتي في جهاد عدوكم ، وترك معاصيَّ ، وأداء سائر فرائضي عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله : هو ميت ، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه ، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيمًا ، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي ، أحياء عندي ، في حياة ونعيم ، وعيش هَنِيٍّ ، ورزق سَنِيٍّ ، فرحين بما آتيتهم من فضلي ، وحبوتهم به من كرامتي .

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال [1] :

قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، كنا نحدث : أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة ، وأن مساكنهم سدرة المنتهى ، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من الخير : من قتل في سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقًا ، ومن غَلَبَ آتاه الله أجرًا عظيمًا ، ومن مات رزقه الله رزقًا حسنًا .

***

س : عند قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل ﴾ [البقرة : ١٥٤] يرد سؤال ، وهو أن من قتل لا يجيب من خاطبه من الأحياء فكيف يوجه قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولا تقولوا عمن قتل في سبيل الله أنهم أموات .

***

(١) الطبري (٢٣١٩) ، والأثر كما هو واضح ليس مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ .

س : علم من سنة رسول الله ﷺ (من جملة أحاديث) أن الأموات في قبورهم يشمون رائحة الجنة وتفتح لهم أبوابها ويأتيهم من طيبها ونعيمها ويستعجلون قيام الساعة ، فما هو الذي اختص الله الشهداء من خصوصية في قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله في تفسيره نحو هذا السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال لنا قائل : وما في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره ؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى الجنة يشمون منها رَوحها ، ويستعجلون الله قيام الساعة ، ليصيروا إلى مساكنهم منها ، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها ، وعن الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى النار ينظرون إليها ، ويصيبهم من نتنها ومكروهها ، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها ، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة ، حذارًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها ، مع أشباه ذلك من الأخبار . وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله ﷺ ، فما الذي خص به القتيل في سبيل الله ، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة ، وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك ، وأما المؤمنون فمنعمون بالرَوح والريحان ونسيم الجنان ؟

قيل : إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره ، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في

برزخهم قبل بعثهم ، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر ، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطْعِمْهَا الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه . فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم ، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠] ، وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله ﷺ .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء – وقال عبدة : في روضة خضراء – يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا » .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقي ، عن ابن بشار السلمي – أو : أبي بشار ، شك أبو جعفر – قال : أرواح الشهداء في قباب بيض من قباب الجنة ، في كل قبة زوجتان ، رزقهم في كل يوم طلعت فيه الشمس ثورٌ وحوت . فأما الثور ففيه طعم كل ثمرةٍ في الجنة ، وأما الحوت ففيه طعم كل شراب في الجنة .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإن الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصهم بها في البرزخ ، غير موجود في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، وإنما فيه الخبر عن حالهم ، أمواتٌ هم أم أحياءٌ .

قيل : إن المقصود بذكر الخبر عن حياتهم ، إنما هو الخبر عما هم فيه من النعمة ، ولكنه تعالى ذكره لما كان أنبأ عباده عما خص به الشهداء في

قوله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، وعلموا حالهم بخبره ذلك - ثم كان المراد من الله تعالى ذكره في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، نُهي خلقه عن أن يقولوا للشهداء : إنهم موتى - ترك إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم .

وأما قوله : ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، فإنه يعني به : ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياءٌ ، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به .

* * *

س : الله عز وجل يبتلي عباده بأنواع من الابتلاءات في هذه الحياة الدنيا ولا بد من هذه الابتلاءات ، اذكر عدة أدلة تؤكد هذا المعنى ؟ وبين بعض صور هذه الابتلاءات ؟

ج : من الأدلة على أن البلاء يلحق العباد في الدنيا ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾[1] [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى : وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله ﷺ أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكما امتحن أصفياءه قبلهم ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مَثَل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤]

- وقوله تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .
- وقال تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مصبحين ﴾ [القلم : ١٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ١ ، ٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ [التوبة : ١٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] .
- وقوله تعالى في شأن خزنة جهنم : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ... ﴾ [المدثر : ٣١] .
- وقال سليمان عليه السلام (لما رأى عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده) : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [النمل : ٤٠] .
- أما صور هذه الابتلاءات فمنها :
- ابتلاءات بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات .
- ابتلاءات بالأمراض والأسقام .
- ابتلاءات بلقاء الجبابرة والظالمين .
- ابتلاءات بالناسخ والمنسوخ من الأحكام .
- ابتلاءات بالغنى والفقر[1] .

---

(١) وانظر في هذا كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

س : اذكر بعض فوائد المحن والابتلاءات ؟

ج : أورد القاسمي رحمه الله تعالى (في محاسن التأويل) نقلًا عن العز ابن عبد السلام بحثًا سريعًا في ذلك فقال :

وللإمام عز الدين محمد بن عبد السلام ، رحمه الله تعالى ، كلام على فوائد المحن والرزايا يحسن إيراده هنا . قال عليه الرحمة : للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس .

أحدها : معرفة عز الربوبية وقهرها .

والثاني : معرفة ذلة العبودية وكسرها .وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ الذين إذا أصابتهم مضيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره وقضائه وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه .

والثالثة : الإخلاص لله تعالى إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه . ولا معتمد في كشفها إلا عليه ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ [الأنعام : ١٧] ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

الرابعة : الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبًا إليه ﴾ [الزمر : ٨] .

الخامسة : التضرع والدعاء ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا ﴾ [يونس : ١٢] ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٦٧] . ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ [الأنعام : ٤١] . ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ [الأنعام : ٦٣] .

السادسة : الحلم ممن صدرت عنه المصيبة ﴿ إن إبراهيم لأواه

حليمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ﴿ إنا نبشرك بغلام حليم ﴾ [الحجر : ٥٣] . « إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى : الحلم والأناة »[١] . وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها ، فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم .

السابعة : العفو عن جانيها ﴿ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو .

الثامنة : الصبر عليها . وهو موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] « وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر »[٢] .

التاسعة : الفرح بها لأجل فوائدها . قال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ! إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء ».وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : حبذا المكروهان الموت والفقر . وإنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها ، كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها ، مع تجرعه لمرارتها .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١٧) ص ٤٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للأشج – أشج عبد القيس – : « إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٦٩) ، ومسلم (حديث ١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال : « ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يُعفُّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر » .

العاشرة : الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها . كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه ، المانع من شهواته ، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء .

الحادية عشرة : تمحيصها للذنوب والخطايا ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] ولا يصيب المؤمن وَصَبٌ ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها إلا كُفِّرَ به من سيئاته .

الثانية عشرة : رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم . فالناس معافى ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء واشكروا الله تعالى على العافية . وإنما يرحم العشاق من عشق .

الثالثة عشرة : معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها . فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها .

الرابعة عشرة : ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها .

الخامسة عشرة : ما في طيها من الفوائد الخفية ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا ﴾ [النساء : ١٩] . ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شرًّا لكم بل هو خيرٌ لكم ﴾ [النور : ١١] .

ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر . فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين . فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية ، وقد قيل :

كم نعمة مطوية   لك بين أثناء المصائب

وقال آخر :

رُبَّ مبغـــوض كريـــــه فيــــه لله لطائـــــــف

السادسة عشرة : أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر ، فإن نمرود ، لو كان فقيرًا سقيمًا ، فاقد السمع والبصر ، لما حاج إبراهيم في ربه ، لكن حمله بطر المُلْك على ذلك . وقد علل الله سبحانه وتعالى محاجته بإتيانه الملك ، ولو ابتلي فرعون بمثل ذلك لما قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٣٤] . ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله مِنْ فضله ﴾ [التوبة : ٧٤] ﴿ إن الإنسان ليطغى * أن رءاه استغنى ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] . ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ [الشورى : ٢٧] ﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ﴾ [هود : ١١٦] ﴿ لأسقيناهم ماء غدقًا * لنفتنهم فيه ﴾ [الجن : ١٦ ،١٧] . ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذيرٍ إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ [سبأ : ٣٤] .

والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع الأنبياء . ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الأنبياء . ثم الأمثل فالأمثل . نُسِبُوا إلى الجنون والسحر والكهانة واستهزىء بهم وسخر منهم ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ [الأنعام : ٣٤] . وقيل لنا : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦] كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم

وتغربوا عن أوطانهم . وكثر عناهم . واشتد بلاهم وتكاثر أعداؤهم . فغُلبوا في بعض المواطن ، وقتل منهم بأحد وبئر معونة من قتل . وشج وجه رسول الله ﷺ . وكسرت رباعيته . وهشمت البيضة على رأسه . وقتل أعزاؤه ومثل بهم . فشمتت أعداؤه واغتم أولياؤه .وابتلوا يوم الخندق . وزلزلوا زلزالًا شديدًا . وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . وكانوا في خوف دائم وعري لازم . وفقر مدقع . حتى شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع . ولم يشبع سيد الأولين والآخرين من خبز بر في يوم مرتين . وأوذي بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه . ثم ابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطليحة والعنسي . ولقي هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه ، ومات ودرعه عند يهودي على آصُعٍ من شعير . ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتعهدون بالبلاء الوقت بالوقت (يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان صلبًا في دينه شدد في بلائه . ولقد كان أحدهم يوضع المنشار على مفرقه فلا يصده ذلك عن دينه) . وقال عليه الصلاة والسلام :

« مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح ، تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج » فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله عز وجل . وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ [يونس : ١٢] فلأجل ذلك تقللوا في المآكل والمشارب والمناكح والمجالس والمراكب وغير ذلك . ليكونوا على حالةٍ توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى عز وجل والإقبال عليه .

السابعة عشرة : الرضا الموجب لرضوان الله تعالى . فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ، ومن

رضيها فله الرضا . والرضا أفضل من الجنة وما فيها . لقوله تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ [التوبة : ٧٢] أي : من جنات عدن ومساكنها الطيبة .

فهذه نبذة مما حضرنا من فوائد البلوى ، ونحن نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، فلسنا من رجال البلوى .

وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى وعافانا من المحن والرزايا بمنه وكرمه . آمين.

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض فوائد الصبر ؟

ج : ذكر قدرًا من ذلك ابن جزي في كتابه التسهيل فقال :

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا ، وذلك لعظمة موقعه في الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : **أولها : المحبة** ، قال : ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] **والثاني : النصر** قال : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] و **الثالث : غرفات الجنة** ، قال : ﴿ يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ [الفرقان : ٧٥] و **الرابع : الأجر الجزيل** قال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] **والأربعة الأخرى** المذكورة في هذه الآية ، ففيها **البشارة** ، قال : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] و **الصلاة والرحمة والهداية** ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

قلت : ويضاف إلى ما سبق :

● تسليم **الملائكة** عليهم كما قال تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون

عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] .

● **الجزاء بأحسن العمل** كما قال تعالى : ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٦] .

***

س : اذكر بعض الأحاديث في فضل من مات له ولد فصبر واحتسب ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

١ - ما أخرجه البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاءً إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » .

٢ - ما أخرجه الإمام أحمد[٢] بإسناد حسن عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « يقال للولدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يارب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال : فيأتون قال : فيقول الله عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين[٣] ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يارب آباؤنا وأمهاتنا قال : فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم ».

٣ - وأخرجه ابن ماجة[٤] بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله سبحانه : ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرضَ ثوابًا دون الجنة ».

---

(١) حديث (٦٤٢٤) .
(٢) أحمد في المسند (١٠٥/٤) .
(٣) أي : ممتنعين .
(٤) حديث (١٥٩٧) .

٤ - وأخرج مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت : يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة قال : « دفنت ثلاثة ؟!! » قالت : نعم ، قال : « لقد احتظرت بحظار شديدٍ من النار » .

٥ - وأخرج البخاري[٢] ، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم ».

٦ - وأخرج البخاري[٣] من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من الناس من مسلمٍ يتوفى له ثلاثٌ لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » .

٧ - وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، قال : « اجتمعن يوم كذا وكذا » فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال : « ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا من النار »، فقالت امرأة : واثنين واثنين واثنين فقال رسول الله ﷺ : « واثنين واثنين واثنين » .

٨ - وأخرج مسلم[٥] بإسناده إلى أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٣٦) .
(٢) البخاري (حديث ١٢٥١) ، ومسلم (حديث ٢٦٣٢) .
(٣) البخاري حديث (١٢٤٨) .
(٤) أخرجه البخاري (حديث ١٢٤٩) ، ومسلم (٢٦٣٣) ، واللفظ لمسلم .
(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٣٥) .

قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال : بيده ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى – أو قال : فلا ينتهي – حتى يدخله الله وأباه الجنة ».

***

س : في قوله تعالى : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] سؤالان : أولهما : ما معنى التبشير ؟ الثاني : صابرون على ماذا ؟

ج : أصل التبشير إخبار الرجلِ الرجلَ الخبر يسرُّه أو يسوؤه لأول مرة والمراد بالتبشير هنا (الإخبار بما يسر) .

أما الصابرون فهم الصابرون على ما بلوتهم به من أنواع البلاء ، والله أعلم .

***

س : ما هو مقول الصابرين عند حلول المصيبة بهم ؟

ج : مقولهم هو ما ذكره الله عز وجل في كتابه : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] . وما سنَّه لهم نبيهم محمد ﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها »، قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت : أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب

ابن أبي بلتعة يخطبني له فقلت له : إن لي بنتًا وأنا غيور ، فقال : « أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها ، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة »[1] .

***

س : وضح معنى قول الصابرين : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : إننا مماليك لله سبحانه وتعالى وعبيدٌ له يتصرف فينا كيف يشاء ويقبض منا إليه من شاء ويؤخر من يشاء ويبتلي من يشاء وينعم على من يشاء ، ثم إننا بعد موتنا صائرون إليه جميعًا يقضي فينا بما يشاء .

وقول الصابرين هذا صادر منهم على سبيل الاعتراف والإذعان والتسليم لقضاء الله سبحانه والرضا بأحكامه ،

وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** يعني تعالى ذكره : وبشر ، يا محمد ، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني ، فيقرون

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/٢٢٠) ، وفي رواية لمسلم من حديث أم سلمة أيضًا قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على ما تقولون » قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات ، قال : فقولي : « اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبة حسنة » قالت : فقلت ، فأعقبني الله من هو خيرٌ لي منه محمد ﷺ .

● هذا وقد أخرج الطبري (أثر ٢٣٣١) بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال : ما أعطي أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب عليه السلام ألم تسمع إلى قوله : ﴿ يا أسفى على يوسف ﴾ [يوسف : ٨٤] .

بعبوديتي ، ويوحدوني بالربوبية ، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي ، فيستسلمون لقضائي ، ويرجون ثوابي ، ويخافون عقابي ، ويقولون – عند امتحاني إياهم ببعض محني ، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها – : إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياءً ، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون – تسليمًا لقضائي ورضًا بأحكامي .

● **وقال ابن الجوزي رحمه الله** (زاد المسير ص١٦٢) : ﴿ قالوا إنا لله ﴾ يريدون نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ يريدون نحن مقرون بالبعث والجزاء على أعمالنا والثواب على صبرنا .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنقص من الأنفس ، وما المراد بنقص الثمرات ؟

ج : المراد – والله أعلم – بنقص الأنفس : موت الأصحاب والأقارب والأحباب ، والمراد بنقص الثمرات : أن الحدائق والمزارع والبساتين لا تنبت كعادتها ، أو المراد : تأخر نزول المطر ، أو المراد : إصابة الثمرات بآفة ، ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة : ١٥٧]: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] فما معنى هذا الأثر ؟ ومن أخرجه ؟ وما مدى صحته ؟

ج : العدلان هما : (الصلوات من ربهم والرحمة) وهما بمنزلة الحملين

(الثُّقْلين) يوضع كل واحد منهما في ناحية من الجمل ، والعلاوة وهي ما يوضع على السنام ، والمعنى : أن الصلوات من الرب تعادل قولهم : ﴿ إنا لله ﴾ والرحمة تعادل قولهم : ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] فأعطوا ما يعادل قولهم ثم زيدوا بعلاوة وهي ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

والمعنى أنهم أعطوا ثواب أعمالهم وزيدوا أيضًا . أما الأثر فأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الجنائز (مع الفتح ٣/٢٠٥) باب الصبر عند الصدمة الأولى ، وقال عمر رضي الله عنه : نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة .... ﴾ الآية .

❋ ❋ ❋

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

شعائر الله – حجَّ – اعتمر – جناح – يطوَّف بهما – تطوع خيرًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
شعائر الله	الشعائر جمع شعيرة ، والشعيرة : هي العلامة ، ومنه إشعار الهدي ، أي : تعليمه بعلامة يعرف بها أنه هدي ، وشعائر الله هي المعالم التي جعلها الله لعباده يذكرونه عندها .
حجَّ	الحج لغة القصد وشرعًا القيام بأعمال مخصوصة من طواف وسعي وذهاب إلى منى وعرفات ومزدلفة ورمي جمار والحلق إلى غير ذلك .
اعتمر	اعتمر معناها : زار ، والمراد شرعًا القيام بالطواف والسعي والحلق أو التقصير .
جناح	إثم .
يطوَّف بهما	يسعى بينهما ذاهبًا وآيبًا .
تطوع خيرًا	فعل خيرًا .

س : ما معنى الصفا ؟ وما معنى المروة ؟ وما المراد بهما في الآية الكريمة ﴿ إن الصفا والمروة ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : أما الصفا فهي الصخرة الملساء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابلٌ فتركه صلدًا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

أما المروة ففيها أقوال منها أنها الحجارة الصغيرة ، ومنها أنها حجارة بيض براقة تكون منها النار وتُقدح منها النار ، وتتخذ أداة كالسكين يُذبح بها ، وهي صلبة .

والمراد بالصفا والمروة هنا الجبلان المعروفان بمكة اللذان يسعى بينهما الحاج أو المعتمر[١] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من

---

(١) قلت : وقد أخرج الطبري بأسانيد صحيحة إلى داود بن أبي هند عن الشعبي أن وثنًا كان في الجاهلية على الصفا يسمى (إسافًا) ووثنا على المروة يُسمى (نائلة) ، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين ، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون : إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنين ، وليس الطواف بهما من الشعائر قال : فأنزل الله : إنها من الشعائر ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨]، وهذا إسناد مرسل كما هو واضح ، فالشعبي لم يدرك رسول الله ﷺ .

● وذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن إسافًا ونائلة كانا بشرين زنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس ، فلما طال عهدهما عُبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... لمفضى السيول من إساف ونائل

نقله ا بن كثير رحمه الله .

قلت (مصطفى) : ومثل هذا النقل يحتاج إلى دليل صحيح ، والله أعلم .

شعائر الله ... ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق عروة قال : سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصَّفا والمروة فقالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يتطوف بهما ، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية . قالت عائشة رضي الله عنها : وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال : إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالًا من أهل العلم يذكرون أن الناس – إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة – كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة ، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا : يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا والمروة ، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية . قال أبو بكر : فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت .

• وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] ولا مانع أن تكون نزلت لسببين . والله أعلم .

* * *

س : ما هو الحرج الذي كان يظن المسلمون أنهم سيقعوا فيه إذا سعوا بين الصفا والمروة ، ورفعه الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : يتمثل هذا الحرج في أن الناس كانوا يطوفون في الجاهلية بين الصفا والمروة لصنمين كانا عليهما ، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام ، وتركوا الأوثان والأصنام تحرجوا من الطواف بهما ، هكذا ذكر بعض أهل العلم[1] ، وقد تقدم قول الشعبي رحمه الله في ذلك .

وصح عن أنس رضي الله عنه وقد سئل أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية ؟ فقال : نعم كنا نكره الطواف بينهما ، لأنهما من شعائر الجاهلية حتى نزلت هذه الآية ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ... ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

• وصح عن ابن زيد[2] في قوله : ﴿ فلا جُناح عليه أن يطوَّف

---

(١) وصاغه بعضهم بصياغة أخرى فقال : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] أي : لا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما ، فإذا كان المشركون يسعون بينهما ويتمسحون بالأصنام فاسعوا أنتم لله رب العالمين ولا تتركوا الطواف بينهما خشية التشبه بالمشركين .

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٤٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ، وهو وإن كان صحيحًا إلى ابن زيد إلا أنه إلى رسول الله ﷺ مرسل ، بل معضل لكون ابن زيد بينه وبين =

بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] قال : كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد منهما صنمًا يعظمونها فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين فقال الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] وقرأ ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج : ٣٢] وسن رسول الله ﷺ الطواف بهما .

أما عائشة رضي الله تعالى عنها فكانت تقول : إن الآية الكريمة إنما أُنزلت ، لأن الأنصار قبل أن يسلموا كان يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوَّف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوَّف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] قالت عائشة : ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما .

● وروى الطبري رحمه الله بإسناد حسنٍ[1] إلى قتادة في قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعـائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية ، فكان حيٌّ من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله ، وكان من سنة إبراهيم وإسماعيل الطواف بينهما .

قلت : فحاصل الحرج – على ما ذكره أهل العلمْ – يتلخص في الآتي :

● منهم من كان يتحرج لكون صنمين كانا عليهما (أي : على

= رسول الله ﷺ بونٌ بعيد لكني أرى أن هذا تفسيرًا من ابن زيد رحمه الله لسياق الآية الكريمة .

(١) الطبري (أثر ٢٣٤٨) .

الصفا والمروة) .

● ومنهم من كان يتحرج لكونه أهلَّ لمناة الطاغية التي عند المشلل ، وكان من أهلَّ لها تحرج من السعي بين الصفا والمروة .

● ومنهُم من كان يتحرج لكونه كان لا يسعى بينهما في الجاهلية أصلًا .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من شعائره .

فأما قوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية على ما روي عن عائشة ، وأي الأمرين كان من ذلك فليس في قول الله تعالى ذكره : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية دلالة على أنه عنى به وضع الحرج عمن طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك ثم جُعل الطواف بهما رخصة لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت ثم رخص فيه بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

❋ ❋ ❋

س : هل منع الله سبحانه وتعالى السعي بين الصفا والمروة في وقت من الأوقات ثم رخص فيه بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : لم نقف على نصٍّ يفيد هذا المنع ، وقد نقل الطبري رحمه الله تعالى

إجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت من الأوقات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يبدأ الساعي بين الصفا والمروة ؟ هل بالصفا أم بالمروة ؟

ج : يبدأ الساعي بالصفا ، لأن النبي ﷺ لما فرغ من طوافه اتجه إلى الصفا وهو يقول : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله .. ﴾ [البقرة : ١٥٨] ثم قال : « أبدأ بما بدأ الله به »[١] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ماذا فعل رسول الله ﷺ عند صعود الصفا والمروة ؟

ج : أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه في وصف حجة رسول الله ﷺ قال : ... ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحَّد الله وكبَّره وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشي حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا[٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا (حديث ١٢١٨) .

س : هل يُشرع الدعاء على الصفا والمروة ؟

ج : نعم يشرع ذلك ، وقد تقدم في حديث جابر أن النبي ﷺ دعا على الصفا والمروة .

❋ ❋ ❋

س : لماذا يُسرع الناس المشي في المنطقة من المسعى التي بين العلامتين الخضراوين ؟

ج : يُسرع الناس المشي في هذه المنطقة لقول النبي ﷺ : « لا يُقْطَع الأبطح إلا شدًّا »[1] ، وأيضًا لما تقدم في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشي .... الحديث ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أصل السعي بين الصفا والمروة ؟ وما الذي ينبغي أن يستحضره الساعي بينهما ؟

ج : أصله ابتداء أمر الله عز وجل به ثم إن النبي ﷺ قد سنَّه ، وقد قال بعض أهل العلم : إن أصل ذلك مأخوذ من سعي هاجر عليها السلام بين

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠٥/٦) ، والنسائي (٢٤٢/٥) ، والبيهقي في الكبرى (٩٨/٥) من طريق بديل بن ميسرة عن المغيرة بن حكيم عن صفية بنت شيبة عن امرأة مرفوعًا ، وهذا إسناد صحيح ، فالمرأة صحابية (إذ قد أفادت أنها رأت رسول الله ﷺ) .

وقد روي الحديث (عند أحمد ٤٠٤/٦) وابن ماجة (٢٩٨٧) وغيرهم من طريق بديل بن ميسرة عن صفية بنت شيبة عن أم ولدٍ لشيبة أنها رأت رسول الله ﷺ ... فذكرت الحديث ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « لا يقطع الأبطح إلا شدًّا » ، وهذا خلاف لا يضر سواء أثبت المغيرة أو حذف ، والله أعلم .

الصفا والمروة ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم التي ماؤها (طعام طعم وشفاء سقم) فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه ، وأن يلتجىء إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبته عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام .

***

س : هل يشرع السعي بين الصفا والمروة تطوعًا بدون حج أو عمرة ؟

ج : لا يشرع ذلك إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] فيُفهم منه أن من لم يحج ولم يعتمر فليس له أن يطوَّف بهما ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو المراد بالتطوع في قوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : ومن حج تطوعًا بعد قضاء حجته الواجبة عليه أو اعتمر تطوعًا (بعد العمرة الواجبة عليه عند من يرى بوجوب العمرة) فإن الله شاكر له على تطوعه ومثيبه على ذلك .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن الله شاكر عـليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - : أن الله شاكر له صنيعه الذي صنع ومثيبه عليه ومجازيه به عليم بحاله وبقلبه هل أراد بحجه وعمرته الرياء والسمعة أم حج واعتمر ابتغاء وجه الله عز وجل ورجاء ثوابه وحطًّا لخطاياه وذنوبه .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿ فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] أي : يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدًا ثوابه و ﴿ لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] .

❋ ❋ ❋

س : هل يُفهم من الآية الكريمة أنه يجوز لشخصٍ ما أراد الحج أو العمرة ألا يسعى بين الصفا والمروة ؟

ج : نعم هذا مفهوم من الآية الكريمة ، لكن هذا المفهوم مردود ، لأن النبي ﷺ طاف بينهما ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لتأخذوا مناسككم »[1] .

ولم يرد أنه عليه الصلاة والسلام رخص لأحدٍ في ترك السعي بينهما ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد فهم عروة رحمه الله نحو هذا المفهوم المذكور في السؤال وردَّته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ففي الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قال : قلت : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة: ١٥٨] ؛

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

قلت : فو الله ما على أحد جناح أن لا يتطوف بهما فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ألَّا يطوَّف بهما ، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، قالت عائشة ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما[1] .

● وأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم النبي ﷺ مكة فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة ، ثم تلا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

● وقد ثبت في عدة طرق أن النبي ﷺ سعى بين الصفا والمروة ، بل تواتر ذلك الفعل ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما حكم السعي بين الصفا والمروة للحاج أو المعتمر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : قول من قال : إن السعي بين الصفا والمروة ركن ولا يتم الحج ولا تتم العمرة إلا به .

الثاني : من العلماء من قال إنه واجب على الحاج والمعتمر ، وإذا لم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٤٣) وفي غير موضع من الصحيح ومسلم (حديث ١٢٧٧) .

يتمكن منه الحاج أو المعتمر أراق مكانه دمًا .

الثالث : قول من قال إنه مستحب وليس بواجب ولا ركن .

أما دليل القول الثالث : فمن الآية الكريمة ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] فقال أصحاب هذا القول : إن الله عز وجل ختم الآية الكريمة بقوله : ﴿ ومن تطوع خيرًا ﴾ فدل ذلك على أنه تطوع وقال في صدر الآية : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فأفاد مفهومها أن من لم يطوَّف بهما فلا جناح عليه أيضًا .

أما دليل القول الثاني : فهو أن النبي ﷺ قد سعى بين الصفا والمروة هو وأصحابه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا عني مناسككم » ولم يرد أن النبي ﷺ رخص لأحدٍ في تركه . أما قولهم فيمن تركه أن عليه دم فلا أعلم دليلًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ يدل عليه أما دليل القول الثالث : فهو نحو من دليل القول الثاني مع قوله عليه الصلاة والسلام إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا[1] .

---

(١) هذا الحديث مما نستخير الله عز وجل في تصحيحه فالطرق المعتادة للتصحيح (باعتبار الشواهد والمتابعات) تقتضي أن يُحسن بمجموع طرقه فقد أخرجه الدارقطني (السنن ٢/٢٥٥) والبيهقي من طريقه في السنن الكبرى (٥/٩٧) من طريق معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية قالت أخبرتني نسوة من بني عبد الدار اللائي أدركن رسول الله ﷺ قلن : دخلنا دار ابن أبي حسين فاطلعنا من باب مقطع فرأينا رسول الله ﷺ يشتد في المسعى حتى إذا بلغ زقاق بني فلان موضعًا قد سماه من المسعى ، استقبل الناس وقال : « يا أيها الناس اسعوا فإن المسعى قد كتب عليكم » .

● ومعروف بن مشكان لم أقف على معتبر نصَّ على توثيقه صراحة ولا على =

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك :

أثر عائشة رضي الله عنها

● قال الطبري رحمه الله تعالى : (أثر ٢٣٥٣)

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لَعمري ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة ، لأن الله قال : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

أثر مالك بن أنس رحمه الله

قال الطبري رحمه الله : (أثر ٢٣٥٣ مكرر)

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال مالك بن أنس : (من نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة فليرجع فَلْيَسْعَ ، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدي) .

قول الإمام الشافعي رحمه الله

قال الطبري رحمه الله : وكان الشافعي يقول : على من ترك السعي بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده العود إلى مكة حتى يطوف بينهما لا يجزيه غير ذلك .

حدثنا بذلك الربيع عنه .

= من طعن فيه بما يُسقط حديثه .

لكنه قد توبع ، فالحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٣٢/٤) ، وأحمد في مسنده (٤٢١/٦) وغيرهم بأسانيد عن صفية بنت شيبة ، وإن كان في هذه الأسانيد ضعف إلا أنها ترقي الحديث للصحة .

لكن لما كان هذا الحديث من أحاديث الأحكام التي تهم عموم أمة محمد ﷺ كنا نطمع له في أسانيد جياد ، وهذا الذي لم نقف عليه ، والله تعالى أعلم .

أثر الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى

بوَّب الطبري رحمه الله في تفسيره بباب ذكر من قال : يجزي منه دم وليس عليه عودٌ لقضائه ، قال الثوري[1] بما حدثني به علي بن سهل عن زيد بن أبي الزرقاء عنه ، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد : إن عاد تاركُ الطوَّاف بينهما لقضائه فحسن ، وإن لم يعُد فعليه دم .

أثر عطاء رحمه الله تعالى [2]

قال الطبري رحمه الله (أثر ٢٣٥٦) :

حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا ابن جريج قال : قال عطاء : لو أن حاجًّا أفاض بعدما رمى جمرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها - يعني : امرأته - لم يكن عليه شيء لا حج ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود : (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن لا يطوَّف بهما) فعاودته بعد ذلك فقلت : إنه قد ترك سنة النبي ﷺ ، قال : ألا تسمعه يقول : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] فأبى أن يجعل عليه شيئًا .

قراءة ابن عباس رضي الله عنهما للآية الكريمة .

قال الطبري رحمه الله تعالى : (أثر ٢٣٥٧) :

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله.. ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية (فلا جناح عليه أن لا يطوَّف بهما).

---

(١) أخرجه الطبري أثر (٢٣٥٥) .

(٢) بوَّب له الطبري بباب ذكر من قال الطواف بينهما تطوع ولا شيء على من تركه ومن كان يقرأ (فلا جناح عليه ألا يطوَّف بهما) .

اختيار الطبري رحمه الله

أورد الطبري جملة آثار ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندنا أنَّ الطواف بهما فرض واجب ، وأن على من تركه العوْد لقضائه ، ناسيًا ، كان أو عامدًا . لأنه لا يُجزيه غير ذلك ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه حج بالناس ، فكان مما علمهم من مناسك حَجهم الطوافُ بهما .

ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثني يوسف بن سلمان قال ، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجه قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، ابدءوا بما بدأ الله بذكره » . فبدأ بالصفا فرَقِيَ عليه .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن ، عن أبي بكر بن عياش ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » ، فأتى الصفا فبدأ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروة فقام عليها ، وطاف وَسعى .

فإذا كان صحيحًا بإجماع الجميع من الأمة – أن الطواف بهما على تعليم رسول الله ﷺ أمّته في مناسكهم ، وعمله في حَجِّه وعُمرته – وكان بيانه ﷺ لأمَّته جُمَل مَا نَصَّ الله في كتابه ، وَفرضَه في تنزيله ، وأمَرَ به مما لم يدرك علمه إلا ببيانه ، لازمًا العمل به أمته ، كما قد بينا في كتابنا « كتاب البيان عن أصول الأحكام » – إذا اختلفت الأمة في وجوبه ، ثم كان مُختلفًا في الطواف بينهما : هلِ هو واجبٌ أو غير واجب – كان بيِّنًا وجوب فرضه على من حج أو اعتمر ، لما وصفنا .

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة – لما كان مختلفًا فيما على من تركه ، مع إجماع جميعهم على أن ذلك مما فعله

رسول الله ﷺ وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم - كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم وعمرتهم - وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تجزي منه فديةٌ ولا بدلٌ ، ولا يجزي تاركه إلَّا العود لقضائه - كان نظيرًا له الطواف بالصفا والمروة ، ولا تجزي منه فدية ولا جزاءٌ ، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه ، إذ كانا كلاهما طوافين : أحدهما بالبيت ، والآخر بالصفا والمروة .

ومن فرق بين حكمهما عكس عليه القول فيه ، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما .

فإن اعتل بقراءة من قرأ : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) .

قيل : ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين ، غيرُ جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها . وسواء قرأ ذلك كذلك قارىء أو قرأ قارىء : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ [الحج : ٢٩] ، (فلا جناح عليهم أن لا يطوفوا به) فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف ، كانت الأخرى نظيرتها ، وإلا كان مجيز إحداهما - إذا منع الأخرى - متحكمًا . والتحكم لا يعجز عنه أحدٌ .

وقد رُوي إنكار هذه القراءة ، وأن يكون التنزيل بها ، عن عائشة .

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قلت لعائشة زوج النبي ﷺ ، وأنا يومئذ حديث السن : أرأيتِ قول الله عز وجل : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ ، فما نرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما ! فقالت عائشة : كلا ! لو كانت كما تقول ، كانت : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) ، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار ، كانوا يهلون لمناة - وكانت مناة حذو قديد - ،

وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة . فلما جاء الإسلام ، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل قراءة من قرأ : « فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما » ، أن تكون « لا » التي مع « أن » ، صلةً في الكلام ، إذ كان قد تقدمها جحدٌ في الكلام قبلها ، وهو قوله : ﴿ فلا جناح عليه ﴾ ، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره : ﴿ قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك ﴾ [الأعراف : ١٢] ، بمعنى ما منعك أنْ تسجد ، وكما قال الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبو بكرٍ ولا عمرُ

ولو كان رسم المصحف كذلك ، لم يكن فيه لمحتج حجة ، مع احتمال الكلام ما وصفنا . لما بينا أن ذلك مما علم رسول الله ﷺ أمته في مناسكهم ، على ما ذكرنا ، ولدلالة القياس على صحته ، فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين ، ومما لو قرأه اليوم قارىء كان مستحقًّا العقوبة ، لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه ؟

قول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حديث : (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي) ثم قال :

وقد استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج ؛ كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه ، ورواية عن أحمد ، وهو المشهور عن مالك .

وقيل : إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمدًا أو سهوًا جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة ، وقيل : بل مستحب ، وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين ، وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس

وحكي عن مالك في العتبية .

قال القرطبي : واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] والقول الأول أرجح لأنه عليه السلام طاف بينهما ، وقال : « لتأخذوا عني مناسككم » فكل ما فعله في حجته تلك واجب لا بد من فعله بالحج إلا ما خرج بدليل ، والله أعلم ، وقد تقدم قوله عليه السلام : « اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعي » فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي : مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج .

قول القرطبي رحمه الله تعالى

قال القرطبي رحمه الله :

واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة ؛ فقال الشافعي وابن حنبل : هو ركن ؛ وهو المشهور من مذهب مالك ؛ لقوله عليه السلام : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي » . خرجه الدارقطني . وكتب بمعنى أوجب ؛ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، وقوله عليه السلام : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » . وخرج ابن ماجة عن أم ولدٍ لشيبة قالت : رأيت رسول الله ﷺ يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول : « لا يُقْطَعَ الأبطح إلا شدًّا » فمن تركه أو شوطًا منه ناسيًا أو عامدًا رجع من بلده أو من حيث ذكر إلى مكة ، فيطوف ويسعى ؛ لأن السعي لا يكون إلا متصلًا بالطواف . وسواء عند مالك كان ذلك في حج أو عمرة وإن لم يكن في العمرة فرضًا ، فإن كان قد أصاب النساء فعليه عمرة وهديٌ عند مالك مع تمام مناسكه . وقال الشافعي : عليه هديٌ ، ولا معنى للعمرة إذا رجع وطاف وسعى . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والشعبي : ليس بواجب ؛ فإن تركه أحدٌ

من الحاج حتى يرجع إلى بلاده جبره بالدم ؛ لأنه سنة من سنن الحج . وهو قول مالك في العتبية . وروي عن ابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وابن سيرين أنه تطوع ؛ لقوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] . وقرأ حمزة والكسائي « يطوع » مضارع مجزوم ، وكذلك ﴿ فمن تطوع خيرًا فهو خير له ﴾ الباقون « تطوع » ماض ؛ وهو ما يأتيه المؤمن من قبل نفسه فمن أتى بشيء من النوافل فإن الله يشكره . وشكر الله للعبد إثابته على الطاعة . والصحيح ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى لما ذكرنا ، وقوله عليه السلام : « خذوا عني مناسككم » فصار بيانًا لمجمل الحج ؛ فالواجب أن يكون فرضًا ؛ كبيانه لعدد الركعات ، وما كان مثل ذلك إذا لم يتفق على أنه سنة أو تطوع . وقال طُليب : رأى ابن عباس قومًا يطوفون بين الصفا والمروة فقال : هذا ما أورثتكم أمكم أم إسماعيل .

قلت : وهذا ثابت[1] في صحيح البخاري ، على ما يأتي بيانه في سورة « إبراهيم » .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير :

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة ، فنقل الأثرم أن من ترك السعي لم يجزه حجه ، ونقل أبو طالب لا شيء في تركه عمدًا أو سهوًا ، ولا ينبغي أن يتركه ، ونقل الميموني أنه تطوع .

وقال البغوي رحمه الله :

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة ، فذهب جماعة إلى وجوبه ، وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة ، وبه قال الحسن ، وإليه ذهب مالك والشافعي ، وذهب قوم إلى أنه

---

(١) قائل ذلك هو القرطبي رحمه الله .

تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي ، وقال الثوري وأصحاب الرأي : على من تركه دم .

وقال صديق حسن خان (في تفسيره فتح البيان) بعد أن أورد حديث : « اسعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي » : ويؤيد ذلك حديث « خذوا عني مناسككم » واختار الشوكاني في جميع مؤلفاته الوجوب ، وهو الراجح .



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

س : ما معنى ما يلي : – يكتمون – البينات – يلعنهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
يكتمون	يخفون
البينات	الدلالات على نبوة محمد ﷺ
يلعنهم	يطردهم ، واللعن : الطرد .

***

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟ وما هي البينات التي كتموها ؟

ج : هؤلاء المعنيون بالآية الكريمة هم علماء اليهود وعلماء النصارى ، والبينات التي كتموها هي ما بينه الله عز وجل من أمر محمدٍ ﷺ ونبوته ومبعثه وصفته .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالهدى في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ... ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟

ج : المراد بالهدى هنا ما أُنزله الله في الكتابين (التوراة والإنجيل) من آيات وعلامات ودلالات وبينات هداية للناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟ وكذلك ما المراد بالكتاب ؟

ج : المراد بالناس هنا بعض الناس وهم أهل الكتاب (اليهودِ والنصارى) لأن صفة محمد ﷺ كانت عندهم دون غيرهم .

● أما الكتاب فهو اسم جنس ، والمراد به الكتب ، والمعني به هنا التوارة والإنجيل ، والله تعالى أعلم .

س : ذكرتم أن المعني بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ﴾ [البقرة : ١٥٩] هم علماء اليهود والنصارى فهل تنسحب على غيرهم أيضًا ؟

ج : نعم وتنسحب على كل كاتمٍ علمًا فرض الله عز وجل بيانه للناس[1] ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نارٍ يوم القيامة » .

(١) قال الطبري رحمه الله : وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معنيٌّ بها كل كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من سئل عن علمٍ يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » .

● وقد قال الله تعالى : ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

س : آية من كتاب الله عز وجل تمسك بها أبو هريرة رضي الله عنه وذكر أنه لولاها ما حدَّث الناسَ بالذي حدثهم عن رسول الله ﷺ فما هي تلك الآية ؟

ج : هذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ﴾ [البقرة : ١٥٩] إلى قوله : ﴿ الرحيم ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون(١) .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى اللعن ؟ ومن هم اللاعنون ؟

ج : أما اللعن فهو الطرد ، ولعنه : أقصاه وأبعده ، والمراد باللعن هنا : الطرد من رحمة الله عز وجل .

● **أما اللاعنون (٢) فهم الملائكة والناس أجمعون ، وذلك**

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١١٨) ، ومسلم (حديث ٢٤٩٢) ، وأحمد (٢/٢٧٤) .

(٢) واللاعنون هم الذين يطلبون من الله عز وجل أن يلعن ... =

لقول الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] .

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [هود : ١٨] وقال تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ... ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

● ومن العلماء من قال إن المراد باللاعنين هنا دواب الأرض وهوامها (كالعقارب والخنافس وغير ذلك) فقد أخرج الطبري[1] رحمه الله بأسانيده إلى مجاهد قال : (ويلعنهم اللاعنون) قال : دواب الأرض، العقارب

= ● وقد أخرج الطبري (٢٣٨٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ قال : يقول : اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين .

قلت : ويلتحق بهم الكفار أيضًا إذ يلعن بعضهم بعضًا كما قال تعالى في الآية الكريمة (المذكورة أعلاه) .

(١) وأسانيد ذلك إلى مجاهد منها الصحيح ومنها دون ذلك ، ومن الصحيح (٢٣٨٠) بالمتن الذي ذكرناه أعلى .

قال الطبري رحمه الله : فإن قال لنا قائل : وما وجه الذين وجهوا تأويل قوله : ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ ، إلى أن اللاعنين هم الخنافس والعقارب ونحو ذلك من هوام الأرض ، وقد علمت أنها إذا جمعت ما كان من نوع البهائم وغير بني آدم ، فإنما تجمعه بغير « الياء والنون » ، وغير « الواو والنون » ، وإنما تجمعه بـ « التاء » وما خالف ما ذكرنا ، فتقول : « اللاعنات » ونحو ذلك ؟

قيل : الأمر وإن كان كذلك ، فإن من شأن العرب إذا وصفت شيئًا من البهائم أو غيرها – مما حكم جمعه أن يكون بـ « التاء » وبغير صورة جمع ذكران بني آدم – بما هو من صفة الآدميين ، أن يجمعوه جمع ذكورهم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ [فصلت : ٢١] ، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بني آدم ، إذ =

والخنافس ، يقولون : مُنعنا القطر بخطايا بني آدم .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون . لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين ، فقال تعالى ذكره : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦٠] ، فكذلك اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر : الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس ، هي لعنة الله ، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالّة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار ، وهم « اللاعنون » ، لأن الفريقين جميعًا أهل كفر .

وأما قول من قال : إن ﴿ اللاعنين ﴾ هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوامها ، فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة . ولا خبر بذلك عن نبي الله ﷺ ، فيجوز أن يقال إن ذلك كذلك .

= كلمتهم وكلموها ، وكما قال : ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ [النمل : ١٨] ، وكما قال : ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] .

قلت : وقد استدل بعض أهل العلم بما ورد من طريق ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمرو عن البراء بن عازب قال : كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال : « إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين » فتلعنه كل دابة سمعت صوته ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : ١٥٩] يعني : دواب الأرض ، استدلوا بذلك على أن المراد بـ (اللاعنون) دواب الأرض وليث بن أبي سليم متكلم فيه ، وأيضًا فأصل الحديث في المسند بدون هذه الزيادة ، والله تعالى أعلم .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال : إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف (قول) أهل التأويل ، وهو ما وصفنا . فإن كان جائزًا أن تكون البهائم وسائر خلق الله ، تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد ﷺ ونعته ونبوته ، بعد علمهم به ، وتلعن معهم جميع الظلمة - فغير جائز قطع الشهادة في أن الله عنى بـ « اللاعنين » البهائم والهوامَّ ودبيب الأرض ، إلا بخبر للعذر قاطع . ولا خبر بذلك ، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] تابوا من ماذا ، وأصلحوا في ماذا ، وبينوا ماذا ؟

ج : تابوا من إثم الكتمان (كتمان الحق الذي أُمروا ببيانه) وأصلحوا أحوالهم ونياتهم فآمنوا بهذا النبي وأصلحوا أحوالهم فيما بينهم وبين ربهم عز وجل وبينوا الحق الذي كتموه .

● وقد أخرج الطبري[١] بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] يقول : أصلحوا فيما بينهم وبين الله ، وبينوا الذي جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم .

● وأخرج أيضًا بإسناد صحيح[٢] إلى ابن زيد في قوله : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] قال : بينوا ما في كتاب الله للمؤمنين وما سألوهم عنه من أمر النبي ﷺ وهذا كله في يهود .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣٩٠) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٩١) .

س : ما معنى ﴿ التواب الرحيم ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] يقول : وأنا الذي أرجع بقلوب عبيدي المنصرفة عني إليَّ ، والرادُّها بعد إدبارها عن طاعتي إلى طلب محبتي ، والرحيل بالمقبلين بعد إقبالهم إليَّ أتغمدهم مني بعفو ، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بيني وبينهم بفضل رحمتي لهم .

● وقال بعض أهل العلم في قوله : ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] أي : كثير التوبة على عبادي واسع الرحمة بهم أصفح عما فرط منهم من السيئات .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب على كل شخص تبليغ ما علمه من علمٍ لكل أحد ؟

ج : لا يجب ذلك ، وإنما يجب عليه أن يبلغهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم قدر استطاعته ، ويتقي ما يكون سببًا لفتنتهم وصدهم عن طرق الخير .

● وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] أي : حيث تنفع الذكرى .

● وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « لولا أن قومك حديثو عهدٍ بكفرٍ لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم »[1] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا

---

(١) أخرج البخاري حديث (١٥٨٥) ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ، فإن قريشًا استقصرت بناءه وجعلتُ له خلْفًا » =

ولبكيتم كثيرًا »[1] .

● وهذا أبو هريرة رضي الله عنه الذي قال : لولا آية من كتاب الله عز وجل ما حدثتكم ، وهي قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... ﴾[2] [البقرة : ١٥٩] .

أبو هريرة نفسه يقول : (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم)[3] .

● وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يخطب بمنى خطبة ينبه فيها على بعض الأمور الهامة فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف بتأجيل ذلك حتى يرجع إلى المدينة لأن المجلس

= وفي رواية : « لولا أن قومك حديثُ عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا فبلغت به أساس إبراهيم » .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٠٤٤) ، ومسلم (حديث ٩٠١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

(٢) أخرج البخاريُ (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ... – إلى قولِهِ – الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن اخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون .

(٣) قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا : وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل ، إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن ، والنص على أعيان المرتدين والمنافقين ، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى ، والله أعلم . قلت : والحديث أخرجه البخاري (حديث ١٢٠) .

يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فقد أخرج البخاري[1] في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أقرىء رجالًا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلَيَّ عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلًا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم ، قال عبد الرحمن فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت فيعي أهل العلم مقالتك ويضعوها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

● **وقال علي رضي الله عنه** : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

● **وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه** أنه قال : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

وقال القرطبي رحمه الله بعد إيراده أثر علي : (حدثوا الناس بما يعرفون ..) : وهذا محمول على بعض العلوم كعلم الكلام أو ما لا يستوي في فهمه جميع العوام ، فحكم العالم **أن يحدث بما يفهم عنه وينزل كل إنسان منزلته** ، والله تعالى أعلم . ثم قال رحمه الله : وتحقيق الآية أن العالم إذا قصد كتمان العلم عصى ، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

أنه مع غيره ، وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذا الآية وللحديث ، أما أنه لا يجوز تعليم الكافر القرآن والعلم حتى يسلم ، وكذلك لا يجوز تعليم المبتدع الجدال والحجاج ليجادل به أهل الحق ، ولا يُعَلِّم الخصم على خصمه حجة يقطع بها ماله ، ولا السلطان تأويلًا يتطرق به إلى مكاره الرعية ولا ينشر الرخص في السفهاء فيجعلوا ذلك طريقًا إلى ارتكاب المحظورات وترك الواجبات ونحو ذلك .

قلت : وقد أخذ بعض العلماء على أنس بن مالك رضي الله عنه إبلاغه الحجاج بأشد ما عذب به رسول الله ﷺ أقوامًا (وهو حديث العرنيين) وذلك لأن الحجاج بن يوسف الثقفي استسهل كل ما يصنع أمام هذه الصورة من التعذيب ، وأهمل أسباب وحيثيات التعذيب التي عذب بها رسول الله ﷺ العرنيين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

● ومنها قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

❋ ❋ ❋

س : الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب هل تقبل توبته ؟

ج : نعم تقبل توبته لقوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] .

ولقوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمه الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلًا « قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك »[1] .

❋ ❋ ❋

س : التوبة لا يكفي فيها في بعض الأحيان قول القائل : أستغفر الله وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن التوبة إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العبد وربه يكفي فيها قول القائل : أستغفر الله أو رب اغفر لي أو نحو ذلك مما يتعلق بطلب المغفرة من الله عز وجل .

أما إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العباد أنفسهم فيلزم فيها أداء الحقوق إلى أهلها ، فمثلًا إذا سرق رجلٌ مالًا من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول : أستغفر الله ، بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه .

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماء الناس فتية فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول :أستغفر الله ، بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا ، يدل على هذا وذاك قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] وقول النبي ﷺ عن

---

(١) أخرجه مسلم حديث (١٦٢١) .

المؤمنين إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار « فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا »[1] .

وقال النبي ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[2] .

وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله : (أستغفر الله) فالله عز وجل يقول : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [النور : ٤ ، ٥] .

وهكذا ألا ترى أن الشهيد يغفر له كل ذنبٍ إلا الدَّين ؟!!! والله تعالى أعلم .



---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

س : ما معنى : ينظرون ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
ينظرون	يمهلون[١] – يؤخرون

✹ ✹ ✹

(١) قال بعض أهل العلم : معناها : لا يمهلون حتى يعتذروا ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] وقال بعض أهل العلم : لا يمهلون ولا يؤجلون بل يلاقيهم العذاب عقب مفارقتهم الدنيا مباشرة . والله أعلم .

س : ما المراد بلعنة الله عز وجل للذين كفروا ، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين لهم ؟

ج : المراد بلعنة الله للكافرين : إبعاد الله عز وجل لهؤلاء الكافرين من رحمته وطردهم عنها ، والمراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين للكفار : طلب الملائكة والناس أجمعين من الله عز وجل أن يلعن هؤلاء الكفار ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] يدخل فيها الكفار ، فهل يلعن الكافرُ الكافرَ ؟

ج : ابتداءً ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالناس أجمعين في قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] المؤمنون فقط ، وممن قال بهذا القول قتادة رحمه الله تعالى ، فقد روى الطبري عنه بإسناد حسن(١) أنه قال : قوله : ﴿ والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] يعني بـ ﴿ الناس أجمعين ﴾ المؤمنين .

قلت : وهذا المسلك الذي سلكه قتادة رحمه الله تعالى في تفسير الآية الكريمة مسلك ضعيف يخالفه ظاهر نص الآية الكريمة(٢) .

● وقريب من هذا المسلك مسلكٌ آخر ضعيف وهو مسلك من قال : إن قوله تعالى : ﴿ والناس أجمعين ﴾ محمول على التغليب أي : أغلب الناس

---

(١) أثر رقم (٢٣٩٢) .

(٢) وقد قال الطبري رحمه الله في تفسيره : وأما ما قاله قتادة من أنه عنى به بعض الناس فقول ظاهر التنزيل بخلافه ، ولا برهان على حقيقته من خبرٍ ولا نظرٍ ، فإن كان ظن أن المعني به المؤمنين ، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة ، ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة ، وداخل في الظلمة كل كافرٍ بظلمه نفسه وجحوده نعمة ربه ومخالفته أمره .

يلعن الكفار ووجه ضعف هذا المسلك أن أغلب الناس كفار كما قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] وكما قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات ، فإذا كان أكثرهم كفارًا فرجعنا إلى السؤال ثانيةً وهل الكافرُ يلعن الكافرَ ؟

فالإجابة على ذلك أن الكافر يلعن الكافر ، وذلك إما في الدنيا وإما في الآخرة ، أما لعنة الكفار بعضهم بعضًا في الدنيا ، فكون الكافر يدعو على الظالم مثلًا ، فإذا قال الكافر : اللهم العن الكافر أو الظالم دخل هو نفسه في اللعنة ودخل فيها كل كافر ، وكذلك إذا تلاعن كافر ومؤمن فاللعنة ترجع على الكافر ، أما كون الكفار يلعن بعضهم بعضًا في الآخرة فذلك واضح جليٌّ من قوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

وكذلك من قوله تعالى : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكلٍّ ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٨] .

وقال تعالى في شأن الكافرين : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ [العنكبوت : ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ﴾ [البقرة : ١٦٢] خالدين في ماذا ؟

ج : قيل : خالدين في اللعنة ، وقيل : المراد أنهم خالدين في متبوعات

اللعنة وهي نار جهنم ، والله تعالى أعلم .

***

س :اذكر بعض الآيات الدالة على دوام العذاب على الكفار من غير تخفيف ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

١ – قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ [فاطر : ٣٦، ٣٧] .

٢ – قوله تعالى : ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يُفَتَّر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾ [الزخرف : ٧٤ ، ٧٥] .

٣ – قوله تعالى : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [النساء : ٥٦] .

٤ – قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] .

٥ – قوله تعالى : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ﴾ [المائدة : ٣٧] إلى غير ذلك من الآيات .

***

س : هل يجوز لعن كل من الآتي ذكرهم أم لا يجوز :

– الكفار جملة (أي : بصفة عامة)

- الكافر المعين (أي الكافر باسمه)
- العصاة جملة
- العاصي المعين

ج : أما الكفار جملة فيجوز لعنهم لما يأتي :

- قوله تعالى ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩]
- وقوله تعالى ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [هود : ١٨]
- وقوله تعالى عن قوم فرعون ﴿ وأُتبعوا في هذه لعنة ﴾ [هود : ٩٩] إلى غير ذلك من الآيات .

وقال غير واحد من أهل العلم إنه لا خلاف في جواز لعن الكفرة جملة (أي وجه الإجمال)[1] .

- **أما الكافر المعين ففي لعنه خلاف ، فمن العلماء من منعه محتجًا** بقوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] فقال هذا الفريق إننا لا ندري بم يُختم لهذا الكافر ، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات على الكفر والعياذ بالله .

واحتج لهم أيضًا بأن النبي لما لعن أقوامًا بأعيانهم نزل قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨]

- **وذهب فريق من العلماء إلى جواز لعن الكافر المعين** ، واحتج بعضهم بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها

---

(١) واستدل له بعض أهل العلم - إضافة إلى ما ذكر من آيات - بما رواه مالك عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول (ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان) .

قالت : دخل على النبي ﷺ رجلان فكلّماه فأغضباه فلعنهما .

● **قال القاضي ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن ص٥٠/١) :**

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله كجواز قتاله وقتله .

قال : وقد رُوي أنه ﷺ قال : « اللهم إن عمرو بن العاص هجاني قد علم أني لست بشاعر فالعنه ، اللهم واهجه عدد ما هجاني »[١] ، فلعنه وقد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآله ، وانتصف بقوله (عدد ما هجاني) ولم يزد ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف ، وأضاف الهجو إلى الباري سبحانه وتعالى في باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

قلت : واستدل بعض أهل العلم على جواز لعن الكافر بأن النبي ﷺ لما أُتي بشارب خمر ليحده قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب (لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك) فقال رسول الله ﷺ « لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله »[٢]، قالوا فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يُلعن والله تعالى أعلم .

---

(١) أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إلى ضعف هذا الحديث بقوله وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين ، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج فيه بحديث فيه ضعف .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حمارًا وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب[١] فأُتي به يومًا فأمر به فجلد فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه فوالله ما علمت[٢] أنه يحب الله ورسوله » .

---

(١) يعني شراب الخمر .

(٢) ما علمت معناها لقد علمت ، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله وثمّ أقوال أخر تدور حول هذا المعنى ، والله تعالى أعلم .

● **أما العصاة جملة فيجوز لعنهم لقوله عليه الصلاة والسلام :**

« لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده »[(١)] .

وقوله عليه السلام : « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه »[(٢)] إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب .

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : وأما لعن العاصي مطلقًا فيجوز إجماعًا ... .

● **أما العاصي المعين** ، فقد قال ابن العربي رحمه الله : فأما العاصي المعين فلا يجوز لعنه اتفاقًا لما روي أن النبي ﷺ جيء إليه بشارب خمر مرارًا فقال بعض من حضره : ما له لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : « لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم »[(٣)] ، فجعل له حرمة الأخوة ، وهذا يوجب الشفقة ، وهذا حديث صحيح .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٣) ، ومسلم (حديث ١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه (حديث ٥٩٦٢) أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله

وأخرج مسلم (حديث ١٥٩٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتي النبيُّ ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ، ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل : ما له أخزاه الله تعالى فقال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » .

قلت : واستدل بعض أهل العلم على المنع كذلك بحديث « لعن المؤمن كقتله »[1] .

وقد يستدل البعض على جواز لعن العاصي المعين بحديث : « أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح »[2] ولكن هذا عندي في غير المعين أيضًا ، وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من اللعن وخاصة ما يتعلق بلعن المسلمين ، وذلك لقول النبي ﷺ : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا »[3] ، ولحديث : « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة »[4] ، ولحديث « لعن المؤمن كقتله » والله أعلم .

---

(١) أخرج البخاري (٦٠٤٧) ، ومسلم (حديث ١١٠ ص ١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاك – وكان من أصحاب الشجرة – رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على ملةٍ غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال ، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذِّب به يوم القيامة ومن **لعن مؤمنًا فهو كقتله** ، ومن قذف مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله » .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٥١٩٤) ، ومسلم (حديث ١٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

● وفي رواية في الصحيحين كذلك : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا .

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

س : اذكر عشرًا من الآيات الدالة على تفرد الله عز وجل بالألوهية ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

١ – قول الله عز وجل : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣]

٢ – قول الله عز وجل : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، [آل عمران : ٢]

٣ – قول الله عز وجل : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ [الأنعام : ١٠٢]

٤ – قول الله عز وجل : ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ [النساء : ٨٧]

٥ – قول الله عز وجل : ﴿ قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار ﴾ [ص : ٦٥]

٦ – قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [الشورى : ١٠]

٧ – قوله تعالى : ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا ﴾ [طه : ٩٨]

٨ – قوله تبارك وتعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [محمد : ١٩]

٩ – قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨]

١٠ – قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣]، وقوله : ﴿ الٓمٓ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] » ؟

ج : في إسناده ضعف ففيه شهر بن حوشب متكلم فيه .

***

س : اذكر بعض أقوال المفسرين في تأويل قوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ؟

ج : هذه أقوال طائفةٍ من أهل العلم في هذا الباب

● قال الطبري رحمه الله :

قد بينا فيما مضى معنى « الألوهية » ، وأنها اعتباد الخلق .

فمعنى قوله : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] : والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له ، ويستوجب منكم العبادة ، معبود واحد ورب واحد ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تشركوا معه سواه ، فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه ، هو خلقٌ من خلق إلهكم مثلكم ، وإلهكم إله واحد ، لا مثل له ولا نظير .

واختلف في معنى وحدانيته تعالى ذكره .

فقال بعضهم : معنى وحدانية الله ، معنى نفي الأشباه والأمثال عنه ، كما يقال : « فلان واحد الناس – وهو واحد قومه » ، يعني بذلك أنه ليس له في الناس مثل ، ولا له في قومه شبيه ولا نظير . فكذلك معنى قول « الله واحد » ، يعني به : الله لا مثل له ولا نظير .

فزعموا أن الذي دلَّهم على صحة تأويلهم ذلك ، أن قول القائل : « واحد » يفهم لمعان أربعة . أحدها : أن تكون « واحدًا » من جنس ، كالإنسان « الواحد » من الإنس . والآخر : أن يكون غير متفرق ، كالجزء

الذي لا ينقسم . والثالث : أن يكون معنيًّا به والاتفاق ، كقول القائل : « هذان الشيآن واحد» ، يراد بذلك : أنهما متشابهان ، حتى صارا لاشتباههما في المعاني كالشيء الواحد . والرابع : أن يكون مرادًا به نفي النظير عنه والشبيه .

قالوا : فلما كانت المعاني الثلاثة من معاني « الواحد » منتفيةً عنه ، صح المعنى الذي وصفناه .

وقال آخرون : معنى « وحدانيته » تعالى ذكره ، معنى انفراده من الأشياء ، وانفراد الأشياء منه . قالوا : وإنما كان منفردًا وحده ، لأنه غير داخل في شيء ولا داخلٌ فيه شيء . قالوا : ولا صحة لقول القائل : « واحد » ، من جميع الأشياء إلا ذلك . وأنكر قائلو هذه المقالة المعاني الأربعة التي قالها الآخرون .

وأما قوله : « لا إله إلا هو » ، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيره ، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه ، وأن كل ما سواه فهم خلقه ، والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، وهجر الأوثان والأصنام . لأن جميع ذلك خلقه ، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة ، ولا تنبغي الألوهة إلا له ، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه ، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك ، وما يصيرون إليه من نِعمة في الآخرة فمنه ، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفع في عاجل ولا في آجل ، ولا في دنيا ولا في آخرة .

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهل الشرك به على ضلالهم ، ودعاءٌ منه لهم إلى الأوبة من كفرهم ، والإنابة من شركهم ثم عرفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها ، موضع استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبههم عليه

من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عذرهم ، فقال تعالى ذكره : أيها المشركون ، إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر : من أن إلهكم إله واحد ، دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان ، فتدبروا حُججي وفكروا فيها ، فإن من حُججي خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها ، وما بثثت فيها من كل دابة ، والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض . فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به ، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض ، يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم ، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذرٌ ، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي ، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري .

فليتدبر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده ، في هذه الآية وفي التي بعدها ، بأوجز كلام ، وأبلغ حجة ، وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية أنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم .

● **وقال القرطبي رحمه الله :** قوله تعالى : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] نفيٌ وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان ، ومعناه لا معبود إلا الله .

● **وقال صديق حسن خان** (فتح البيان ٣٢٦/١) : **(وإلهكم إله واحد)** أي : لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية ، والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له

يشاركه في مصنوعاته ، وواحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] تقرير للوحدانية بنفي غيره من الألوهية وإثباتها له ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] وقد تقدم تفسيرها ، وفيه الإرشاد إلى التوحيد وقطع العلائق ، والإشارة إلى أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانه وهو أمر التوحيد .

● **وقال الماوردي رحمه الله** : قوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] أراد بذلك أمرين : أحدهما أن إله جميع الخلق واحد لا كما ذهبت إليه عبدة الأوثان من العرب وغيرهم أن لكل قومٍ إله غير إله من سواهم .

والثاني : أن الإله ، وإن كان إلهًا لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له ، ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] ثم وصف فقال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ترغيبًا في عبادته وحثًا على طاعته .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول النبي ﷺ من قال : « لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة »[1] .

● قول النبي عليه الصلاة والسلام : « فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[2] .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٩١) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٥) ، ومسلم (حديث ٣٣) من حديث عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة »[1] .

● حديث البطاقة ، وقد أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : أفلك عذرٌ ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفةٍ والبطاقة في كفةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيءٌ »[2] .

● وقول النبي ﷺ : « ... وله بكل تهليلة صدقة »[3] .

● وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرحل - قال : يا معاذ بن جبل قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا) قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٨٢٧) ، ومسلم (مع النووي ٩٤/٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٣٩) وقال : حديث حسن غريب ، وأحمد (٢١٣/٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢) ، وابن ماجه (حديث ٢٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

من قلبه إلا حرمه الله على النار .. »[1] الحديث .

● وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[2] .

***

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢٨) ، ومسلم (حديث ٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم ص (١٨٤) .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات والفقرات على وجه الاختصار : خلق السموات والأرض – اختلاف الليل النهار – الفلك – بث فيها – تصريف الرياح – المسخر – آيات ؟

ج :

الكلمة	معناها
خلق السموات والأرض	إنشائها وابتداعها وخلقها على الوضع الذي هي عليه
اختلاف الليل والنهار	تعاقب الليل والنهار
الفلك	السفن
بثَّ فيها	فرَّق فيها – نشر فيها
تصريف الرياح	تنويع الرياح فمرة تأتي عقيمًا ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات ...
المسخر	المُذلل .
آيات	علامات ودلالات .

س : هل من وجهٍ للربط بين قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض .... ﴾ الآية [البقرة : ١٦٤] وقوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ؟

ج : يرى بعض العلماء أن قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] برهان ودليل لقوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا جمعت السموات وأفردت الأرض في قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : قال صديق حسن خان (فتح البيان) : وإنما جمع السموات ؛ لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ، ووحد الأرض ؛ لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هي الآية والدليل في خلق السموات على وحدانية الله عز وجل ورحمته ؟

ج : يوضح هذه الآية وهذا الدليل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ [ق : ٦] .

وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقًا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير * ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ [الملك : ٣ - ٥] .

● فالآية في خلق السموات في ابتداعها وإيجادها على هذا النحو التي هي عليه من ارتفاع واتساع وزينةٍ وبهاء ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

● **قال القرطبي رحمه الله** : فآية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، ودل ذلك على القدرة وخرق العادة ، ولو جاء نبي فتحدى بوقوف جبل في الهواء دون علاقة كان معجزًا ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوة آية ثانية .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها .

● **وقال الماوردي في التفسير** : فآية السماء ارتفاعها بغير عمدٍ من تحتها ولا علائق من فوقها ، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة .

● **وقال ابن سعدي في تفسيره** : ففي ﴿ خلق السموات ﴾ [البقرة : ١٦٤] في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها ، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وتنظيمها لمصالح العباد .

* * *

س : ما هي الآية في خلق الأرض على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته ؟

ج : هي فيما ذكره الله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [ق : ٧ ، ٨] وقوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [الملك : ١٥] .

وقد قال أهل العلم في ذلك أقوالًا أيضًا نورد منها ما يلي :

● **قال القرطبي رحمه الله** : وآية الأرض بحارها وأنهارها ومعادنها وشجرها وسهلها ووعرها .

● **وقال ابن كثير رحمه الله** : وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع .

● **وقال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان)** : والآية في الأرض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله** : وفي خلق (الأرض) مهادًا للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها ، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وحاجاتهم ، وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشئون عباده .

● **وقال الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه)** : والآية في الأرض عظيمة فيما يرى من سهلها وجبلها وبحارها ، وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أحد أن ينشىء مثلها .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية في اختلاف الليل والنهار على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته ؟

ج : ذلك واضح في قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل

سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [القصص : ٧١ - ٧٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾ [يسٓ : ٣٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ [يسٓ : ٤٠] .

● وهذا مزيد من أقوال أهل العلم في هذا الباب .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ [يسٓ : ٤٠] وتارة يطول هذا ويقصر هذا ، وتارة تأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان كما قال تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ [فاطر : ١٣] أي : يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا .

وقال صديق حسن خان (في فتح البيان) :

﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] تعاقبهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر ، وإضاءة أحدهما وإظلام الآخر ، وقيل : في الطول والقصر والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب : وعندي فيه وجه ثالث هو أنهما كما يختلفان في الأزمنة فهما يختلفان في الأمكنة فإن من يقول : إن الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح ، وفي موضع آخر ظهر ، وفي آخر عصر ، وفي آخر مغرب . وفي آخر عشاء . وهلم جرًّا . هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في

العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالضد من ذلك ، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر عجيب . قاله الكرخي .

وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيره :

وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط في الطول والقصر والتوسط وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونباتات ، كل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول ما يدل على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته الواسعة ولطفه الشامل وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه مما يجب أن يؤله ويعبد ويفرد بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء وبذل الجهد في محابه ومراضيه .

وقال الماوردي رحمه الله : وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر فيقبل الليل من حيث لا يعلم ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم فهذا اختلافهما .

وقال الزحيلي في تفسيره (التفسير المنير) وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر من حيث لا يعلم ، واختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد باختلاف الليل والنهار ؟

ج : المراد والعلم عند الله تعالى : اختلافهما في الطول والقصر فهذا يطول أحيانًا ويقصر هذا وهذا يقصر أحيانًا ويطول هذا ، واختلافهما أيضًا تعاقبهما .

قال الطبري رحمه الله :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤].

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس .

وإنما (الاختلاف) في هذا الموضع (الافتعال) ، من (خلوف) كل واحد منهما الآخر ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

بمعنى : أن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه ، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده ، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه . ومن ذلك قيل : (خلف فلان فلانًا في أهله بسوء) ، ومنه قول زهير :

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفةً وأطلاؤها يَنهَضْن من كلِّ مَجْثَم

وأما (الليل) . فإنه جمع (ليلة) ، نظير (التمر) الذي هو جمع (تمرة) . وقد يجمع (ليال) ، فيزيدون في جمعها ما لم يكن في واحدتها . وزيادتهم (الياء) في ذلك نظير زيادتهم إياها في (رباعية وثمانية وكراهية) .

وأما (النهار) ، فإن العرب لا تكاد تجمعه ، لأنه بمنزلة الضوء وقد سمع في جمعه « النهر » ، قال الشاعر :

لولا الثّرِيدانِ هَلَكْنا بالضُّمُرْ ثَرِيدُ ليلٍ وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ

ولو قيل في جمع قليله (أنهِرَة) كان قياسًا .

***

س : ما هي الدلالة من الفلك التي تجري في البحر على وحدانية الله عز وجل ورحمته بالعباد ؟

ج : وجه الاستدلال أن الله سبحانه وتعالى سخر البحر لحمل هذه

السفن العظام مع أن المسمار الصغير لا يحمله البحر بل يسقط فيه ، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :** ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ [البقرة : ١٦٤] أي : في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الأقليم ، ونقل هذا إلى هؤلاء .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** ووجه الآية في الفلك تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوقه مع ثقلها ، وأول من عملها نوح عليه السلام كما أخبر تعالى .

● **وقال الماوردي رحمه الله :** والآية فيها من وجهين :

أحدهما : استقلالها بحملها .

الثاني : بلوغها إلى مقصدها .

● **وقال صديق حسن خان في فتح البيان :** والآية في ذلك أن الله لو لم يقوِ قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في منافعهم ، وأيضًا فإن الله خصَّ كل قطر من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببًا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره :**

وفي ﴿ الفلك التي تجري في البحر ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهي السفن والمراكب ونحوها ، مما ألهم الله عباده صنعتها ، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ، ما أقدرهم عليها .

ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح ، التي تحملها بما فيها من

الركاب والأموال ، والبضائع التي هي من منافع الناس ، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معايشهم .

فمن الذي ألهمهم صنعتها ، وأقدرهم عليها ، وخلق لهم من الآيات ما به يعلمونها ؟ .

أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية ، النار والمعادن المعينة على حملها ، وحمل ما فيها من الأموال ؟

فهل هذه الأمور ، حصلت اتفاقًا ، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز ، الذي خرج من بطن أمه ، لا علم له ولا قدرة ؟ ثم خلق له ربه القدرة ، وعلمه ما يشاء تعليمه ؟

أم المسخر لذلك رب واحد ، حكيم عليم ، لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء ؟

بل الأشياء قد دانت بربوبيته ، واستكانت لعظمته ، وخضعت لجبروته .

وغاية العبد الضعيف ، أن جعله الله جزءًا من أجزاء الأسباب ، التي بها وجدت هذه الأمور العظام ، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه ، وذلك ويجب أن تكون المحبة كلها له ، والخوف والرجاء ، وجميع الطاعة ، والذل والتعظيم .

● **وقال شيبة الحمد في تفسيره :** ووجه الاستدلال على وحدانية الله عز وجل بجريان الفلك في البحر بما ينفع الناس أنك لو ألقيت مسمارًا في البحر غاص إلى أعماقه وقد علم الله عز وجل نوحًا عليه السلام أن يصنع الفلك ليركب فيه هو والمؤمنون وأن يحمل معه من كلٍّ زوجين اثنين فصار نوح عليه السلام يهيىء المسامير العظام والأخشاب وبدأ يصنع السفينة ولم يكن أحد قد عرفها[1] قبل ذلك فسخر منه المشركون ، ولما أرسل الله

---

(١) قوله ولم يكن أحد قد عرفها قبل ذلك يحتاج إلى دليل .

الطوفان نجى نوحًا والذين آمنوا معه ، وكانت تجري بهم في موج كالجبال وهي مصنوعة من الخشب والمسامير على حد قوله تبارك وتعالى : ﴿ وحملناه على ذات ألواحٍ ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ [القمر : ١٣ ، ١٤] الدُّسُر جمع دسار وهو المسمار ، فصارت السفن الشبيهة بالجبال تمشي على متن الماء ويرسل الله عز وجل الرياح فتدفعها فوق الماء وتسوقها كما قال عز وجل: ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ [الشورى : ٣٢] أي : ومن دلائل ألوهيته وربوبيته وقدرته هذه السفن التي تجري في البحر كأنها جبال ، وكما قال عز وجل: ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ [الرحمن : ٢٤] ، ومن المعلوم أن الله عز وجل خص كل قطر من أقطار الدنيا المتباعدة بمزايا وأشياء معينة لا توجد في القطر الآخر وكان الناس في كل بلد قد يحتاجون إلى ما في البلد الآخر ، وقد يفصل بينهم وبين الجهات التي يحتاجون إلى حاصلاتها البحار الشاسعة والمحيطات العظيمة كالمحيط الهادي والمحيط الأطلسي والبحر الأحمر والمحيط الهندي وغيرها ، وكان لا سبيل إلى الوصول إليها إلا بهذه السفن التي أرشدهم الله عز وجل إليها ، مع ما في البحار من المنافع العظيمة ، كما قال عز وجل : ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أُجاج ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [فاطر : ١٢] وكما قال عز وجل : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] .

❋ ❋ ❋

س : وضح الدليل من إنزال المطر على وحدانية الله عز وجل ورحمته بالعباد ؟

ج : وجه ذلك يتضح من قوله تعالى : ﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركًا

فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقًا للعباد وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾ [ق : ٩ - ١١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليه الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾ [الحج : ٥ ، ٦] .

● وكما قال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها[1] وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ [يس : ٣٣ - ٣٥] .

● وكما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ [السجدة : ٢٧] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ والذي نزل من السماء ماءً بقدرٍ فأنشرنا به بلدة ميتًا كذلك تخرجون ﴾ [الزخرف : ١١] .

قال ابن سعدي رحمه الله : ﴿ فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ [البقرة : ١٦٤] فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النباتات ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها ، أليس ذلك دليلًا على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج ولطفه بعباده وقيامه بمصالحهم وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه ؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم ؟ أليس ذلك دليلًا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم ؟!! .

* * *

(١) وإحياؤها يكون بالمطر بإذن الله عز وجل كما يكون بإذن الله بالعيون .

س : ما هو وجه الدلالة من بث الدواب على رحمة الله عز وجل بالعباد ووحدانيته سبحانه وتعالى ؟

ج : بث الدواب أي : نشرها وتفريقها في أنحاء الأرض ، ووجه الدلالة من بثها على رحمة الله عز وجل ووحدانيته أنه سبحانه سخرها للناس ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع ، فمنها دواب سخرت لحمله ، ومنها دواب سخرت لمطعمه ومشربه يأكل منها اللحم ويشرب منها اللبن ، ومنها دواب يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، ومنها دواب وجه الانتفاع منها هو الاعتبار والاتعاظ فالحية مثلًا تخيفه رؤيتها فيتذكر مانع الزكاة مثلًا ما سيلقاه يوم القيامة من الشجاع الأقرع فيبادر بإخراج الزكاة ، وتذكره فيتعوذ بالله من شرها . ومنها دواب سخرت لحراسته ومصلحته إلى غير ذلك ، فكل ذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى بعباده وكون الله عز وجل رازق هذه الدواب ومتكفلٌ بها وعالم بأمرها وحده سبحانه دليل على وحدانيته والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بتصريف الرياح ؟

ج : المراد : تنويعها فمرة تأتي عقيمًا ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات إلى غير ذلك .

قال الطبري رحمه الله : و (تصريف) الله إياها أن يرسلها مرة لواقح ، ومرة يجعلها عقيمًا ويبعثها عذابًا تدمر كل شيء بأمر ربها . ثم أورد أثرًا حسن الإسناد عن قتادة[1] قوله : ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر ﴾ [البقرة : ١٦٤] قال : قادرٌ والله ربنا على ذلك إذا شاء جعلها رحمةً لواقح للسحاب ونشرًا بين يدي رحمته ، وإذا شاء جعلها عذابًا ريحًا عقيمًا لا تُلقح إنما هي عذاب على من أرسلت عليه .

---

(١) أثر رقم (٢٤٠٥) .

ثم قال الطبري رحمه الله : وزعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] أنها تأتي مرة جنوبًا وشمالًا وقبولًا ودبورًا ثم قال : وذلك تصريفها ، وهذه الصفة التي وصف الرياح بها صفة تصرفها لا صفة تصريفها لأن (تصريفها) تصريف الله لها ، و (تصرفها) اختلاف هبوبها .

وقد يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] تصريف الله تعالى ذكره هبوب الريح باختلاف مهابها ، والله أعلم .

***

س : ما هو وجه الدلالة من تصريف الرياح على وحدانية الله سبحانه ؟

ج : وجه ذلك أن الذي يقدر على تصريف الرياح هو الله سبحانه وتعالى وحده لا يستطيع ذلك أحدٌ سواه ، فكما **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى** : أي : فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه ، وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية ، وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة ، وتارة دبورًا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة .

ونحو **ذلك قال ابن سعدي رحمه الله تعالى فقال** : وفي ﴿ تصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] باردة وحارة جنوبًا وشمالًا وشرقًا ودبورًا وبين ذلك ، وتارة تثير السحاب وتارة تؤلف بينه وتارة تلقحه وتارة تدره وتارة تمزقه وتزيل ضرره وتارة تكون رحمة وتارة ترسل بالعذاب فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه ؟ وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات وتصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنباتات إلا العزيز الحكيم الرحيم اللطيف بعباده المستحق لكل ذلٍّ

وخضوع ومحبة وإنابة وعبادة ؟

وقال الماوردي في تفسيره : والآية فيها من وجهين :

أحدهما : اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها ، والصبا دبورًا فلا يعلم لانتقالها سبب ، ولا لانصرافها جهة .

والثاني : ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع ، وانتقام يؤذي . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى تسخير السحاب بين السماء والأرض وكيف يكون ذلك ؟

ج : تسخير السحاب تذليله وتوجيهه إلى حيث يشاء الله عز وجل ويتم ذلك بأمر الله عز وجل كما قال سبحانه في كيفية ذلك : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ [النور : ٤٣] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمراتِ كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ [الأعراف : ٥٧] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الدلالة من تسخير السحاب بين السماء والأرض على وحدانية الله سبحانه وتعالى ؟

ج : قال الماوردي رحمه الله تعالى : (النكت والعيون ١/٢١٨) : والآية فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه .

والثاني : ثبوته بين السماء والأرض من غير عمدٍ ولا علائق .

والثالث : تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى** : وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث شاء فيحيي به البلاد والعباد ويروي التلول والوهاد وينزله على الخلق وفق حاجتهم إليه فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم فينزله رحمة ولطفًا ويصرفه عناية وعطفًا فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه وألطف امتنانه !!! أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه ، أليس ذلك دَليلًا على حلمه وصبره وعفوه وصفحه وعظيم لطفه ؟ فله الحمد أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا .

● **قال شيبة الحمد في تفسيره** : ولما كان طبع الماء ثقيلًا يقتضي النزول كان بقاؤه في الجو من الآيات البينات .

وقال صديق حسن خان (فتح البيان) : والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقًا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده ، وفيه آيات أُخر .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (الدابة) في قوله تعالى : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى** : والدابة (الفاعلة) من قول القائل : (دبت الدابة تدب دبيبًا فهي دابة) .

و (الدابة) اسم لكل ذي روح كان غير طائر بجناحيه لدبيبه على الأرض .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : ودابة تجمع الحيوان كله ، وقد أخرج بعض الناس الطير وهو مردود ، قال الله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته .

قال الأعشي : دِبيبُ قَطا البَطْحاء في كلِّ مَنْهَل .

وقال علقمة بن عَبدة :

صواعِقُهـا لطيرهـن دَبِيـبُ

قلت (مصطفى) : وحجة من أخرج الطير من الدواب قوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [الأنعام : ٣٨] أما الإجابة على قول من قال : إن الطير تدب على الأرض في بعض الأحيان فدفعه (على رأى من أخرج الطير) بأن الحكم للغالب وأغلب أحوال الطير أن يكون في الهواء لكن التحرير يقتضي أن الدابة في الأصل ما يدب على الأرض لكن لا يمتنع أحيانًا أن يدخل فيها غيرها كمن يدب أحيانًا على الأرض ، وذلك كسائر الاصطلاحات في الكتاب العزيز أحيانًا تأتي عامة وأحيانًا تأتي ويراد بها الخصوص والذي يظهر لي في هذا الموطن أن الدابة يدخل فيها الطير ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف يُحتج على أهل الكفر بقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض .. ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهناك منهم من لا يرى أن السموات والأرض مخلوقتان ؟

ج : ابتداء قد لا يقول قائل بأن هذا احتجاج على الكفار إنما هو كما ذكره الله عز وجل آيات لقوم يعقلون .

أما وجه الاحتجاج بالآية الكريمة على المشركين (عند من يرى أن الآية تحمل احتجاجًا على المشركين) فهو على المشركين الذين يقرون بأن الله خالق السموات والأرض كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ [لقمان : ٢٥] وكما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩] فناسب أن يحتج عليهم بما أقروا به .

ويحتج أيضًا على الملاحدة القائلين بأن السموات والأرض ليستا مخلوقتين بأن وجودهما على هذا الوضع الذي هي عليه تشير بأن لها خالقًا وتدل على ذلك غاية الدلالة ، ولكن الملاحدة كابروا في ذلك أما العقلاء من الناس فأقروا لما رأوا ما عليه السموات والأرض من حسن وبهاء وكمال وجمال وإتقان أن لها مدبرًا خالقًا .

وقد طرح الطبري رحمه الله تعالى نفس السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال قائل : وكيف احتج على أهل الكفر بقوله : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] الآية ، في توحيد الله ؟ وقد علمت أن أصنافًا من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر في هذه الآية مخلوقةً ؟

قيل : إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميع ما ذكر تعالى في هذه الآية ، دليلًا على خالقه وصانعه ، وأن له مدبرًا لا يشبهه [شيء] ، وبارئًا لا مثل له . وذلك وإن كان كذلك ، فإن الله حاج بذلك قومًا كانوا مقرين بأن الله خالقهم ، غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام والأوثان . فحاجهم تعالى ذكره فقال – إذ أنكروا قوله : ﴿ وإلهكم إلهٌ واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، وزعموا أن له شركاء من الآلهة – : [إن إلهكم الذي خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين

في سيرهما . وذلك هو معنى اختلاف الليل والنهار في الشمس والقمر] ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ [البقرة : ١٦٤] وأنزل إليكم الغيث من السماء ، فأخصب به جنابكم بعد جدوبة ، وأمرعه بعد دثوره ، فنَعَشَكم به بعد قنوطكم ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ [البقرة : ١٦٤] وسخر لكم الأنعام فيها لكم مطاعم ومآكل ، ومنها جمالٌ ومراكب ، ومنها أثاث وملابس ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ [البقرة : ١٦٤] وأرسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم ، وسير لكم السحاب الذي بودقه حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم - وذلك هو معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

فأخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم ، وتفرد لهم بها . ثم قال : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، فتشركوه في عبادتكم إياي ، وتجعلوه لي ندًّا وعدلًا ؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، ففي الذي عددت عليكم من نعمتي ، وتفردت لك بأيادي ، دلالاتٌ لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل ، والجور والإنصاف . وذلك أني لكم بالإحسان إليكم متفرد دون غيرى ، وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أندادًا . فهذا هو معنى الآية .

والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها ، هم القوم الذين وصفت صفتهم دون المعطلة والدهرية ، وإن كان في أصغر ما عد الله في هذه الآية ، من الحجج البالغة ، والمَقْنَعُ لجميع الأنام ، تركنا البيان عنه ، كراهة إطالة الكتاب بذكره .

***

س : الآيات الدالة على أن السحاب مسخرٌ آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ والسحاب المسخر ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه إلا بلد ميت ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا .. ﴾ [الروم : ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات ، فاذكر حديثًا يبين أن السحاب مسخر أيضًا ؟

ج : هذا الحديث هو ما ورد في الصحيح[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بينا رجلٌ بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتًا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءً في حَرَّة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأرد فيها ثلثه .

❋ ❋ ❋

س : من متى يبدأ الليل ومتى ينتهي ومن متى يبدأ النهار ومتى ينتهي ؟

ج : يبدأ الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

ويبدأ النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، كما رواه ابن فارس في المجمل ، يدل عليه ما ثبت في صحيح

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٢٩٨٤) .

مسلم عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال له عدي : يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقالًا أبيض وعقالًا أسود أعرف بهما الليل من النهار ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار » ، فهذا الحديث يقضي أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهو مقتضى الفقه في الأيمان وبه ترتبط الأحكام .

* * *

س : لماذا قدم الليل على النهار في قوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : يرى بعض أهل العلم أن الليلَ قدم على النهار لأن الظلمة أقدم ، قاله صديق حسن خان (فتح البيان) ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ [يسٓ : ٣٧] وقال أيضًا : وهذا أصح القولين .

قلت : ويستشهد له أيضًا بقول النبي ﷺ : « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل »[1] ، والله أعلم .

* * *

س : هل الليلة تابعة لليوم الذي قبلها أو اليوم الذي بعدها ؟

ج : يرى كثير من العلماء أن الليلة تابعة لليوم الذي بعدها ، واستثنوا

---

(١) صحيح ، أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٤٢) ، وقال : هذا حديث حسن ، وأخرجه أيضًا أحمد (١٧٦/٢ ، ١٩٧) ، وابن حبان (موارد الظمآن حديث ١٨١٢ ، ١٨١٣) ، والحاكم (٣٠/١ المستدرك) من طرق عن ابن الديلمي (وهو عبد الله بن فيروز) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .
وانظر أيضًا الشريعة للآجري ص ١٧٥

من ذلك يوم عرفة فإن ليلته هي التي تأتي بعده (أي : هي التي يبيت فيها الناس بمزدلفة) ، واستدلوا لهذا الاستثناء بحديث عروة بن مضرس[1] إذ جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله أتعبت نفسي وأكلت راحتي وما تركت جبلًا إلا وقفت عليه ... فقال له النبي ﷺ : « من صلى معنا الفجر بمزدلفة وكان قبل ذلك قد وقف ساعة من ليلٍ أو نهارٍ بعرفات فقد أتم حجه وقضى تفثه » . والله تعالى أعلم .

***

س : ما المراد بالذي ينفع الناس في قوله تعالى : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس .. ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : المراد - والله أعلم - ما يحصله الناس من وراء تلك الأسفار من تجارات ودفع مجاعات وسد جوعات وكسوة عاريات وحجج وعمرات وغزوٍ وفتوحات إلى غير ذلك من وسائل الانتفاع التي ينتفع بها الناس في دنياهم ، والله تعالى أعلم .

***

س : لماذا قيل للسحاب سحاب ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : وإنما قيل للسحاب سحاب إن شاء الله لجر بعضه بعضًا وسحبه إياه ، من قول القائل : (مرَّ فلان يجر ذيله) يعني : (يسحبه) .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث رقم ١٩٥٠) ، والترمذي (حديث ٨٩١) ، وقال : هذا حديث صحيح ، والنسائيُّ (٥/٢٦٣) ، وابن ماجه حديث (٣٠١٦) ، وأحمد (٤/١٥) وغيرهم .

وقال القرطبي رحمه الله : سمي السحاب سحابًا لانسحابه في الهواء ، وسحبت ذيلي سحبًا ، وتسحب فلان على فلان : اجترأ ، والسحب شدة الأكل والشرب والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

أندادًا – إذ يرون – الأسباب – كرة – حسرات ؟

ج :

الكلمة	معناها
أندادًا	أمثالًا – نظراء – عدلاء .
إذ يرون	إذ يعاينون العذاب .
الأسباب	الأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها إلى النجاة[1].

(١) وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في سؤال مستقل إن شاء الله تعالى .

الكلمـــة	معناهـــا
كرة	رجعة إلى الدنيا[1]
حسرات	الحسرة التلهف على ما فات ، وقيل الحسرة هي أشد الندامة .



(١) أخرج الطبري رحمه الله (٢٤٣٢) بإسناد حسن عن قتادة : ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ [البقرة : ١٦٦]أي : لنا رجعة إلى الدنيا .

(**وخامسها**) : أن المؤمنين يوحدون ربهم ، والكفار يعبدون مع الصنم أصنامًا فتنقص محبة الواحد ، أما الإله الواحد فتنضم محبة الجميع إليه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] قولٌ مجمل نريد إيضاحه ؟

ج : لأهل العلم في إيضاحه وجهان :

أحدهما : أن المشركين يحبون آلهتهم كحبهم لله عز وجل ، فعلى هذا القول يثبت للمشركين شيء من المحبة لله عز وجل .

الثاني : أن المشركين يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله عز وجل .

● قال الطبري رحمه الله : .. وأن الذين اتخذوا هذه « الأنداد » من دون الله يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله ، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبًّا لله من متخذي هذه الأنداد لأندادهم .

ثم قال الطبري رحمه الله فإن قال قائل : وكيف قيل : « كحب الله » ؟ وهل يحب الله الأنداد ؟ وهل كان متخذو الأنداد يحبون الله ؟ ، فيقال : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه ، وإنما ذلك نظير قول القائل : (بعت غلامي كبيع غلامك) ، بمعنى : بعته كما بيع غلامك ، وكبيعك غلامك ، (واستوفيت حقي منه استيفاء حقك) ، بمعنى استيفاءك حقك ، فتحذف من الثاني كناية اسم المخاطب ، اكتفاء بكنايته في (الغلام) و (الحق) ، كما قال الشاعر :

فلست مُسَلِّمًا ما دمت حيًّا   على زيدٍ بتسليم الأمير

يعني بذلك : كما يسلم على الأمير .

فمعنى الكلام إذًا : ومن الناس من يتخذ ، أيها المؤمنون ، من دون الله

أندادًا يحبونهم كحبكم الله .

س : قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] أشد حبًّا لله مِنْ مَنْ ؟

ج : لأهل العلم أيضًا قولان في هذا الباب .

أحدهما : أشد حبًّا لله من : حب المشركين لله ، فعلى هذا القول يكون المشركون يحبون الله ويحبون آلهتهم كحبهم لله كما قال تعالى مبينًا حالهم وقولهم : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧ ، ٩٨] .

الثاني : أشد حبًّا لله من حب المشركين لآلهتهم ، وكلا القولين له وجه ، ونورد هنا ما ذكره ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم لما فيه من الفائدة .

قال رحمه الله تعالى :

ثم قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة :١٦٥] وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما : والذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم ، وآلهتهم التي يحبونها ، ويعظمونها من دون الله .

والثاني : والذين آمنوا أشد حبًّا لله من محبة المشركين بالأنداد لله ، فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسطٍ منها . والمحبة الخالصة أشد من المحبة المشركة .

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] فإن فيها قولان :

أحدهما : يحبونهم كما يحبون الله . فيكون قد أثبت لهم محبة لله ، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادًا .

والثاني : أن المعنى يحبون أندادهم ، كما يحب المؤمنون الله ، أشد

من محبة أصحاب الأنداد ، لأندادهم .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجح القول الأول ، ويقول : إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة و لم يخلصوها لله ، كمحبة المؤمنين له . وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم ، وهم في النار ، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم ، وهي محضرة معهم في العذاب ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧ ، ٩٨] ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية ، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم .

هذا حال قلب المؤمن : توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه ، لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة . ولما كانت كثرة ذكر الشيء موجبة لدوام محبته ، ونسيانه سببًا لزوال محبته أو ضعفها . وكان الله سبحانه هو المستحق من عباده نهاية الحب مع نهاية التعظيم ، بل الشرك الذي لا يغفره الله لعبده : هو أن يشرك به في الحب والتعظيم ، فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله تعالى ويعظمه قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] فأخبر سبحانه أن المشرك يحب الند كما يحب الله تعالى ، وأن المؤمن أشد حبًّا لله من كل شيء . وقال أهل النار في النار : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧] ، ومن المعلوم : أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأليه والعبادة ، وإلا فلم يقل أحد قط : إن الصنم أو غيره من الأنداد مساوٍ لرب العالمين في صفاته وفي أفعاله ، وفي خلق السموات والأرض ، وفي خلق عابده أيضًا . وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة .

وأضل من هؤلاء وأسوأ حالًا من سوى كل شيء بالله سبحانه في الوجود ، وجعله وجود كل موجود ، كامل أو ناقص . فإذا كان الله قد

حكم بالضلال والشقاء لمن سوى بينه وبين الأصنام في الحب ، مع اعتقاد تفاوت ما بين الله وبين خلقه في الذات والأوصاف والأفعال ، فكيف بمن سوى الله بالموجودات في جميع ذلك ، بل كيف بمن جعل ربه كل هذه الموجودات ؟ وزعم أن من عبد حجرًا أو شجرًا ، أو حيوانًا فما عبد غير الله في كل معبود .

***

س : من المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة :١٦٥]؟ وما هو الدليل على ذلك؟

ج : المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] المشركون ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، فالخلود لا يكون إلا للمشرك لحديث : « وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[1] ، وكون الظلم يطلق على الشرك ففي كتاب الله عز وجل على هذا الإطلاق أدلة ، منها قوله تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] ونحو ذلك ، والله أعلم .

***

س : ما هو المراد بمحبة المشركين للأنداد ؟

ج : المراد عبادتهم لهم وتعظيمهم إياهم ، وعلى رأي من ذهب إلى أن الأنداد السادة الذين يطاعون في معصية الله وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل ، فيدخل في هذه المحبة الطاعة أيضًا .

هذا ولا يدخل في هذه المحبة التي يحبها المشركون للأنداد اعتقاد أن الأنداد خلقتهم ، فهذا شيءٌ لم يقر به المشركون ، بل قال الله عز وجل حاكيًا عن المشركين : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف : ٨٧]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم (ص ١٨٤) .

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيءٍ وهُو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ [المؤمنون :٨٤ – ٨٩] .

● وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ [يونس : ٣١] .

هذا وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى[1] في تأويل قوله تعالى : ﴿ ومن النـاس من يتخـذ من دون الله أنـدادًا يحبونهم كحـب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] : أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا ، فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلق والربوبية ، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] قراءتان مشهورتان وضحهما ، وبيِّن معنى الآية على كل قراءة منهما ؟

ج : **القراءة الأولى هي** ﴿ ولو يرى ﴾ بالياء (المثناة التحتانية) من يرى ، وهي قراءة أهل الكوفة وأهل مكة .

والمعنى على هذا القول كما نقله القرطبي عن أبي عبيد : لو يرى

---

(١) التفسير القيم .

الذين ظلموا في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : قال بعضهم : تقدير الكلام ، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا ، أي : أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] كما قال : ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ [الفجر : ٢٥ ، ٢٦] يقول : لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال .

وقال الطبري رحمه الله [1] : ولو يرى الذين ظلموا عذاب الله الذي أعد لهم في جهنم لعلموا حين يرونه فيعاينونه أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب إذ يرون العذاب .

وقال شيبة الحمد في تفسيره : أي : ولو يعاين هؤلاء الذين أشركوا مع الله غيره في المحبة ما أعد الله لهم من العذاب والعقوبة في نار جهنم لما أشركوا معه غيره ، لأنهم لو عاينوا ذلك لعلموا أن القهر والسلطان والحكم لله وحده ، وأن هؤلاء الأنداد لا يملكون لهم نفعًا ولا يدفعون عنهم ضرًّا ؛ بل يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة ويلعن بعضهم بعضًا .

أما القراءة الثانية فهي : ﴿ ولو ترى ﴾ بالتاء (المثناه الفوقانية) مِن ترى ، وهي التي اختارها الطبري رحمه الله تعالى ونقلها عن عامة أهل المدينة والشأم ، فقال رحمه الله : اختلفت القرأة في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل المدينة والشأم : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ بالتاء ﴿ إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة :١٦٥] بالياء ﴿ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] بفتح (أنَّ) و (أنَّ) كلتيهما بمعنى : ولو ترى يا محمد

---

(١) أي : في تفسير الآية على هذه القراءة ، وإلا فقد اختار الطبري رحمه الله القراءة الثانية ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

الذين كفروا ظلموا أنفسهم حين يرون عذاب الله ويعاينونه ﴿ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] ... ثم قال الطبري رحمه الله : والصواب من القراءة عندنا في ذلك : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] – بالتاء من (ترى) – ﴿ إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العقاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] بمعنى : لرأيتَ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب . فيكون قوله : (لرأيت) الثانية ، محذوفةً مستغنى بدلالة قوله : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة :١٦٥] ، عن ذكره ، إذ كان جوابًا لـ (لو) .

ويكون الكلام ، وإن كان مخرجه مَخرجَ الخطاب لرسول الله ﷺ – معنيًّا به غيره ، لأن النبي ﷺ كان لا شك عالمًا بأن القوة لله جميعًا ، وأن الله شديد العذاب ، ويكون ذلك نظير قوله : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٠٧] ، وقد بيناه في موضعه .

وإنما اخترنا ذلك على قراءة (الياء) ، لأن القوم إذا رأوا العذاب ، قد أيقنوا أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ، فلا وجه أن يُقال : لو يرون أنّ القوة لله جميعًا – حينئذ ، لأنه إنما يُقالُ : (لو رأيت) ، لمن لم ير ، فأما من قد رآه ، فلا معنى لأن يقال له : (لو رأيت) .

ثم قال رحمه الله :

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة :١٦٥] ، ولو ترى ، يا محمد ، الذين ظلموا أنفسهم ، فاتخذوا من دوني أندادًا يحبونهم كحبكم إياي ، حين يُعاينون عذابي يوم القيامة الذي أعددت لهم ، لعلمتم أن القوة كلها لي دون الأنداد والآلهة ، وأنَّ الأنداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئًا ، ولا تدفع عنهم عذابًا أحللتُ بهم ، وأيقنتم أنّي شديدٌ عذابي لمن كفر بي ، وادَّعى معي إلهًا غيري .

س : من هم الذين اتُّبعوا ؟

ج : الذين اتُّبعوا هم المعبودون الذين كانوا يُعبدون في الدنيا من دون الله عز وجل ومع الله عز وجل ، فيدخل فيهم الشيطان وتدخل فيهم الأوثان ويدخل الملائكة والجن والجبابرة والقادة والرؤساء ، وعيسى عليه السلام يتبرأ أيضًا من عابديه .

هذا وقد قصر بعض أهل العلم ﴿ الذين اتُّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] في هذا الموطن على الجبابرة والقادة والرءوس في الشرك والضلال ، فروي عن قتادة بإسنادٍ حسن[1] في قوله تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبعوا ﴾ [البقرة:١٦٦] وهم الجبابرة والقادة والرءوس في الشرك ﴿ من الذين اتَّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] وهم الأتباع الضعفاء ﴿ ورأوا العذاب ﴾ [البقرة :١٦٦] .

وذهب الطبري رحمه الله تعالى في تأويل الآية الكريمة إلى أن المتبوعين على الشرك يتبرأون من تابعيهم ، ولكنه حمل هؤلاء المتبوعين على الأنداد من الرجال ، فقال رحمه الله تعالى : والصواب من القول عندي في ذلك : أنَّ الله تعالى ذكره أخبر أن المتبعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله ، ولم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض ، بل عم جميعهم ، فداخلٌ في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا ، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة .

وأما دلالة الآية فيمن عنى بقوله : ﴿ إذ تَبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، فإنها إنما تدل على أنَّ الأنداد الذين اتخذوهم من دُون الله من وصَف تعالى ذكره صفته بقوله : ﴿ ومنَ الناس مَن يَتخذُ

---

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٤١٣) .

من دُون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] ؛ هم الذين يتبرأون من أتباعهم .

وإذ كانت الآيةُ على ذلك دالةً ، صح التأويل الذي تأوله السدي في قوله :[١] ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، أن (الأنداد) في هذا الموضع ، إنما أريد بها الأندادُ من الرجال الذين يطيعونهم فيما أمروهم به من أمر ، ويعصون الله في طاعتهم إياهم ، كما يُطيع الله المؤمنون ويعصون غيره - وفسد تأويل قول من قال : ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، أنهم الشياطين تبرأوا من أوليائهم من الإنس ، لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن مُتخذي الأنداد .

قلت (مصطفى) : والقول بالتعميم أولى من قصرها على الأنداد ، فعموم المعبودين يتبرأون من عابديهم ، وهذا ما سيرد في السؤال اللاحق إن شاء الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة توضح براءة المعبودين من عابديهم ؟

ج : من هذه الأدلة أدلة عامة ومنها أدلة تفصيلية ؟

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

---

(١) أثر السدي عند الطبري رقم (٢٤١١) من طريق موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، قال : الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله .

وأخرج الطبري أيضًا (٢٤١٦) من نفس الطريق : موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] : أما ﴿ الذين اتبعوا ﴾ فهم الشياطين تبرأوا من الإنس .

● قوله تبارك وتعالى: ﴿ كلما دخلت أمةٌ لعنت أختها ﴾ [الأعراف:٣٨].

● قوله سبحانه : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ ويوم يُناديهم فيقول أين شركائِي الذين كنتم تزعمون * قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغْوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون * وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ [القصص : ٦٢ - ٦٤] .

أما الأدلة التفصيلية :

فالملائكة تتبرأ من عابديها ، قال الله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون * فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ [سبأ : ٤٠ - ٤٢] .

● **وكذلك الشيطان** يتبرأ من تابعيه ، قال الله سبحانه : ﴿ وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

● **وكذلك الأوثان تتبرأ من عابديها** ، قال الله تعالى : ﴿ وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعضٍ ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

● **والجن كذلك** ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من

دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة[1] وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

● **وكذلك عيسى ابن مريم [2] عليهما السلام يتبرأ ممن عبدوه ،** قال الله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

● **وكذلك الجبابرة والظلمة يتبرأون ممن عبدهم وأطاعهم في معصية الله يوم القيامة ،** قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عندْ ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا * وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ [سبأ : ٣١ - ٣٣] .

---

(١) حمل عدد من أهل العلم هذه الآية على أن المعبودين (المدعوين من دون الله) هم الجن ، ونرى أن معناها هنا أوسع ، والله تعالى أعلم .

(٢) بيد أن عيسى ابن مريم عليهما السلام من أهل الجنة ومن أهل الوجاهة والدرجات العلى والمقربين فيها ، قال الله عز وجل في شأنه : ﴿ وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، وأيضًا هو من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، وقد قال تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء :١٠١] .

● وقال تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

***

س : ما معنى ﴿ بهم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم ﴾ [البقرة : ١٦٦] ؟ وما المراد بـ ﴿ الأسباب ﴾ ؟

ج : أما ﴿ بهم ﴾ فمعناها (عنهم) وهي كقوله تعالى : ﴿ فسئل به خبيرا ﴾ [الفرقان : ٥٩] أي : فاسأل عنه خبيرًا .

● **أما معنى الأسباب** ، فالأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها الشخص إلى مطالبه وإلى ما يريد ، فقد يتوصل الشخص إلى مطلبه بجاهه ، وقد يتوصل بعمله ، وقد يتوصل بحيلةٍ يحتالها ، وقد يتوصل بقرابته ، وقد يتوصل بماله ، وقد يتوصل بصداقاته وأخلائه إلى غير ذلك من الوسائل فكل هذه أسباب ، فالمراد بقوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، أي : وانقطعت عنهم وسائل النجاة والخلاص التي يريدون أن ينجوا بها من عذاب الله عز وجل ، وها هي بعض أقوال أهل العلم في تفسير الأسباب وإيضاحها .

● وأخرج الطبري[١] من طرق عن عبيد المكتب عن **مجاهد** ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] قال : الوصال الذي كان بينهم في الدنيا ، وفي رواية : تواصلهم في الدنيا .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسناد حسنٍ[٢] **عن قتادة :** ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] : أسباب الندامة يوم القيامة ، وأسباب المواصلة

---

(١) الطبري (٢٤١٧) ، (٢٤١٨) ، (٢٤١٩) .

(٢) الطبري (أثر رقم ٢٤٢٤) .

التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها ويتحابُّون بها ، فصارت عليهم عداوة يوم القيامة ، ثم يوم القيامة يكفر بعضُكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ويتبرأ بعضكم من بعض ، وقال الله تعالى ذكره : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] فصارت كل خلَّة عداوة على أهلها إلا خُلة المتقين .

• وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح[1] عن ابن زيد في قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] قال : أسباب أعمالهم ، فأهل التقوى أعطوا أسباب أعمالهم وثيقة فيأخذون بها فينجون ، والآخرون أعطوا أسباب أعمالهم الخبيثة فتقطَّعُ بهم فيذهبون في النار .

• وقال الطبري رحمه الله : (والأسباب) : الشيء يُتعلق به ، قال : و (السبب) : الحبل ، (والأسباب) : جمع (سبب) ، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طلبته وحاجته ، فيقال للحبل : (سبب) ، لأنه يُتسبب بالتعلق به إلى الحاجة التي لا يوصل إليها لا بالتعلق به . ويقال للطريق (سبب) ، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه . وللمصاهرة (سبب) ، لأنها سببٌ للحرمة . وللوسيلة (سبب) ، للوصول بها إلى الحاجة ، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة ، فهو (سبب) لإدراكها .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول في تأويل قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم – من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار – يتبرأ – معاينهم عذاب الله – المتبوعُ من التابع ، وتتقطع بهم الأسباب .

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بعضهم يلعنُ بعضًا ، وأخبر عن

---

(١) أثر (٢٤٣١) .

الشيطان أنه يقول لأوليائه : ﴿ ما أنا بمُصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ، وأخبر تعالى ذكره أن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضًا ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون * ما لكم لا تناصرون ﴾ [الصافات : ٢٤ - ٢٥] ، وأن الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه ، وإن كان نسيبه لله وليًا ، فقال تعالى ذكره في ذلك : ﴿ وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وأخبر تعالى ذكره أن أعمالهم تصير عليهم حسرات .

وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب ، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به ، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه ، فهي منقطعة بأهلها . فلا خلال بعضهم بعضًا نفعهم عند ورودهم على ربهم ، ولا عبادتُهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم ؛ ولا دافعت عنهم أرحامهم فنصرتهم من انتقام الله منهم ، ولا أغنت عنهم أعمالهم ، بل صارت عليهم حسرات . فكل أسباب الكفار منقطعة .

فلا معنى أبلغ - في تأويل قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة :١٦٦] - من صفة الله [ذلك] ، وذلك ما بينا من [تقطع] جميع أسبابهم دون بعضها ، على ما قلنا في ذلك . ومن ادعى أن المعنى بذلك خاص من الأسباب ، سُئل عن البيان على دعواه من أصل لا منازع فيه ، وعورض بقول مخالفه فيه . فلن يقول في شيء من ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] أي : الوصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من رحمٍ وغيره ، عن مجاهد وغيره ، الواحد سبب ووصلة ، وأصل السبب الحبل

يشدُّ به الشيء فيجذبه ، ثم جعل كل ما جرَّ شيئًا سببًا ، وقال السدي وابن زيد : إن الأسباب أعمالهم ، والسبب الناحية ومنه قول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا يَنلْنَه ولو رام أسبابَ السماء بِسُلَّم

● **وقال الرازي رحمه الله :** أصل السبب في اللغة الحبل ، قالوا : ولا يدعى الحبل سببًا حتى ينزل ويصعد به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ [الحج : ١٥] ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضعٍ أو حاجة تريدها : سبب ، يُقال ما بيني وبينك سبب ، أي : رحم ومودة ، وقيل للطريق : سبب ، لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريده ، قال تعالى : ﴿ فأتبع سببًا ﴾ [الكهف : ٨٥] أي : طريقًا ، وأسباب السموات أبوابها ، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها ، قال تعالى مخبرًا عن فرعون : ﴿ لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات ﴾ [غافر : ٣٧] ، قال زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

والمودة بين القوم تسمى سببًا ، لأنهم بها يتواصلون .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كذلك ﴾ من قوله تعالى : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات ﴾ [البقرة : ١٦٧] ماذا يراد به ؟

ج : المراد – والله أعلم – كما أنهم تبرأ بعضهم من بعض فأيضًا يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم .

وقيل أيضًا : كما أراهم الله العذاب في قوله : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] فكذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، والله أعلم .

س : هل الكفار لو ردُّوا إلى الدنيا لعبدوا الله وحده كما زعموا في قولهم : ﴿ لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ [البقرة : ١٦٧] ؟

ج : كلا بل هم كاذبون في دعواهم ، فلو ردو لعادوا إلى الكفر وموالاة أهله أيضًا ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام :٢٧ -٢٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأعمال في قوله تعالى : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالأعمال هنا جملة أقوال :

القول الأول : أن المراد بالأعمال هنا الأعمال السيئة التي عملها الكفار فيُري اللَّهُ عز وجل للكفار أعمالهم السيئة فيودوا أنهم لم يعملوها وأنهم عملوا صالحًا غيرها .

وقد أخرج الطبري[1] رحمه الله بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿ أعمالهم حسرات ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، قال : أو ليس أعمالهم الخبيثةُ التي أدخلهم الله بها النار ؟ [فجعلها] حسرات عليهم . قال : وجعل أعمال أهل الجنة لهم ، وقرأ قول الله : ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ [الحاقة : ٢٤] .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : معنى قوله : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، كذلك

(١) أخرجه الطبري (٢٤٣٧) .

يري الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم ، لم عملوا بها ؟ وهلّا عملوا بغيرها ؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة ، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها ، لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم .

فالذي هو أولى بتأويل الآية ، ما دلَّ عليه الظاهرُ دون ما احتمله الباطن الذي لا دلالة له على أنه المعنيُّ بها . والذي قال السدي في ذلك ، وإن كان مذهبًا تحتمله الآية ، فإنه منزع بعيد . ولا أثر – بأن ذلك كما ذكر – تقوم به حُجة فيسلم لها ، ولا دلالة في ظاهر الآية أنه المراد بها . فإذ كان الأمر كذلك ، لم يُحل ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل .

القول الثاني : أن المراد بالأعمال هنا أوامر الله التي أمرهم الله بها ونواهيه التي نهاهم عنها سبحانه ، فيُري الله عز وجل هذه الأوامر والنواهي للكافرين فيتحسروا على عدم امتثالهم لأوامره وعدم اجتنابهم نواهيه .

وقد حكى الطبري هذا القول عن قائليه فقال :

فقال بعضهم : معنى ذلك : كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَّعوها ولم يعملوا بها ، حتى استوجب – ما كان الله أعدَّ لهم ، لو كانوا عملوا بها في حياتهم ، من المساكن والنِّعم – غيرهم بطاعته ربه . فصار ما فاتهم من الثواب – الذي كان الله أعده لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا ، إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك – أسًى وندامةً وحَسرةً عليهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط[1] ، عن السدي : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة:١٦٧] ،

---

(١) أسباط تكلم فيه بعض أهل العلم .

زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها ، لو أنهم أطاعوا الله ، فيقال لهم : تلك مساكنكم لو أطعتم الله ! ثم تُقسم بين المؤمنين ، فيرثونهم . فذلك حين يندمون .

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال حدثنا أبو الزعراء[٢] ، عن عبد الله – في قصة ذكرها – فقال : فليس نفسٌ إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار ، وهو يوم الحسرة . قال : فيرى أهلُ النار الذين في الجنة ، فيقال لهم : لو عملتم ! فتأخذهم الحسرة . قال : فيرى أهل الجَنة البيتَ الذي في النار ، فيقال : لولا أن منَّ الله عليكم !

فإن قال قائل : وكيف يكون مضافًا إليهم من العمل ما لم يعملوه على هذا التأويل ؟

قيل : كما يُعرض على الرجل العملُ فيقال [له] قبل أن يعمله : هذا عملك . يعني : هذا الذي يجب عليك أن تعمله ، وكما يقال للرجل يحضر غداؤه قبل أن يتغدى به : هذا غداؤك اليوم . يعني به : هذا ما تتغدى به اليوم . فكذلك قوله : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، يعني : كذلك يُريهم الله أعمالهم التي كان لازمًا لهم العمل بها في الدنيا ، حسرات عليهم .

● **القول الثالث :** أن المراد بالأعمال هنا الأعمال الصالحة التي عملها الكفار في الدنيا وذهب ثوابها في الآخرة بسبب كفرهم فيتحسرون على تلك الأعمال التي عملوها وذهب ثوابها ، وذلك كما قال تعالى في شأن ذهاب ثواب تلك الأعمال .

---

(١) أبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ قال البخاري فيه : لا يتابع في حديثه ..

• ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

• وكما قال سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [إبراهيم : ١٨] .

• وكما قال سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جآءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] .

• وثمَّ أقوال أخر منها : أن المراد بـ (أعمالهم) سيادتهم ووجاهتهم في الدنيا يتحسرون على ذهابها ، إلى غير ذلك من الأقوال ، والله أعلم .



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات .

حلالًا - طيبًا - خطوات الشيطان - مبين - السوء - الفحشاء - ألفينا - ينعق ؟

ج :

الكلمة	معناها
حلالًا	طلقًا - الحلال ما أحله الله في كتابه .
طيبًا	طاهرًا غير نجس ولا محرم - مستطابًا في نفسه غير ضار بالعقول والأبدان .
خطوات الشيطان	طرقه ومسالكه وأفعاله وما يأمر به من الخطايا[1] .

(١) وقال بعض أهل العلم : كل معصية فهي من خطوات الشيطان .

الكلمة	معناها
مبين	ظاهر العداوة .
السوء	هو كل ما يُسيء صاحبه ، وقيل هو عموم المعاصي.
الفحشاء	الكبائر وما استفحش من الذنوب .
ألفينا	وجدنا[1] .
ينعق[2] .	ينادي - يصيح - يُصَوِّت .



(١) أخرج الطبري (٢٤٤٨) بإسناد حسن عن قتادة ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ [البقرة : ١٧٠] ، أي : ما وجدنا عليه آباءنا .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : (ينعق) فإنه يصوِّت بالغنم (النعيق والنُّعاق) ومنه قول الأخطل .

فَانْعِقْ بضأْنك يا جَرِيرُ فإنما ... مَنَّتْكَ نفسُك في الخلاء ضَلالًا

يعني : صوِّت به .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة : ١٦٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – كلوا من الطيب الذي أحللته لكم في الأرض واجتنبوا ما حرمته عليكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان الذي يهلككم ويرديكم فيحرم عليكم طيبات أحللتها لكم ، ويحل لكم ماحرمته عليكم .

قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد ﷺ ، فطيبته لكم – مما تحرمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرمه عليهم – دون ما حرمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجسته من ميتة ودم ولحم خنزير وما أهل به لغيري . ودعوا خطوات الشيطان – الذي يوبقكم فيهلككم ، ويوردكم موارد العطب ، ويحرم عليكم أموالكم – فلا تتبعوها ولا تعملوا بها ، إنه – يعني بقوله : (إنه) إن الشيطان ، و (الهاء) في قوله : (إنه) عائدة على الشيطان – لكم أيها الناس (عدو مبين) ، يعني : أنه قد أبان لكم عداوته ، بإبائه عن السجود لأبيكم ، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة ، واستزله بالخطيئة ، وأكل من الشجرة .

يقول تعالى ذكره : فلا تنتصحوه ، أيها الناس ، مع إبانته لكم العداوة ، ودعوا ما يأمركم به ، والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحللته لكم وحرمته عليكم ، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه ، طاعة منكم للشيطان واتباعًا لأمره .

❋ ❋ ❋

س : نهانا الله عز وجل عن اتباع خطوات الشيطان وحذرنا منه في جملة آيات اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي .

● قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [النور : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [فاطر : ٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [يسٓ : ٦٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾ [القصص : ١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] .

• والشيطان هو الذي نزغ بين نبي الله يوسف وبين إخوته كما قال: ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

• وقال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ...... ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة التي استدل بها الأصوليون على أن الأصل في المطعومات الحل ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا .... ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وفي الحديث القدسي : « كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال .. »[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٩] ، انتظم جميع الذنوب متسلسلة من الأصغر للأكبر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الآية بدأت بذكر السوء ، وقد قال بعض أهل العلم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ، مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبدًا حلالٌ ... » الحديث .
ونحلته ، أي : أعطيته .

إن المراد به هنا المعاصي ، ثم ثنت الآية بالفحشاء والمراد بها الكبائر ، ثم بقوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٩] ، فتدخل فيها البدع ويدخل فيها الكفر كذلك فتكون الآية الكريمة قد انتظمت المعاصي (في قوله : بالسوء) ، ثم الكبائر (في قوله : والفحشاء) ، ثم البدع والكفر (في قوله : وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض عقوبات أكل الحرام ؟

ج : من هذه العقوبات منع استجابة الدعاء ، فقد ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له[1] .

* * *

س : ما المراد بالسوء ، وكذلك ما المراد بالفحشاء في قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ [البقرة : ١٦٩] ؟

ج : المراد بالسوء كل ما يسيء صاحبه ، والمعاصي من السوء لأنها تسيء إلى صاحبها بسوء العاقبة التي يلقاها ويصير إليها والفحشاء هي كبائر الذنوب (كالزنا واللواط ونحو ذلك) .

قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ [البقرة : ١٦٩] سمي السوء سوءًا ، لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه . وهو مصدر ساءه يسوؤه سوءًا ومساءةً : إذا أحزنه . وسؤته فسيء : إذا أحزنته . فحزن ؛ قال الله تعالى : ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ [الملك : ٢٧] . وقال الشاعر :

---

(١) أخرجه مسلم (٧/٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

إن يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرني الدهر
الأمر عندي فيهما واحد لذاك شكرٌ ولذاك صبر

والفحشاء أصله قبح المنظر ؛ كما قال :

وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحشٍ

ثم استعملت اللفظة فيما يقبح من المعاني . والشرع هو الذي يحسن ويقبح ؛ فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء . وقال مقاتل : إن كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنى ؛ إلا قوله : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] فإنه منع الزكاة .

قلت : فعلى هذا قيل : السوء ما لا حد فيه ، والفحشاء ما فيه حدٌّ . وحكي عن ابن عباس وغيره ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الشيطان يأمر بني آدم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ، اذكر شيئًا مما قاله بنو آدم وافتروه على الله عز وجل مما لا علم لهم به ؟

ج : من هذه الافتراءات : تقولهم على الله عز وجل في مسائل التحليل والتحريم ، فيحلون أشياء ويحرمون أشياء وينسبون ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، قال الله سبحانه : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون * وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون * وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة

لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علمٍ وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ [الأنعام : ١٣٦ — ١٤٠] .

● ومنها : تقولهم وافتراؤهم وقولهم هذه سائبة وتلك وصيلة وذاك حام ، وقد ردَّ الله عز وجل عليهم مزاعمهم تلك فقال سبحانه : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

كما قال تعالى : ﴿ قلَ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حرامًا وحلالًا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ [يونس : ٥٩] .

ثم افتراءات على الله عز وجل كما زعمت اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة حيث قالوا : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] وزعمهم أن يد الله مغلولة ، كما حكى الله ذلك عنهم فقال سبحانه : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ومزاعمهم مع النصارى : أن لله الولد ، كما حكى ذلك الله سبحانه عنهم فقال عز وجل : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة :١٦٩] . فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي ، ويزعمون أن الله حرم ذلك . فقال تعالى ذكره لهم : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

فأخبرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن قيلهم : (إن الله حرم هذا !) من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان ، وأنه قد أحله لهم وطيبه ، ولم يحرم أكله عليهم ، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته ، طاعةً منهم للشيطان ، واتباعًا منهم خطواته ، واقتفاء منهم آثار أسلافهم الضلال وآبائهم الجهال ، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهالًا ، وعن الحق ومنهاجه ضلالًا - وإسرافًا منهم ، كما أنزل الله في كتابه على رسوله ﷺ فقال تعالى ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : في معناها :

فمعنى الآية : وإذا قيل لهؤلاء الكفار : كلوا مما أحل الله لكم ، ودعوا خطوات الشيطان وطريقه ، واعملوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ في كتابه - استكبروا عن الإذعان للحق وقالوا : بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه ، من تحليل ما كانوا يحلون ، وتحريم ما كانوا يحرمون .

قال الله تعالى ذكره : ﴿ أولو كان آباؤهم ﴾ - يعني : آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم - ﴿ لا يعقلون شيئًا ﴾ من دين الله وفرائضه ، وأمره ونهيه ، فيتبعون على ما سلكوا من الطريق ، ويؤتم بهم في أفعالهم - ﴿ ولا يهتدون ﴾ لرشد ، فيهتدي بهم غيرهم ، ويقتدي بهم من طلب الدين ، وأراد الحق والصواب ؟

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار : فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم

عليه آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم ، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا ولا هم مصيبون حقًا ولا مدركون رشدًا ، وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه ، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لا عقل له ولا تمييز .

***

س : الهاء والميم في قوله تعالى (لهم) من قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ [البقرة : ١٧٠] ترجع إلى من ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنها ترجع إلى متخذي الأنداد .

فالمعنى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .

● وذهب فريق من أهل العلم إلى أن الهاء والميم ترجع إلى الناس الذين خوطبوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

فالمعنى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان .. وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، لكن يقال هنا : إن قوله : يا أيها الناس كلوا .. خطاب للحاضر ، وقوله : وإذا قيل لهم.. حكاية عن الغائب ، فكيف يلتئم هذا ؟ ، فللإجابة على هذا التساؤل يقال : إن الانتقال في الخطاب من الحاضر إلى الغائب أو من الغائب إلى الحاضر واردٌ في كتاب الله عز وجل في مواطن عدة .

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ﴾ [يونس : ٢٢] فقال سبحانه : ﴿ كنتم ﴾ ، وقال : ﴿ وجرين بهم ﴾ .

وقال تعالى أيضًا : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا إن هذا كان لكم جزاءً

وكان سعيكم مشكورًا ﴾ [الإنسان : ٢١ ، ٢٢] فقال : ﴿ وسقاهم ﴾ ، ثم اتجه للمخاطب بقوله : ﴿ لكم ، وسعيكم ﴾ .

● وهذا التأويل الأخير هو الذي اختاره الطبري رحمه الله محتجًا له بأمرين :

أحدهما : أن قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ [البقرة : ١٧٠] عقيب قوله : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

الثاني : أن قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله .. ﴾ [البقرة : ١٧٠] نزلت في اليهود فالآية على ذلك بعيدة السياق والمعنى عن قوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قلت (مصطفى) : أما الإسناد الذي أورده الطبري رحمه الله تعالى يثبت به أن الآية الكريمة نزلت في اليهود فهو إسناد ضعيف إذ هو من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

ولكن على كل حال فالآية تحتمل الوجهين المذكورين من التفسير ، والله أعلم .

● أما قوله : ﴿ اتبعوا ما أنزل الله ﴾ : أي : اعملوا بما أنزل الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فنفذوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم الله عنه وتدبروا ما فيه والعلم عند الله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات الدالة على ذم التقليد والمقلدة في الباطل ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا

عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ [لقمان : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم آتيناهم كتابًا من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [الزخرف : ٢١ – ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٨ ، ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

✱ ✱ ✱

س : قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع

إلا دعاء ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] فيه تأويلان مشهوران لأهل العلم وضحهما ؟

ج : **التأويل الأول هو** : ومثل واعظ الذين كفروا الذي يعظهم مع هؤلاء الكفار كمثل صاحب بقر أو غنم أو بهيمة يناديها وينعق بها فتسمع ما يقول لكنها لا تفقه منه شيئًا ، فهناك أربعة أطراف :

١ – واعظ[1] الذين كفروا ٢ – الذين كفروا

٣ – الناعق الذي ينعق (وهو الراعي) ٤ – الذي لا يسمع (وهي : الدواب التي يرعاها) .

فحال واعظ الذين كفروا مع الذين كفروا كحال الراعي مع البهائم التي يناديها ، فكما أن البهائم لا تفهم من راعيها شيئًا إلا صوته ، فكذلك الذين كفروا لا يفهمون من واعظهم شيئًا إلا صوته فعلى ذلك فالذين كفروا بهائم ، ويؤيد كونهم بهائم ما يلي :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .
- قوله تبارك وتعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة ﴾ [المدثر : ٤٩ –٥١] .
- قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

---

(١) وواعظ الكفار هو كل داعٍ لهم إلى الخير ، وبالدرجة الأولى هو نبينا محمد ﷺ .

• وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾ [الجمعة : ٥] .

• **والوجه الثاني من أوجه التأويل :** ومثل الذين كفروا مع آلهتهم التي يدعونها من دون الله (عند ندائهم لها وطلبهم منها) كمثل الراعي حين ينادي البهائم التي لا تفهم عنه ولا تعي ما يقول .

فهناك أيضًا أربعة أطراف :

١ - الذين كفروا حين ينادون ٢ - الآلهة

٣ - الراعي حين ينادي ٤ - بهائمه

فكما أن البهائم لا تعقل شيئًا إلا أنها تسمع الدعاء والنداء ، فكذلك الآلهة التي تدعى من دون الله لا تعقل شيئًا[١] .

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك [٢] :

• **قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى :**

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم معنى ذلك : مثل الكافر - في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به - مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها ولا تعقل ما يقال لها .

ثم أورد جملة آثار منها : أثر قتادة[٣] بإسناد حسن قوله : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] يقول : مثل الكافر كمثل البعير والشاة يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدري ما عني به .

---

(١) وإن قدر سماع فهو سماع الجنية التي في بعضها .

(٢) وسنستفيض في إيراد أقوالهم حتى يتضح المعنى تمامًا إن شاء الله .

(٣) أثر (٢٤٥٦) ، والآثار التي أشرنا إليها - غير هذا - في أسانيدها ضعف .

ثم قال الطبري رحمه الله : ومعنى قائلي هذا القول – في تأويلهم ما تأولوا ، على ما حكيت عنهم – : ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم ، كمثل نعق الناعق بغنمه ونعيقه بها . فأضيف (المثل) إلى الذين كفروا ، وترك ذكر (الوعظ والواعظ) ، لدلالة الكلام على ذلك . كما يقال : (إذا لقيت فلانًا فعظمه تعظيم السلطان) ، يراد به : كما تعظم السلطان ، وكما قال الشاعر :

فلست مسلمًا ما دمت حيًّا على زيدٍ بتسليم الأمير

يراد به : كما يسلم على الأمير .

وقد يحتمل أن يكون المعنى – على هذا التأويل الذي تأوله هؤلاء – : ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله ، كمثل المنعوق به من البهائم ، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت . وذلك أنه لو قيل له : (اعتلف ، أورد الماء) ، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله . فكذلك الكافر ، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه – بسوء تدبره إياه وقلة نظره وفكره فيه – مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهي عنه . فيكون المعنى للمنعوق به ، والكلام خارجٌ على الناعق ، كما قال نابغة بني ذبيان :

وقد خفت ، حتى ما تزيد مخافتي على وعِلٍ في ذي المطارة عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي ، وكما قال الآخر :

كانت فريضة ما تقول ، كما كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى : كما كان الرجم فريضة الزنا ، فجعل الزنا فريضة الرجم ، لوضوح معنى الكلام عند سامعه ، وكما قال الآخر :

إن سراجًا لكريمٌ مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره

والمعنى : يحلى بالعين ، فجعله تحلى به العين . ونظائر ذلك من كلام العرب أكثر من أن تحصى ، مما توجهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما

صاحبه ، لظهور معنى ذلك عند سامعه ، فتقول : (اعرض الحوض على الناقة) ، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وما أشبه ذلك من كلامها .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل ، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ، وذلك الصدى الذي يسمع صوته ولا يفهم به عنه الناعق شيئًا .

فتأويل الكلام على قول قائلي ذلك : ومثل الذين كفروا وآلهتهم - في دعائهم إياها وهي لا تفقه ولا تعقل - كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعق إلا دعاءً ونداءً ، أي : لا يسمع منه الناعق إلا دعاءه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله[1] : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] ، قال : الرجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يراجعه يقال له (الصدى) . فمثل آلهة هؤلاء لهم ، كمثل الذي يجيبه بهذا الصوت ، لا ينفعه ، لا يسمع إلا دعاء ونداء . قال : والعرب تسمي ذلك الصدى .

وقد تحتمل الآية على هذا التأويل وجهًا آخر غير ذلك . وهو أن يكون معناها : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم ، كمثل الناعق بغنم له من حيث لا تسمع صوته غنمه ، فلا تنتفع من نعقه بشيء ، غير أنه في عناء من دعاء ونداء . فكذلك الكافر في دعائه آلهته ، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها ، ولا ينفعه شيء .

قال أبو جعفر : وأولى التأويل عندي بالآية ، الأول الذي قاله ابن عباس

---

(١) صحيح عن ابن زيد

ومَن وافقه عليه . وهو أن معنى الآية : ومثل وَعظ الكافر وواعظه ، كمثل الناعق بغنمه ونَعيقه ، فإنه يسمع نَعقه ولا يعقل كلامه ، على ما قد بينا قبل .

فأما وجه جواز حذف (وعظ) اكتفاء بالمثل منه ، فقد أتينا على البيان عنه في قوله ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ، وفي غيره من نظائره من الآيات ، بما فيه الكفاية من إعادته .

وإنما اخترنا هذا التأويل ، لأن هذه الآية نزلت في اليهود ، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها ، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها ، ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضرها . ولا وجه - إذ كان ذلك كذلك - لتأويل من تأول ذلك أنه بمعنى : مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها .

فإن قال قائل : وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود ؟

قيل : دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها ، فإنهم هم المعنيون به .

فكان ما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم ، أحق وأولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم ، حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم . هذا مع ما ذكرنا من الأخبار عمن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت ، والرواية التي روينا عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم[1] . وبما قلنا

---

(١) قال شاكر رحمه الله هذا موضع مشكل في كلام أبي جعفر رضي الله عنه ، كان ينبغي أن يبينه فضل بيان . فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التي قبل هذه الآية نزلت في يهود ، وليس كذلك . ثم عاد بعد قليل يقول : « هذا مع الرواية التي رويناها عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم » - يعني في يهود . ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته ، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التي =

من أن هذه الآية معني بها .

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) .

تضمن هذا المثل : ناعقًا أي : مصوتًا بالغنم وغيرها ، ومنعوقًا به .

= « قبل هذه الآية » نزلت فيهم ، فيما روي عن ابن عباس – معنى مفهوم .

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول : إن الآيات السالفة نزلت في اليهود – إلا الآيات الأخيرة من أول قوله : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴾ إلى قوله : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣ – ١٧٠] ، فهي قد نزلت في كفار العرب ، وذكر ابن عباس أن الآية الأخيرة : (١٧٠) نزلت في يهود أيضًا . ثم أن الآيات بعدها هي ولا شك في يهود وأهل الكتاب ، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود . فكأنه جعل الآيات من (١٦٣ – ١٦٩) اعتراضًا في سرد قصة واحدة ، هي قصة يهود .

فإن لم يكن ذلك كذلك ، فلست أدري كيف يتسق كلامه . فهو منذ بدأ في تفسير هذه الآيات من ١٦٣ – ١٦٩ لم يذكر إلا أهل الشرك وحدهم ، وبين أن المقصود بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ – هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص٣٠٠) ، ثم عاد في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ فقال : فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي (ص٣٠٣) . واليهود ، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها ، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر ، فهم أيضًا لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر في تفسير الآيات السالفة . فهذا تناقض منه رحمه الله – إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التي ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركو العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل .

والصواب من القول عندي ، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة ، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها في ذكر المشركين الذي قال الله لهم : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ ، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو أول قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ والآيات التي تليها . وانظر ما سيأتي : ٣١٧ ، فإنه قد عاد هناك ، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية ، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم ، وهو تناقض شديد .

وهو الدواب فقيل : الناعق العابد ، وهو الداعي للصنم . والصنم : هو المنعوق به المدعو ، وأن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه . هذا قول طائفة . منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره .

واستشكل صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول ، وقالوا : قوله ﴿ إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] لا يساعد عليه . لأن الأصنام لا تسمع دعاء ولا نداءً .

وقد أجيب عن هذا الاستشكال بثلاثة أجوبة .

أحدها : أن « إلا » زائدة . والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء .

قالوا : وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر :

حراجيـح ما تنفـك إلا مناخـة

أي : ما تنفك مناخة . وهذا جواب فاسد . فإن « إلا » لا تزاد في الكلام المثبت .

الجواب الثاني : أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء ، لا في خصوصيات المدعو .

الجواب الثالث : أن المعنى : أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعائهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع من نعيقه بشيء ، غير أنه هو في دعاء ونداء . وكذلك المشرك ليس له من دعائه وعبادته وليه الميت إلا العناء .

وقيل : المعنى : ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي أكثر من الصوت . فإن الراعي هو داعي الكفار ، والكفار هم البهائم المنعوق بها .

قال سيبويه : المعنى : ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق

والمنعوق به .

وعلى قوله فيكون المعنى : مثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق ولك أن تجعل هذا من التشبيه المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق .

فإن جعلته من المركب كان تشبيهًا للكفار - في عدم فقههم وانتفاعهم - بالغنم التي ينعق بها الراعي ، فلا تفقه من قوله شيئًا غير الصوت المجرد ، الذي هو الدعاء والنداء .

وإن جعلته من التشبيه المفرق ، فالذين كفروا بمنزلة البهائم ، ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمنزلة البهائم التي ينعق بها ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق ، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى** : والمعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى .

● وقال أيضًا : وقال قُطْرب : المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم - يعني الأصنام كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي .

وقال ابن سعدي رحمه الله :

ثم قال تعالى ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ .

لما بين تعالى ، عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل ، وردهم لذلك ، بالتقليد ، وعلم من ذلك أنهم غير قابلين للحق ، ولا مستجيبين له ، بل كان معلومًا لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم أخبر تعالى أن مثلهم - عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان - كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها ،

وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها .

فهم لا يسمعون مجرد الصوت ، الذي تقوم عليه الحجة ، ولكنهم لا يفقهونه فقهًا ينفعهم ، فلهذا كانوا صمًّا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول ، عميًا ، لا ينظرون نظر اعتبار ، بكمًا ، فلا ينطقون بما فيه خير لهم .

والسبب الموجب لذلك كله ، أنه ليس لهم عقل صحيح ، بل هم أسفه السفهاء ، وأجهل الجهلاء .

فهل يستريب العاقل ، أن من دعي إلى الرشاد ، وذيد عن الفساد ، ونهي عن اقتحام العذاب ، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه ، وفوزه ، ونعيمه فعصى الناصح ، وتولى عن أمر ربه ، واقتحم النار على بصيرة ، واتبع الباطل ، ونبذ الحق- أن هذا ليس له مسكة من عقل ، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء ، فإنه من أسفه السفهاء .

وقال الزجاج (في معاني القرآن وإعرابه) رحمه الله :

وضرب الله عز وجل لهم هذا المثل وشبههم بالغنم المنعوق بها بما لا يسمع منه إلا الصوت فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق و المنعوق به بما لا يسمع لأن سمعهم ما كان ينفعهم فكانوا في شركهم وعدم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع ، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع : أصم ، قال الشاعر :

أصـمُّ عمـا سـاءَه سميع

وقال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير ص١/١٧٤) :

قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ﴾ .

في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أن معناها : ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي ،

وهذا قول الفراء ، وثعلب ، قالا جميعًا : أضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبههم بالراعي ، ولم يقل : كالغنم ، والمعنى : ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت ، فلو قال لها الراعي : ارعي ، أو اشربي ؛ لم تدر ما يقول ، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن ، وإنذار الرسول ، فأُضيف التشبيه إلى الراعي ، والمعنى في المرعي ، وهو ظاهر كلام العرب ، يقولون : فلان يخافك كخوف الأسد ، والمعنى : كخوفه الأسد . قال الشاعر :

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناءُ فريضةُ الرجم

المعنى : كما كان الرجم فريضة الزنى .

والثاني : أن معناها : ومثل الذين كفروا ، ومثلنا في وعظهم ، كمثل الناعق والمنعوق به ، فحذف : ومثلنا ، اختصارًا ، إذ كان الكلام ما يدل عليه . وهذا قول ابن قتيبة ، والزجاج .

والثالث : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون ، كمثل الذي ينعق ، هذا قول ابن زيد ، والذي ينعق هو الراعي ، يقال : نعق بالغنم ، ينعق نعقًا ونعيقًا ونعاقًا ونعقانًا . قال ابن الأنباري : والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال : نعق ، إلا في الصياح بالغنم وحدها ، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى . ﴿ صم بكم ﴾ [البقرة : ١٧١] إنما وصفهم بالصم البكم ، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع ، وكذلك في النطق والنظر ، وقد سبق شرح هذا المعنى .

✹ ✹ ✹

س : كيف يقال عن الكفار : إنهم ﴿ صم وبكم وعمي ﴾ مع أنهم يسمعون ويتكلمون ويبصرون ؟

ج : المراد – والله أعلم – أنهم صم عن سماع الحق فلا يسمعونه وإن سمعوه لا يعقلوه ، وبكمٌ أي : خرس عن التكلم به ، وعميٌ عن رؤيته والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله :

يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ صم بكم عميٌ ﴾ [البقرة :١٧١] هؤلاء الكفار الذين مثلهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً و نداءً ﴿ صمٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] عن الحق فهم لا يسمعون ﴿ بكمٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] يعني خرس عن قيل الحق والصواب والإقرار بما أمرهم الله أن يقرُّوا به وتبيين ما أمرهم الله تعالى ذكره أن يبينوه من أمر محمد ﷺ للناس فلا ينطقون به ولا يقولونه ولا يبينونه للناس ﴿ عميٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه .

ثم أورد الطبري رحمه الله أثرًا بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [البقرة : ١٧١] يقول : صم عن الحق فلا يسمعونه ولا ينتفعون به ولا يعقلونه ، عمي عن الحق والهدى فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به[١] .

❋ ❋ ❋

(١) الطبري (أثر ٢٤٦٤) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

س : اذكر معاني ما يلي :

كلوا من طيبات ما رزقناكم – اضطر ؟

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
كلوا من طيبات ما رزقناكم	كلوا من الرزق الحلال الطيب الذي أحللته لكم فطاب لكم بتحليلي إياه
اضطـر	ألجأته الضرورة[1]

❋ ❋ ❋

(١) وقد تكون الضرورة بالجوع المفضي إلى الموت أو الذي يخشى منه الموت ، أو تكون الضرورة بإكراه من عدو إلى غير ذلك ، والله أعلم .

س : رزق الله للعباد يستلزم الشكر ، ومزيد الرزق يستلزم مزيد الشكر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن العبد عليه أن يكون فطنًا ذكيًّا فكلما أنعم الله عليه بنعمة أحدث لها شكرًا فتزداد نعم الله عليه ، وإلا سلبت منه تلك النعم ، وكان الجحود مؤذنًا بزوالها .

ألا ترى أن سليمان عليه السلام لما أنعم الله عليه بما أنعم ورأى عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده ماذا قال ؟!!

● قال عليه السلام : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [النمل : ٤٠] ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه ماذا قال الله له ، قال عز وجل : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● وقال الله تعالى لأهل الإيمان لما منَّ عليهم بالرزق الحلال : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وقال تعالى لقوم سبإ : ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ : ١٥] ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيبًا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [النحل : ١١٤] .

● ولما أنعم الله على يوسف عليه السلام بالتوحيد والإيمان ماذا قال ؟

قال عليه السلام : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [يوسف : ٣٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرهًا

ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ [الأحقاف : ١٥ ، ١٦] .

● وقال النبي ﷺ : « إن الله يحب إذا أكل أحدكم الأكلة أن يحمده عليها وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها » .

● وقال نوح لما نجاه الله من القوم الظالمين : ﴿ الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحث على شكر الله على نعمه وآلائه .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] ؟

ج : المراد – والله أعلم – اشكروا لله إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين ، فكلوا مما أباحه لكم ، ودعوا ما حرَّمه الشيطان عليكم .

* * *

س : أمر الله عز وجل المؤمنين بما أمر به المرسلين في أكل الطيبات ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ [المؤمنون : ٥١]

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] ...» الحديث .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صلة هذه الآية ﴿ إنما حرَّم عليكم الميتة والدم ... ﴾ [البقرة : ١٧٣] بالآية التي قبلها ؟

ج : الصلة بين الآيتين تتضح من إيراد المعنى ، وهو كلوا أيها المؤمنون مما أحللته لكم واشكروا نعم الله عليكم في تحليله لكم ما أحله وتطييبه لكم ، ولا تحرموا على أنفسكم الطيبات التي أحللتها لكم ، ولاتعتقدوا في شيء أنه محرم فتمتنعون من أكله فإن الذي حرَّمته عليكم إنما هو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، وما سوى ذلك فهو لكم حلال .

قال الطبري رحمه الله : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] يعني : اطعموا من حلال الرزق الذي أحللناه لكم فطاب لكم بتحليلي إياه لكم مما كنتم تحرمون أنتم ولم أكن حرمته عليكم من المطاعم والمشارب ، ﴿ واشكروا لله ﴾ [البقرة : ١٧٢] يقول : وأثنوا على الله بما هو أهله منكم على النعم التي رزقكم وطيَّبها لكم ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] يقول : إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين فكلوا مما أباح لكم وحلله وطيبه لكم ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان . وقد ذكرنا بعض ما كانوا في جاهليتهم يحرمونه من المطاعم وهو الذي ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه إذ كان تحريمه إياه في الجاهلية طاعة منهم للشيطان ، واتباعًا لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف ثم بيَّن لهم تعالى ذكره ما حرَّم عليهم وفصَّله لهم مُفسرًا .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك محرمات أخرى أضيفت إلى ما في هذه الآية الكريمة ؟

ج : نعم هناك محرمات أخرى منها : كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي ناب من السباع فقد حرَّمها النبي ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : القراءة في ﴿ الميتة ﴾ هل هي بالتخفيف أم بالتشديد ؟

ج : ذكر الطبري رحمه الله تعالى فيها الوجهين فقال رحمه الله :

وأما ﴿ الميتة ﴾ ، فإن القرأة مختلفة في قراءتها . فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون في : « هو هيِّن ليِّن » « الهيْن الليْن » ، كما قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياء

فجمع بين اللغتين في بيت واحد ، في معنى واحد .

وقرأها بعضهم بالتشديد ، وحملوها على الأصل ، وقالوا : إنما هو (مَيْوِت) (فيعل) ، من الموت . ولكن (الياء)لساكنة و (الواو) المتحركة لما اجتمعتا ، (والياء) مع سكونها متقدمة ، قلبت (الواو) (ياء) وشددت ، فصارتا (ياء) مشددة ، كما فعلوا في ذلك في (سيد وجيد) . قالوا : ومن خففها ، فإنما طلب الخفة . والقراءة بها على أصلها الذي هو أصلها أولى .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في « ياء » « الميتة » لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب ، فبأيهما قرأ ذلك القارىء فمصيب . لأنه لا اختلاف في معنييهما .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالإهلال في قوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟ ، وما المراد بقوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ ؟

ج : المراد بالإهلال رفع الصوت ، ومن ثمَّ قيل للملبي : مُهل ؛ لرفعه صوته بالتلبية ، وقال النبي ﷺ : « ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا .. » الحديث فالإهلال رفع الصوت .

أما قوله تعالى : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] فمعناه – والله أعلم – وما ذبح وذكر عليه اسم غير اسم الله تبارك وتعالى ، وذلك أنهم كانوا يذكرون اسم آلهتهم على الذبيحة ويرفعون أصواتهم بذلك .

وأخرج الطبري رحمه الله بإسنادٍ صحيح إلى ابن وهب قال : قال ابن زيد – وسألته عن قول الله : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : ما يذبح لآلهتهم ، الأنصابُ التي يعبدونها ويسمون أسماءها عليها ، قال : يقولون : (باسم فلان) ، كما تقول أنت : (باسم الله) ، قال : فذلك قوله : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾[1] .

ومن العلماء من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] ما ذبح لغير الله[2] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

القول الأول : غير باغ على الناس خارجٍ على الأئمة بسيفه بغير حق ولا خارج في معصية الله ولا مفارق للجماعة ولا عاديًا عليهم بحرب وعدوان ، فمن خرج وهو مفارق للجماعة أو خرج على إمام المسلمين أو خرج قاطعًا للطريق ولم يجد طعامًا فليس له أن يأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير .

---

(١) الطبري أثر (٢٤٧٦) .

(٢) وقد أخرج ذلك الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر ٢٤٦٨) .

وممن قال بهذا القول مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى ، فقد روى الطبري ذلك عنه من عدة طرق[1] .

والقول الثاني : وهو غير باغ غير طالب للحرام وللشهوة ، و ﴿ لا عاد ﴾ أي : ولا متعد القدر الذي أبيح له أن يأكله .

فليس له أن يطلب الحرام وينشده ، وليس له أن يأكل أكثر من حاجته .

وقد أخرج الطبري[2] بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : غير باغ في أكله ولا عادٍ أن يتعدى حلالًا إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد[3] في قوله : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : أن يأكل ذلك بغيًا وتعديًا عن الحلال إلى الحرام ويترك الحلال وهو عنده ، ويتعدى بأكل هذا الحرام هذاالتعدي ينكر أن يكونا مختلفين ويقول : هذا وهذا واحد .

● قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرم عليه من أكله ، ولا عاد في أكله ، وله عن ترك أكله – بوجود غيره مما أحله الله له – مندوحة وغِنى .

وذلك أن الله تعالى ذكره لم يرخص لأحد في قتل نفسه بحال . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا شك أن الخارج على الإمام والقاطع الطريق ، وإن كانا قد أتيا ما حرَّم الله عليهما – : من خروج هذا على من خرج عليه ، وسعي هذا بالإفساد في الأرض – فغير مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حرم الله

---

(١) وقد تعقب الطبري هذا القول كما سيأتي إن شاء الله .
(٢) الطبري أثر (٢٤٨٧) .
(٣) الطبري أثر (٢٤٩٢) .

عليهما - ما كان حرم الله عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك - من قتل أنفسهما . (وردُّهما إلى محارم الله عليهما بعد فعلهما ما فعلا ، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مُرخَّصًا لهما قبل ذلك من فعلهما ، وإن لم نر ردَّهما إلى محارم الله عليهما تحريمًا فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حرامًا) . فإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب على قطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة ، الأوبة إلى طاعة الله ، والرجوع إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه ، والتوبة من معاصي الله - لا قتل أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إلى إثمهما إثمًا ، وإلى خلافهما أمر الله خلافًا .

وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه غير باغ في أكله شهوة ، فأكل ذلك شهوة ، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك - مما قد دخل فيما حرمه الله عليه - فهو بمعنى ما قلنا في تأويله ، وإن كان للفظه مخالفًا .

فأما توجيه تأويل قوله : ﴿ ولا عاد ﴾ ، ولا آكل منه شبعة ، ولكن ما يمسك به نفسه ، فإن ذلك ، بعض معاني الاعتداء في أكله . ولم يخصص الله من معاني الاعتداء في أكله معنى ، فيقال : عنى بعض معانيه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول ما قلنا : من أنه الاعتداء في كل معانيه المحرمة .

وقال الماوردي في تفسيره : وفي قوله ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] ثلاثة أقاويل :

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم فيدخل الباغي على الإمام وأمته ، والعادي قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير .

والثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعديًا بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة والحسن وعكرمة والربيع وابن زيد .

والثالث : غير باغ في أكلها شهوة وتلذذًا ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي ، وأصل البغي في اللغة : قصد الفساد يقال : بغت المرأة تبغي بغاءً إذا فجرت ، وقال الله عز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا ﴾ [النور : ٣٣] ، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد ، والعرب تقول : خرج الرجل في بغاء إبل له ، أي : في طلبها ومنه قول الشاعر :

لا يمنعنك من بغاء الخير تعقادُ التمائم
إن الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم

• **وذهب الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان إلى أن** الباغي والعادي هو المتجانف لإثم ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فمن اضطر في مخمصة غير متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٣] ثم قال : والمتجانف المائل ومنه قول الأعشى :

تجانف عن حجر اليمامة ناقتي وما قصدت من أهلها لسوائكا

فيفهم من الآية : أن الباغي والعادي كلاهما متجانف لإثم وهذا غاية ما يفهم منها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] من التأويل في هذه الآية الكريمة : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : موقعها أن من أكل شيئًا من هذه الأطعمة المحظورة مضطرًّا إليها غير باغ ولا عاد فإن الله غافر له ذنبه رحيم بكم إن أطعمتموه .

قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة: ١٧٣] أي : يغفر المعاصي ، فأولى ألا يؤاخذ بما رخَّص فيه ، ومن

رحمته أنه رخَّص .

وقال الطبري رحمه الله : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ .

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ، ﴿ إن الله غفورٌ ﴾ : إن أطعتم الله في إسلامكم ، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم ، وتركتم اتباع الشيطان فيما كنتم تحرمونه في جاهليتكم – طاعة منكم للشيطان واقتفاء منكم خطواته – مما لم أحرمه عليكم ، لما سلف منكم ، في كفركم وقبل إسلامكم ، في ذلك من خطأ وذنب ومعصية ، فصافحٌ عنكم ، وتارك عقوبتكم عليه ، ﴿ رحيم ﴾ بكم إن أطعتموه .

* * *

س : اذكر آيتين في معنى قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : أما الآية الأولى فهي قوله تعالى من سورة النحل : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ﴾ [النحل : ١١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وثمَّ آية أخرى من سورة المائدة : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية

والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب .. إلى قوله تعالى ... فمن اضطر في مخمصة غير متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٣] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .. ﴾ عامٌّ فهل جاءه تخصيص ؟

ج : نعم خصصت الآية الكريمة .

فالميتة أبيح منها ميتة السمك والجراد ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة .. ﴾[1] [المائدة : ٩٦] وحديث جابر رضي الله عنه في العنبر يخصص الآية الكريمة وكذلك[2] الحوت الذي قذفه البحر

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ﴾ الآية ظاهر هذه الآية : أن جميع أنواع الميتة والدم حرام ، ولكنه بين في موضع آخر أن ميتة البحر خارجة عن ذلك التحريم ، وهو قوله : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾ [المائدة : ٩٦] الآية ، إذ ليس للبحر طعامٌ غير الصيد إلا ميتته وما ذكره بعض العلماء من أن المراد ب (طعامه) قديده المجفف بالملح مثلًا ، وأن المراد ب (صيده) الطري منه ، فهو خلاف الظاهر لأن القديد من صيده فهو صيد جعل قديدًا ، وجمهور العلماء على أن المراد بطعامه ميتته .

● وقال القرطبي رحمه الله تعالى : وأكثر أهل العلم على جواز أكل جميع دواب البحر حيها وميتها .

(٢) أخرج البخاري (٤٣٦١) ، ومسلم (حديث ١٩٣٥) من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة راكب . وأميرنا أبو عبيدة ابن الجراح . نرصد عيرًا لقريش . فأقمنا بالساحل نصف شهر . فأصابنا جوع شديدٌ . حتى أكلنا الخبط . فسمي جيش الخبط . فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر . فأكلنا منها نصف شهر . وادهنا من ودكها حتى ثابت أجسامنا[1] قال : فأخذ أبو عبيدة ضلعًا من أضلاعه فنصبه[2] . ثم نظر إلى أطول رجل في =

---

(١) ثابت أجسامنا ، أي : رجعت إلى الحالة الأولى .

(٢) فنصبه ، كذا هو في النسخ : فنصبه . والضلع مؤنث . ووجه التذكير أنه أراد العضو .

= الجيش ، وأطول جملٍ فحمله عليه . فمر تحته . قال : وجلس في حجاج[1] عينه نفرٌ . قال : وأخرجنا من وقب عينه كذا وكذا قلة ودكٍ[2] . قال : وكان معنا جرابٌ من تمرٍ فكان أبو عبيدة يعطي كل رجلٍ منا قبضة قبضةٍ ثم أعطانا تمرةً تمرةً . فلما فني وجدنا فقده .

وفي رواية لمسلم (ص ١٥٣٥) عن جابر . قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة . نتلقى عيرًا[3] لقريش . وزودنا جرابًا[4] من تمرٍ لم يجد لنا غيره . فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرةً . قال فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نمصها[5] كما يمص الصبي . ثم نشرب عليه من الماء . فتكفينا يومنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخبط[6] . ثم نبله بالماء فنأكله . قال : وانطلقنا على ساحلِ البحر . فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب[7] الضخم . فأتيناه فإذا هي دابةٌ تدعى العنبر . قال : قال أبو عبيدة : ميتةٌ ثم قال : لا . بل نحن رسل رسول الله ﷺ . وفي سبيل الله . وقد اضطررتم فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهرًا . ونحن ثلاث مائةٍ حتى سمنا . قال : ولقد رأيتنا نغترف من وقب[8] عينه ، بالقلال[9] ، الدهن ونقتطع منه الفدر[10] كالثور (أو كقدر الثور[11]) فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا . فأقعدهم في وقب عينه . وأخذ ضلعًا . من أضلاعه . فأقامها ثم رحل[12] أعظم بعير معنا . فمر من تحتها . وتزودنا من لحمه وشائق[13] . فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ . =

---

(١) حجاج ، الحاء مكسورة ومفتوحة .لغتان مشهورتان. وهو بمعنى وقب عينه المذكور في الرواية السابقة.

(٢) ودك : هو دسم اللحم .

(٣) عيرًا : العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره .

(٤) جرابا ، بكسر الجيم وفتحها . الكسر أفصح وهو : وعاء من جلد .

(٥) نمصها ، بفتح الميم وضمها . الفتح أفصح وأشهر .

(٦) الخبط : ورق السلم .

(٧) الكثيب : هو الرمل المستطيل المحدودب .

(٨) وقب : هو داخل عينه ونقرتها .

(٩) بالقلال ، جمع قلة : وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه ، أي : يحملها .

(١٠) الفدر : هي القطع .

(١١) كقدر الثور : رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا : أحدهما بقاف مفتوحة ودال ساكنة أي : مثل الثور ، والثاني كفدر جمع فدرة . والأول أصح .

(١٢) رحل ، أي : جعل عليه رحلًا .

(١٣) وشائق : قال أبو عبيد : هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ، ولا ينضج ، ويحمل في الأسفار . يقال : وشقت اللحم فاتشق . والوشيقة الواحدة منه . والجمع وشائق ووشق . وقيل : الوشيقة القديد .

لأصحاب رسول الله ﷺ فأكلوا منه وقول النبي ﷺ في البحر : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته »[1] .

وقال ابن عمر : أحلت لنا ميتتان ودمان ، أما الميتتان فالسمك والجرادْ ، وأما الدمان فالكبد والطحال[2] .

= فذكرنا ذلك له . فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم . فهل معكم من لحمه شيءٌ فتطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه . فأكله .

وأخرج مسلم كذلك في آخر صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (حديث ٣٠١٤) : وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال : « عسى الله أن يطعمكم » ، فأتينا سيف البحر فزخر البحر زخرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فاطَّبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا ، قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعًا من أضلاعه فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل في الركب فدخل تحته ما يطأطىء رأسه .

(١) صححه عددٌ من أهل العلم منهم البخاري رحمه الله (ليس معنى ذلك أنه أخرجه في صحيحة ، فقد يصحح البخاري أحاديث ليست في صحيحه ، والحديث ليس في صحيح البخاري) ولمزيد من الوقوف على طرقه ومن صححه وأقوال العلماء فيه انظر التلخيص الحبير (حديث رقم ١) فهو أول حديث فيه .

(٢) صحيح موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما لكن له حكم الرفع فقول الصحابي : (أُحل لنا كذا) ، له حكم الرفع عند جمهور المحدثين ، وقد رواه موقوفًا على ابن عمر البيهقي رحمه الله تعالى في السنن الكبرى (٢٥٤/١) وفي السنن الصغرى (٤٠٨/٢) وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان .... الحديث » ، وقد أخرجه من هذا الوجه المرفوع الشافعي في مسنده (ص٣٤٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٤١/٢) ، وأحمد في المسند (٩٧/٢) ، وابن ماجه في سننه (٣٢١٨ و ٣٣١٤) ، والبيهقي في الكبرى (٢٥٧/٩) ، (٧/١٠) وفي المعرفة (١٩١/٧) ، وابن عدي في الكامل (٢٧١/٤ ، ٢٥٤) ، والدارقطني في السنن (٢٧١/٤ ، ٢٧٢) وغيرهم لكن رجح أكثر أهل العلم الموقوف وصوبوا أنه من قول ابن عمر رضي الله عنهما .

وممن رجح الموقوف الدارقطني والبيهقي وقبلهما أبو حاتم الرازي .

● ووصف بعض أهل العلم الحديث المرفوع بالنكارة (وممن وصفه بذلك العقيلي في الضعفاء) . وعلى كلٍّ فالموقوف هنا له حكم الرفع كما قدمناه ، والله تعالى أعلم .

والدم قد خصص بالدم المسفوح كما قال الله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا ... الآية ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وخرج منه أيضًا الكبد والطحال على ما تقدم ، وكذلك الدم الذي في العروق وعلى اللحم بعد الذبح كما سيأتي (كالحمرة التي تعلو القدر من أثر تقطيع اللحم) .

***

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في استعمال أنفحة الميتة ؟

ج : أوردها القرطبي مختصرة فقال :

فأما أنفحة الميتة ولبن الميتة فقال الشافعي : ذلك نجس لعموم قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ وقال أبو حنيفة بطهارتهما ؛ ولم يجعل لموضع الخلقة أثرًا في تنجس ما جاوره مما حدث في خلقه ، قال : ولذلك يؤكل اللحم بما فيه من العروق ، مع القطع بمجاورة الدم لدواخلها من غير تطهير ولا غسل إجماعًا . وقال مالك نحو قول أبي حنيفة : إن ذلك لا ينجس بالموت ، ولكن ينجس بمجاورة الوعاء النجس وهو مما لا يتأتى فيه الغسل . وكذلك الدجاجة تخرج منها البيضة بعد موتها ؛ لأن البيضة لينة في حكم المائع قبل خروجها ، وإنما تجمد وتصلب بالهواء .

قال ابن خويز منداد : فإن قيل : فقولكم يؤدي إلى خلاف الإجماع ؛ وذلك أن النبي ﷺ والمسلمين بعده كانوا يأكلون الجبن وكان مجلوبًا إليهم من أرض العجم، ومعلوم أن ذبائح العجم وهم مجوس ميتة ، ولم يعتدوا بأن يكون مجمدًا بأنفحة ميتة أو ذُكِّي . قيل له : قدر ما يقع من الأنفحة في اللبن المجبن يسير ؛ واليسير من النجاسة معفو عنه إذا خالط الكثير من المائع . هذا جواب على إحدى الروايتين . وعلى الرواية الأخرى إنما كان ذلك في أول الإسلام ، ولا يمكن أحد أن ينقل أن الصحابة أكلت الجبن المحمول من أرض العجم ، بل الجبن ليس من طعام العرب ؛ فلما انتشر المسلمون

في أرض العجم بالفتوح صارت الذبائح لهم ؛ فمن أين لنا أن النبي ﷺ والصحابة أكلت جبنًا فضلًا عن أن يكون محمولًا من أرض العجم ومعمولًا من أنفحة ذبائحهم !

❋ ❋ ❋

س : يشق على الشخص ، وهو ينظف الذبيحة أن يخلصها تمامًا من الدم الموجود باللحم والعروق فماذا يصنع ؟

ج : لا بأس بطبخ اللحم وهو على هذه الحالة ، قال الله سبحانه : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقد قيد الدم الممنوع بالدم المسفوح ، قال القرطبي رحمه الله تعالى :

قال ابن خويز منداد : وأما الدم فمحرم ما لم تعم به البلوى ، ومعفو عما تعم به البلوى . والذي تعم به البلوى هو الدم في اللحم وعروقه ، ويسيره في البدن والثوب يصلى فيه . وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾ [المائدة : ٣] ، وقال في موضع آخر : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا ﴾ [الأنعام : ١٤٥] فحرم المسفوح من الدم . وقد روت عائشة رضي الله عنها قالت : كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله ﷺ تعلوها الصفرة من الدم فنأكل ولا ننكره ؛ لأن التحفظ من هذا إصْرٌ وفيه مشقة ، والإصر والمشقة في الدين موضوع . وهذا أصل في الشرع ، أن كل ما حرجت الأمة في أداء العبادة فيه وثقل عليها سقطت العبادة عنها فيه ؛ ألا ترى أن المضطر يأكل الميتة ؛ وأن المريض يفطر ويتيمم في نحو ذلك .

قلت : ذكر الله سبحانه وتعالى الدم هاهنا مطلقًا ، وقيده في الأنعام بقوله : ﴿ مسفوحًا ﴾ ، وحمل العلماء ها هنا المطلق على المقيد إجماعًا . فالدم

هنا يراد به المسفوح ؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع ، وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم شحم الخنزير ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : أجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير . وكذلك نقل هذا الإجماع ابن جزي الكلبي في تفسيره ونقله أيضًا غير واحد من العلماء .

● وقال ابن العربي في أحكام القرآن : اتفقت الأمة على أن (لحم)[1] الخنزير حرام بجميع أجزائه ، والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد شغفت جماعة المبتدعة بأن تقول : فما بال شحمه ، بأي شيء حرم ؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال لحمًا فقد قال شحمًا ومن قال شحمًا فلم يقل لحمًا ، إذ كل شحم لحم ، وليس كل لحم شحمًا من جهة اختصاص اللفظ ، وهو لحم من جهة حقيقة اللحمية ، كما أن كل حمدٍ شكر وليس كل شكر حمدًا من جهة ذكر النعم ، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة والدم ... ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان بقوله : حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة ، هو الخوف من الهلاك علمًا أو ظنًّا .

---

(١) كلمت (لحم) مثبتة في بعض النسخ ، محذوفة من البعض الآخر ، والذي يبدو لي أن الأولى حذفها ، والله أعلم .

قال الزرقاني في شرح قول مالك في الموطأ ما جاء فيمن يضطر إلى أكل الميتة :

وحد الاضطرار أن يخاف على نفسه الهلاك علمًا أو ظنًّا . ولا يشترط أن يصير إلى حال يشرف معها على الموت ، فإن الأكل عند ذلك لا يفيد .

وقال النووي في شرح المهذب : الثانية في حد الضرورة :

قال أصحابنا : لا خلاف أن الجوع القوي لا يكفي لتناول الميتة ونحوها ، قالوا : ولا خلاف أنه لا يجب الامتناع إلى الإشراف على الهلاك ؛ فإن الأكل حينئذ لا ينفع ، ولو انتهى إلى تلك الحال لم يحل له أكلها ؛ لأنه غير مفيد ، واتفقوا على جواز الأكل إذا خاف على نفسه لو لم يأكل من جوع أو ضعف عن المشي أو عن الركوب ، وينقطع عن رفقته ويضيع ، ونحو ذلك .

فلو خاف حدوث مرض مخوف في جنسه فهو كخوف الموت ، وإن خاف طول المرض فكذلك في أصح الوجهين ، وقيل : إنهما قولان ، ولو عيل صبره ، وأجهده الجوع ، فهل يحل له الميتة ونحوها أم لا يحل حتى يصل إلى أدنى الرمق ؟ فيه قولان ذكرهما البغوي وغيره ، أصحهما : الحل .

قال إمام الحرمين وغيره : ولا يشترط فيما يخافه تيقن وقوعه لو لم يأكل ، بل يكفي غلبة الظن ، انتهى منه بلفظه . وقال ابن قدامة في المغني : إذا ثبت هذا فإن الضرورة المبيحة هي التي يخاف التلف بها إن ترك الأكل ، قال أحمد : إذا كان يخشى على نفسه سواء كان من الجوع ، أو يخاف إن ترك الأكل عجز عن المشي ، وانقطع عن الرفقة فهلك أو يعجز عن الركوب فيهلك ، ولا يتقيد ذلك بزمن محصور .

وحد الاضطرار عند الحنفية هو أن يخاف الهلاك على نفسه أو على عضو من أعضائه يقينًا كان أو ظنًّا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب الأكل من الميتة ونحوها إن خاف الهلاك أو يباح من غير وجوب ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله أيضًا فقال :

اختلف العلماء في ذلك ، وأظهر القولين الوجوب ؛ لقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] ، ومن هنا قال جمع من أهل الأصول : إن الرخصة قد تكون واجبة ، كأكل الميتة عند خوف الهلاك لو لم يأكل منها ، وهو الصحيح من مذهب مالك ، وهو أحد الوجهين للشافعية ، وهو أحد الوجهين عند الحنابلة أيضًا ، وهو اختيار ابن حامد . وهذا هو مذهب أبي حنيفة – رحمهم الله – وقال مسروق : من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات ، دخل النار إلا أن يعفو الله عنه .

وقال أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا : وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة بل هو عزيمة واجبة ، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصيًا ، نقله القرطبي وغيره ، وممن اختار عدم الوجوب ولو أدى عدم الأكل إلى الهلاك ، أبو إسحاق من الشافعية ، وأبو يوسف – صاحب أبي حنيفة – رحمهم الله ، وغيرهم ، واحتجوا بأن له غرضًا صحيحًا في تركه وهو اجتناب النجاسة ، والأخذ بالعزيمة .

وقال ابن قدامة في المغني في وجه كل واحد من القولين ما نصه : وهل يجب الأكل من الميتة على المضطر فيه وجهان :

أحدهما : يجب وهو قول مسروق ، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي .

قال الأثرم : سئل أبو عبد الله عن المضطر يجد الميتة و لم يأكل ، فذكر قول

مسروق : من اضطر فلم يأكل ولم يشرب دخل النار . وهذا اختيار ابن حامد . وذلك لقول الله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وترك الأكل مع إمكانه في هذا الحال إلقاء بيده إلى التهلكة ، وقال الله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] ، ولأنه قادر على إحياء نفسه بما أحله الله فلزمه ، كما لو كان معه طعام حلال .

والثاني : لا يلزمه ؛ لما روي عن عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ : أن طاغية الروم حبسه في بيت وجعل معه خمرًا ممزوجًا بماء ، ولحم خنزير مشوي ثلاثة أيام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مال رأسه من الجوع والعطش وخشوا موته ، فأخرجوه فقال : قد كان الله أحله لي ، لأني مضطر ، ولكن لم أكن لأشمتك بدين الإسلام ، ولأن إباحة الأكل رخصة فلا تجب عليه كسائر الرخص ، ولأن له غرضًا في اجتناب النجاسة والأخذ بالعزيمة ، وربما لم تطب نفسه بتناول الميتة ، وفارق الحلال في الأصل من هذه الوجوه . وقد قدمنا أن أظهر القولين دليلًا وجوب تناول ما يمسك الحياة ، لأن الإنسان لا يجوز له إهلاك نفسه ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

س : هل يُقدم المضطر الميتة أو مال الغير ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله كذلك فقال :

اختلف العلماء في ذلك : فذهب مالك إلى أنه يقدم مال الغير إن لم يخف إن يجعل سارقًا ويحكم عليه بالقطع . ففي موطئه ما نصه : وسئل مالك عن الرجل يضطر إلى الميتة أيأكل منها وهو يجد ثمرًا لقوم أو زرعًا أو غنمًا بمكانه ذلك ، قال مالك : إن ظن أن أهل ذلك الثمر ، أو الزرع ، أو الغنم يصدقونه بضرورته حتى لا يعد سارقًا فتقطع يده ، رأيت أن يأكل من أي

ذلك وجد ما يرد جوعه ولا يحمل منه شيئًا . وذلك أحب إلي من أن يأكل الميتة .. .

وإن هو خشي ألا يصدقوه . وأن يعد سارقًا بما أصاب من ذلك ، فإن أكل الميتة خير له عندي . وله في أكل الميتة على هذا الوجه سعة مع أني أخاف أن يعدو عادٍ ممن لم يضطر إلى الميتة يريد استجازة أموال الناس وزروعهم وثمارهم بذلك بدون اضطرار .

قال مالك : وهذا أحسن ما سمعت . اهـ . وقال ابن حبيب : إن حضر صاحب المال فحق عليه أن يأذن له في الأكل . فإن منعه فجائز للذي خاف الموت أن يقاتله حتى يصل إلى أكل ما يرد نفسه . الباجي : يريد أنه يدعوه أولًا إلى أن يبيعه بثمن في ذمته ، فإن أبى استطعمه ، فإن أبى أعلمه أنه يقاتله عليه .

وقال خليل بن إسحاق المالكي في مختصره الذي قال فيه مبينًا لما به الفتوى عاطفًا على ما يقدم المضطر على الميتة وطعام غيره إن لم يخف القطع ، وقاتل عليه . هذا هو حاصل المذهب المالكي في هذه المسألة .

ومذهب الشافعي فيها : هو ما ذكره النووي في شرح المهذب بقوله : المسألة الثامنة : إذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير وهو غائب فثلاثة أوجه . وقيل ثلاثة أقوال : أصحها يجب أكل الميتة ، والثاني يجب أكل الطعام ، والثالث يتخير بينهما .

وأشار إمام الحرمين إلى أن هذا الخلاف مأخوذ من الخلاف في اجتماع حق الله تعالى وحق الآدمي ، ولو كان صاحب الطعام حاضرًا ، فإن بذله بلا عوض أو بثمن مثله أو بزيادة يتغابن الناس بمثلها ومعه ثمنه أو رضي بذمته لزمه القبول ، ولم يجز أكل الميتة ، فإن لم يبعه إلا بزيادة كثيرة فالمذهب ، والذي قطع به العراقيون والطبريون وغيرهم : أنه لا يلزمه شراؤه ولكن يستحب ، وإذا

لم يلزمه الشراء فهو كما إذا لم يبذله أصلًا ، وإذا لم يبذله لم يقاتله عليه المضطر إن خاف من المقاتلة على نفسه ، أو خاف هلاك المالك في المقاتلة ، بل يعدل إلى الميتة ، وإن كان لا يخاف ، لضعف المالك وسهولة دفعه فهو على الخلاف المذكور فيما إذا كان غائبًا ، هذا كله تفريع على المذهب الصحيح . وقال البغوي : يشتريه بالثمن الغالي ، ولا يأكل الميتة ثم يجيء الخلاف السابق في أنه يلزمه المسمى أو ثمن المثل ، قال : وإذا لم يبذل أصلًا ، وقلنا طعام الغير أولى من الميتة يجوز أن يقاتله ويأخذه قهرًا والله أعلم . وحاصل مذهب الإمام أحمد في هذه المسألة أنه يقدم الميتة على طعام الغير . قال الخرقي في مختصره : ومن اضطر فأصاب الميتة وخبزًا لا يعرف مالكه أكل الميتة اهـ .

وقال ابن قدامة في المغني في شرحه لهذا الكلام ما نصه : وبهذا قال سعيد ابن المسيب ، وزيد بن أسلم . وقال مالك : إن كانوا يصدقونه أنه مضطر أكل من الزرع والثمر ، وشرب اللبن ، وإن خاف أن تقطع يده أو لا يقبل منه؛ أكل الميتة ، ولأصحاب الشافعي وجهان :

أحدهما : يأكل الطعام وهو قول عبد الله بن دينار ، لأنه قادر على الطعام الحلال فلم يجز له أكل الميتة كما لو بذله له صاحبه .

ولنا أن أكل الميتة منصوص عليه ، ومال الآدمي مجتهد فيه ، والعدول إلى المنصوص عليه أولى ، ولأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الآدمي مبنية على الشح والتضييق ، ولأن حق الآدمي تلزمه غرامته وحق الله لا عوض له .



إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

س : اذكر معاني كلٍّ مما يأتي :

لا يزكيهم – أليم – فما أصبرهم – شقاق بعيد ؟

ج :

الكلمـة	معناهـــا
لا يزكيهم	لا يطهرهم من دنس الذنوب
أليم	مؤلم موجع
فما أصبرهم	فما أجرأهم على الغمل الذي يدخلهم النار – العجب كيف يتحملون النار ؟ كيف سيصبرون على النار ؟، وقد تقدمت بتفصيل
شقاق بعيد	منازعة ومفارقة للحق بعيدة عن الرشد والصواب .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب [البقرة : ١٧٤] ؟ وما هو الشيء الذي كتموه ؟

ج : الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب هم اليهود والنصارى[١] ، والذي كتموه جملة أمور منها صفة محمد ﷺ ، ومنها أمور أخر تتعلق بالحدود[٢] وغيرها .

● وقد أخرج الطبري رحمه الله[٣] بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ [البقرة : ١٧٤] الآية كلها : هم أهل الكتاب كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى من بعث محمد ﷺ وأمره .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله : ﴿ به ﴾ من قوله تعالى : ﴿ ويشترون به ﴾ [البقرة : ١٧٤] يرجع إلى ماذا ؟ وضح المعنى بعض الإيضاح ؟

ج : الضمير في قوله تعالى : ﴿ به ﴾ يرجع إلى المكتوم أي : أنهم يشترون بالشيء الذي كتموه ثمنًا قليلًا ، فمحتمل أنهم كانوا يأخذون مقابل كتمانهم أمر محمد ﷺ بعض الرشاوى أو يظنون أنهم يحصِّلون بعض الجاه والمنزلة عند أتباعهم ، ويحتمل أيضًا أنهم يحرفون الكتاب ويأخذون عوضًا مقابل تحريفه بما يتمشى مع أهل الشرف والمال منهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) وأكثر من كتم اليهود .

(٢) وذلك كآية الرجم ونحوها ، وقد تقدم ذلك .

(٣) الطبري (أثر رقم ٢٤٩٤) .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة : ١٧٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار . وأطلق على ما يأكلونه أنه نار باعتبار ما سيئول إليه يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا ﴾ [النساء : ١٠] ، والله أعلم .

* * *

س : قال الله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ [البقرة : ١٧٤] فنفى سبحانه تكليمه للكفار في هذه الآية الكريمة ، وقد أثبته في آيات أخر ، اذكر بعض الآيات التي ثبت فيها أن الله عز وجل يكلم الكفار ، وكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله للكفار والآيات التي أثبتت ذلك ؟

ج : من الآيات التي ورد فيها أن الرب سبحانه يكلم الكفار قوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريًّا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون * قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون .. ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ – ١١٤] .

أما وجه الجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله عز وجل للكفار والآيات التي أثبتت ذلك فهو أن تحمل الآيات التي نفت الكلام على أنها نفت كلامًا مخصوصًا وهو الكلام الذي يأتي من ورائه بشارة أو خير للكافرين ، أما

الآيات التي أثبتت فأثبتت نوعًا من الكلام يحمل التعذيب والتأنيب والتوبيخ لأهل الكفر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ﴾ [البقرة : ١٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أولئك الذين اتبعوا الضلالة تركوا الهدى ، وأخذوا ما يوجب لهم العذاب وتركوا ما يجلب لهم المغفرة .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] ما معناه ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال ، منها :

الأول : فما الذي جرأهم على النار .

وقد أخرج الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن[1] عن قتادة : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] يقول : فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار .

الثاني : فأي شيء صبرهم على النار ، وانظر السؤال الآتي وإجابته .

❋ ❋ ❋

س : (ما) في قوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم ﴾ [البقرة : ١٧٥] ما معناها ؟

ج : **بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا استفهامية** ، والمعنى :ما

---

(١) الطبري (أثر رقم ٢٥٠٠) .

الذي أصبرهم على النار ؟

وقد أخرج الطبري بإسناده[1] إلى ابن جريج قال ، قال لي عطاء : ﴿ فما أصبرهم ﴾ [البقرة : ١٧٥] قال : ما يصبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل ؟

وأخرج من طريق أبي كريب[2] قال : سئل أبو بكر بن عياش : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] قال : هذا استفهام ، ولو كانت من الصبر قال : (فما أصبرُهم) رفعًا ، قال : يقال للرجل : (ما أصبرك) ما الذي فعل بك هذا ؟

وأخرج كذلك بإسناد صحيح[3] إلى ابن زيد قال : هذا استفهام ، يقول : ما هذا الذي صبرهم على النار حتى جرأهم فعملوا بهذا ؟!!

● ومن أهل العلم من يرى أنها للتعجب ، والمعنى : فما أشد جرأتهم على النار حتى عملوا بعمل أهلها .

وهذا التعجب كالتعجب في قوله تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس : ١٧] تعجبًا من كفره ، فالعجب من صبرهم على الأعمال التي تودي بهم إلى النار ، وقد علموا أن شراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة موجب للنار .

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : ما أجرأهم على النار ، بمعنى : ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٢٥٠٨) .
(٢) أخرجه الطبري (٢٥٠٩) .
(٣) أخرجه الطبري (٢٥١٠) .

بأعمال أهلها . وذلك أنه مسموع من العرب : (ما أصبر فلانًا على الله) ، بمعنى : ما أجرأ فلانًا على الله ! وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد ﷺ ونبوته ، واشترائهم بكتمان ذلك ثمنًا قليلًا من السحت والرشى التي أعطوها - على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك مع علمهم بأن ذلك موجبٌ لهم سخط الله وأليم عقابه .

وإنما معنى ذلك : فما أجرأهم على عذاب النار ! ولكن اجتزىء بذكر (النار) من ذكر (عذابها) ، كما يقال : (ما أشبه سخاءك بحاتم) ، بمعنى : ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم ، (وما أشبه شجاعتك بعنترة) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] يُخبر تعالى أنهم في عذاب شديد هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذًا بالله من ذلك ، وقيل : معنى قوله : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] أي : فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار .

وقال الزمخشري في كشافه [1]: ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان : ما أصبرك على القيد والسجن ، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب ، وقيل : فما أصبرهم : فأي شيء صبَّرهم ، يقال : أصبره على كذا وصبَّره بمعنى ، وهذا أصل معنى فعل التعجب ، والذي روي عن الكسائي أنه قال : قال لي قاضي اليمن بمكة : اختصم إلي رجلان

---

(١) لا يخفى علينا حال الزمخشري من الاعتزال ، ومن كان مثله يهجر من كلامه ما يخالف فيه أهل السنة والجماعة ، ويبقى شأنه في الباقي شأن غيره من أهل العلم .

من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه ، فقال له : ما أصبرك على الله ، فمعناه : ما أصبرك على عذاب الله .

وقال الشوكاني رحمه الله (فتح القدير ١/١٧١) : وقوله : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] ذهب الجمهور ، ومنهم الحسن ومجاهد إلى أن معناه التعجب ، والمراد : تعجيب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار ، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم ، وحكى الزجاج أن المعنى : ما أبقاهم على النار ، من قولهم : ما أصبر فلانًا على الحبس ، أي : ما أبقاه فيه ، وقيل : المعنى : ما أقل جزعهم من النار ، فجعل قلة الجزع صبرًا ، وقال الكسائي وقطرب : أي : ما أدومهم على عمل أهل النار ، وقيل : (ما) استفهامية ، ومعناه التوبيخ ، أي : أي شيء أصبرهم على عمل أهل النار قاله ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) **هنا تنبيهان :**

أولهما : أن كثيرًا من أهل العلم يتساهلون في تصحيح الآثار ونسبتها إلى قائليها فلا يكادون يدققون كثيرًا في هذا الباب ، فكم من أثر يعزى إلى ابن عباس أو مجاهد أو عطاء مثلًا ويكون فيه ضعف ولا يبينون هذا الضعف ، فالآثار التي أوردها أنا أتحرى فيها الصحة أو الحسن وأُبين ذلك ، أما الآثار التي ترد عند ذكر بعض أقوال أهل العلم وينقلونها في كلامهم كما نقل الشوكاني – رحمه الله – مثلًا عن ابن عباس والسدي .. فالعهدة فيها على قائلها (أي : على الشوكاني) وإن كنت في بعض الأحيان أنبه على بعض ما فيها .

التنبيه الثاني : كثيرٌ من المفسرين ينقل بعضهم من بعض ، وبعضهم يبالغ في ذلك فيسير وراء من نقل عنه وينقل عنه كلامه برمته ولا يبين ممن أخذه ، وممن يسلك هذا المسلك صديق حسن خان رحمه الله فينقل من فتح القدير للشوكاني ولا يكاد يبين ويوضح ممن أخذه فلينتبه لذلك .

س : (ذلك) في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] يرجع إلى ماذا ؟

ج : الذي يظهر لي – والعلم عند الله – أنه يرجع إلى أنواع التعذيب المذكورة ، فيكون المعنى : ذلك التعذيب[1] الذي ذكرناه وأنه يحل بالذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا إنما حل بهم وحق عليهم لأن الله عز وجل نزل الكتاب بالحق فكفروا به وخالفوه وكتموا ما فيه .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى الأقوال بتأويل الآية عندي : أن الله تعالى ذكره أشار بقوله : ﴿ ذلك ﴾ ، إلى جميع ما حواه قوله : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ [البقرة : ١٧٤] ، إلى قوله : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] ، من خبره عن أفعال أحبار اليهود ، وذكره ما أعد لهم تعالى ذكره من العقاب على ذلك ، فقال : هذا الذي فعلته هؤلاء الأحبارُ من اليهود – بكتمانهم الناس ما كتموا من أمر محمد ﷺ ونبوته مع علمهم به ، طلبًا منهم لعرض من الدنيا خسيس – وبخلافهم أمري وطاعتي – وذلك – من تركي تطهيرَهم وتزكيتهم وتكليمهم ، وإعدادي لهم العذاب الأليم – بأني أنزلت كتابي بالحق ، فكفروا به واختلفوا فيه .

فيكون في (ذلك) حينئذ وجهان من الإعراب : رفعٌ ونصب . والرفع بـ (الباء) ، والنصب بمعنى : فعلت ذلك بأني أنزلت كتابي بالحق ، فكفروا به واختلفوا فيه . وترك ذكر (فكفروا به واختلفوا) ، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

❋ ❋ ❋

---

(١) وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] ؟ ومن هم الذين اختلفوا فيه ، وفيم اختلفوا ؟

ج : أما الكتاب فذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد به التوراة ، والذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى ، واختلفوا في جملة أمور منها اختلافهم في شأن عيسى ، فزعمت اليهود أن التوراة ليس فيها ذكر عيسى وكفرت يهود بعيسى وبمريم عليهما السلام .

أما النصارى فآمنوا ببعض ما في التوراة من شأن عيسى وكفروا ببعض آخر وهو أنهم ألَّهوا عيسى عليه السلام وجعلوه ربًّا يُعبد .

واليهود والنصارى كلاهما اختلفوا في شأن نبينا محمد ﷺ وفي صفته المثبتة في كتبهم بعد أن حرفوها وكتموها .

واختلفوا في أمور أُخر كما قال النبي ﷺ : « أضل الله من قبلنا عن يوم الجمعة ... » الحديث ، فاختارت اليهود السبت واختارت النصارى الأحد .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالكتاب القرآن ، والذين اختلفوا فيه اليهود والنصارى والمشركون .

أما وجه اختلافهم فاختلاف اليهود والنصارى فيه شيء مما ذكر سابقًا واختلاف المشركين في تقولهم على الكتاب فمنهم من قال : ﴿ أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرةً وأصيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] ، ومنهم من قال : ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر : ٢٤ ، ٢٥] ، ومنهم من قال : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ [النحل : ١٠٣] إلى غير ذلك .

قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، يعني بذلك : اليهود والنصارى . اختلفوا في كتاب الله ، فكفرت اليهود بما قص الله فيه من قصص عيسى بن مريم وأمه . وصدقت

النصارى ببعض ذلك ، وكفروا ببعضه ، وكفروا جميعًا بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد ﷺ . فقال لنبيه محمد ﷺ : إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفي منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاقٍ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

كما حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط[1] عن السدي : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، يقول : هم اليهود والنصارى . يقول : هم في عداوة بعيدة . وقد بينت معنى (الشقاق) ، فيما مضى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أسباط وهو ابن نصر متكلم فيه .

فهرس الآيات

* * *

فهـرس الأحاديـث

الحديث	الصفحة

بـاب الهمـزة

باب الباء

باب التاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الذال

باب الراء

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الطاء

باب العين

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

الأحاديث القدسية

الموقوفات

* * *

فهـرس الموضوعـات

الموضوع	الصفحة

❋ ❋ ❋

مطابع دار الصحيفة ت / ٠١٢٣٢٢٥٨٨١ تليفاكس / ٢٩٧٨٤٧٤